موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية

الموسوعة الجامعة للفكر الديني اليهودي
والأصول التوراتية والتلمودية للمذاهب
اليهودية الكبرى في الفلسفة والدين والتصوف
ونقد هذه المذاهب والرد عليها!

تأليف: دكتور عبد المنعم الحفني

مكتبة مدبولي

رقـــم الإيـــداع ٩٤/٤٤٥٦
I.S.B.N. 977 - 208 - 130 - X

موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية

الموسوعة الجامعة للفكر الديني اليهودي
والأصول التوراتية والتلمودية للمذاهب
اليهودية الكبرى في الفلسفة والدين والتصوف
ونقد هذه المذاهب والرد عليها.

تأليف: دكتور عبد المنعم الحفني

مكتبة مدبولي



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

اصطلاح الفلسفة اليهودية كاصطلاح الفلسفة الإغريقية أو الإسلامية، يعنى أن لليهود فلسفة وفلاسفة. **والفيلسوف اليهودى** هو الذى يصدر عن اليهودية كعقيدة، غير أن هناك فلاسفة من اليهود تبدو فلسفاتهم كفلسفات الأمم، وهؤلاء لم أتناولهم فى هذه الموسوعة، وإن كان يصدق عليهم قول **إسحق دويتشر** (١٩٠٧ ـ ١٩٦٧) أن «اليهودى يظل يهوديا وإنْ ارتكب خطيئة» (محاضرة فى المؤتمر اليهودى لعام ١٩٥٨ خلال أسبوع الكتاب اليهودى)، ويقصد بذلك أن الفيلسوف اليهودى يظل يهوديا فى تفكيره وإن لم يكتب فى اليهودية، أو أنه رغم ما يبدو من أممية فلسفته يظل يهودياً جداً على نحو ما، أو يظل فيه شىء من جوهر الحياة اليهودية والفكر اليهودى، «فعندما يدرك الفيلسوف اليهودى، **كاسبينوزا**، التناقض بين الإله الواحد والكون، أو يدرك الوضع الذى يظهر عليه ذلك الإله الواحد فى الديانة اليهودية كأنه مرتبط بشعب واحد، وما يحمله ذلك من تناقض بين الإله كإله كونى وبينه كإله لشعب خاص، فإنه يتجاوز اليهودية إلى الإنسانية، وتظل جذوره مع ذلك مشدودة إلى التراث اليهودى، وهكذا كان **اسبينوزا**، فلم تكن أخلاقه هى الأخلاق اليهودية، وإنما كانت هى أخلاق الإنسان بعامة، ولم يكن إلهه هو الإله اليهودى، ولكنه كان الإله الكونى، ومع ذلك ظل إله **اسبينوزا** وأخلاقه يهوديين بشكل ما، بمعنى أنه ظل موحدا على طريقة اليهود، وإنْ كان قد بسط توحيده إلى نتيجته المنطقية، وأخضع إلهه اليهودى الخاص لتفكير شامل، وما أن يتم إخضاعه لتفكير شامل حتى يكف ذلك الإله عن أن يبدو يهوديا. **وكارل ماركس** رفض اليهودية، وقال إن هدفه هو تحرير المجتمع من اليهودية، ولكنه ظل مع ذلك أمينا للتراث اليهودى، ففكرته تماثل فكرة اسبينوزا فى كونيتها، وهى فكرة الاشتراكية والمجتمع اللاطبقى بلا دولة».

فإذا كنت لم أتناول فلاسفة مثل **إدموند هوسرل وإينشتاين وجماعة فيينا ومدرسة الجشطلت** برغم أنهم يهود، فذلك لأنهم يكتبون فلسفات أممية، واليهودية فيهم لا تكاد تبين، إلا أنهم مع ذلك وكما قال إسحق دويتشر ظلوا يصدرون عن التراث اليهودي، فإينشتاين له كتاب «**عن الصهيونية**» (١٩٣٠)، ووظّف نظرية النسبية بطريقة ما لخدمة الصهيونية، وكانت النسبية أحد عوامل اعتراف أمريكا بإسرائيل حيال قيامها. **وهوسرل** رغم ما يبدو من تجريبيته إلا أن قوله بالأنا المتعالى الخاص يكشف يهوديته، ذلك لأن هذا الأنا الخاص ليس تجريبياً، ويتناقض مع مذهبه الظاهراتى، وهو يصر عليه رغم ذلك لأنه في الحقيقة ليس سوى إله اليهود الخاص. **وجمعة فيينا**: فريدريك وايزمان، وهانز هان، وكورت جودل، وفتجنشتاين، ورودلف كارناب، وأوتو نويراث، وتسلزل، وفيجل، ويوهوس، وفيلكس كاوفمان، كانوا جميعاً من اليهود، وزعيمهم **موريتس شليك** (١٨٨٢ - ١٩٣٦) اغتيل بسبب فلسفته الوضعية المنطقية، اللاميتافيزيقية أى المعادية للدين وللأخلاق عموماً، وقيل اغتاله طالب شديد التدين، وباغتياله انفضت الجماعة، وطاردت حكومات أوروبا أفرادها وحظرت نشاطهم فتفرقوا فى مختلف البلدان.

وإنّ قول **شليك** إن اللغة المتعارف عليها لا معنى لكثير من ألفاظها، ومن المتعذر التواصل بها، لهو الدافع فيما بعد لمحاولات كثير من اللغويين اليهود القضاء على الاختلافات فى الألسنة باختراع لغة عالمية تساير حدود المنطق العقلى، وقد نجح منهم **لودفيج لازاريوس زيمانهوف** (١٨٥٩ - ١٩١٧) الذى كان يوقع باسم **دكتور اسبرانتو**، أى المتفائل، فأُطلق على اللغة اسم **الاسبرانتو** لذلك. ولم يعلن زيمانهوف عن نفسه كيهودى إلا بعد أن روجت الجمعيات الثقافية اليهودية فى العالم كله للغة العالمية الجديدة، إلا أن محاولته رغم التأييد البالغ الذى حظيت به باءت بالفشل، فقد تبين لأنصار الاسبرانتو «أنه قد يكون من اليسير أن يتحدث بها الروسى مع الأمريكى فى أمور السياحة والطعام والشراب والملابس، فإذا تطرقا إلى مسائل الدين أو الفلسفة لم تكد تلك اللغة تحقق الهدف من الحديث» (**دكتور إبراهيم أنيس «اللغة بين القومية والعالمية»**). وإذن يتضح الهدف من الاسبرانتو: أن تكون لغة، لا يتطرق المتحدثون بها

إلى موضوعات الدين أو الفلسفة. ولم يكن بالمستغرب لذلك أن يعلن **شليك** هذا أن الدين والفلسفة قد ماتا، وأن تقوم **الماركسية والفرويدية** كإيديولوجيتين معاصرتين يمكن أن تحلا محل الدين. والمطالع للموسوعة سيجد أن الماركسية والفرويدية تستقيان من نبع التراث اليهودى، ومن المحاولات اليهودية الدائبة لتقويض **المسيحية والإسلام** كديانتين وحضارتين، ولسوف نقرأ عن محاولات **شبتاى تسفى** لتقويض الإسلام من الداخل بادعاء الإسلام، ومحاولات **يعقوب فرانك** لتقويض المسيحية بادعاء النصرانية، وهنا قد يجرنا الكلام إلى الخوض فيما اشتهر فى التاريخ باسم **توصيات أو بروتوكولات حكماء صهيون**، وقد تنصلت اليهودية العالمية من الكتاب وأقيمت الدعاوى فى المحاكم ضد الناشرين بهدف دحض نسبة البروتوكولات إلى اليهود، إلا أن ما نوهنا به يتناقض مع هذا الزعم، فالبروتوكولات تعبير واضح عن كل ما أسلفنا، وهدفها ضرب العقائد لتعلو عقيدة اليهود، وعَلْمَنَة كل الحكومات حتى تسودالحضارة الوحيدة التى يمكن أن تنعقد لها الغلبة فى المجتمعات العلمانية، وهى **الحضارة اليهودية** التى يصفها ماركس بحق بأنها «**حضارة السوق أو عقيدة التاجر**»، ويزيد فيقول «إن إله اليهود إله علمانى، وهم يعبدون المال ونصبوه إلها، والمتاجرة هى ديانتهم الحقيقية، وبجانب المال لم يعد يعيش بينهم إله آخر (**كارل ماركس: المسألة اليهودية**).

وليس أدعى إلى تصديق أن البروتوكولات من تأليف اليهود من دعوة فيلسوفهم **يوسف بوبر** (١٩١٢)، فهو يريد حضارة خالية من الدين، والمجتمع الأمثل عنده مجتمع مادى يسعى لتوفير الضروريات لأفراده، وكتابه «**أهمية توفير الغذاء**» أراد به أن ينبه إلى ضرورة نقل الاهتمام من التربية الدينية أو الروحية إلى نوع من التربية يتحقق به للمجتمعات تدريب الناس على أن يكونوا عمالا فى جيش هائل يسميه **جيش توفير الغذاء**، ودعوته هى نفسها التوصيتان الرابعة والسادسة من البروتوكولات، ولم يكن غريبا إذن أن يضم الحزب الشيوعى المشرف على عملية تحويل المجتمع فى الروسيا إلى عمال، ٣٠٪ من لجنته المركزية من اليهود: **تروتسكى، وليتفينوف، وليادوف، وشكلوفسكى، وساولتز، وجوسيف، وزينوفييف، وكامينيف، وروزاليا زامالياشكا، وهيلينا روزميروفتش، وياروسلافسكى، وسيرافيما جوينر، وسوكولينكوف،**

وبياتنسكى ،وسفردلوف ،وفلاديميروف ،وزالوتسكى ،ولوزفسكى ،وياكلوفليف ، وكاجانوفتش، وشفارتسمان، وريمانشتاين، وأوريتسكى، وفولوداليسكى، وستكلوف، وروودلف جوفه، وروزانوف، ولارين، وراديك، وأن يشكل اليهود نسبة تتراوح بين ٢٢٪ إلى ٢٦٪ من الأعضاء فى الشيوعية الدولية، غير أن هؤلاء جميعا كان عملهم **تنظيميا ودعائيا** أكثر منه تنظيريا.

ولسوف نلحظ أن هذه السمة - التنظيمية والدعائية - هى سمة عامة فى اليهود عبر كل تاريخهم، حتى لقد قيل إن المذاهب اليهودية قد قامت فى الأساس لتكمل اليهودية التى كان أوهى ما فيها **التنظير**، وقيل إن الإسلام كان أبرز ما فيه هذا التنظير الذى افتقدته اليهودية، وأنه لذلك، أى الإسلام، هو كمالها. ولسوف نقرأ أن الفلسفة اليهودية لم تقم إلا بتأثير الفلسفة الإسلامية، فكانت رسائل إخوان الصفا هى الأرضية التى بنى عليها **يوسف بن صدّيق، وسليمان بن جبريل، وموسى بن عزرا، وابن فلقارى، وكالونيموس بن كالونيموس** فلسفاتهم. وعلى فلسفة الغزالى تتلمذ **الميمونى، ويهوذا اللاوى، وإسحق البلج، وموسى الناربونى، وإبراهيم بن مسلم**. وطبعت الصوفية الإسلامية الاتجاهات المشابهة عند اليهود، وإن كانت اليهودية تعادى الصوفية أصلا، ولم ترج الصوفية لدى اليهود لأن النُسك ضد التهوّد أصلا، وكان للقرآن تأثير هائل على **القبالة والحصيدية والشاباتية** وعلى مصطلحاتها، وأثّرت الصوفية التركية على طقوس **الشباتية والحصيدية**، والصوفية الأندلسية على **القبالة الأندلسية**. وحاول اليهود التنصل من هذا التأثير بردّ الباطنية اليهودية إلى عصورٍ قبل إسلامية، ولكن الدراسات المعاصرة تنفى ذلك وتجزم على التأثير الإسلامى الذى حمله **باهى بن باقوده، وإبراهيم بن موسى بن ميمون، ويوسف بن عقنين**، كما حمل **سعدى الفيومى، وداود بن مروان المقمص، وشموئيل بن حفنى، وحَىّ، ونسيم بن يعقوب القيروانى، وباهى بن باقوده، ويوسف بن صديق، والميمونى، ويوسف بن إبراهيم البصير، وتلميذه يشوع بن يهوذا، وهارون بن اليسع** تأثير علم الكلام عند المسلمين وكانوا على مذهب المعتزلة. وعرف اليهود الفلسفة العقلية من خلال احتكاكهم المباشر بالمسلمين عن طريق فلاسفتهم الذين تربوا فى ظل الثقافة الإسلامية **كموسى بن ميمون، وباهى بن باقوده**، أو من خلال

ترجمات المترجمين اليهود **كالحريزى وكالونيموس وابن طبون وفلقارى والناريونى وقريشقش**، وقد ترجموا ابن باجة وظل تأثيره فيهم حتى القرن السادس عشر، وابن رشد ويأتى عندهم بعد الميمونى ويصفونه بالحبر الأعظم، **والميمونى** نفسه من الرشديين، وكذلك كان **ابن جرشوم، وموسى الناريونى، وابن فلقارى، والبنبينى، وسليمان الكاهن ابن ماتقة، والقصبى، وهليل بن شموئيل الفيرونى، وهارون بن اليسع القرّاء، ويهوذا اللبونى، وعبادى صفورنو، وشمعون دوران، وقريشقش، وإبراهيم سلام، ويوسف شمطوب، وابنه شمطوب، وموسى فلقارى، وميخائيل الكاهن، وديلميدجو، وإسحق أبرابانيل، وإبراهيم بباجو.** وترجموا كذلك ابن سينا، وكان **الميمونى** من المتلقين عنه، واستخدم برهانه المشهور فى إثبات وجود اللّه المعروف ببرهان واجب الوجود، وقوله بالسلوب، وتفريقه بين الممكن والضرورى، وبين الماهية والوجود، ونظريته فى النبوة. وكذلك كان **إبراهيم بن داود** من التابعين لابن سينا، وخاصة نظريته فى النفس، وبرهانه على أنه لا يجوز أن يكون اثنان واجبى الوجود، وصوّره **يهوذا اللاوى** فى كتابه **الخرزى** بوصفه المتحدث باسم أرسطو، وأخذ **إبراهيم بن عزير، وابن جرشوم** قوله بأن معرفة اللّه هى بالكليات دون غيرها، وأن مشيئته تنهض بها العقول المفارقة. ونقل **ابن فلقارى** من كتابه النجاة الفصل الثامن عشر من كتابه **سفر النفس**، وكذلك نقل عنه **هليل بن شموئيل الفيرونى** إثبات أن النفس لا تموت بموت البدن ولا تقبل الفساد، ونقل **دوران** نظريته فى الحواس الباطنة. وكان للفارابى تأثير غير منازع على **الميمونى** حتى أنه نقل عنه نظريته فى الحكم والمدينة الفاضلة والنبوة والعناية والخلق والعقل، وترجم له فصولا كاملة. وقبسوا من الرازى وابن السيد والكندى والسهروردى. وكان اليهود يؤثرون الكتابة باللغة العربية لأنها كانت تسعفهم فى مسائل الدين والفلسفة، ولعجز كامن فى اللغة العبرية يستحيل معه استخدامها كوعاء حضارى. ونهلوا من المصطلحات الإسلامية فى الفقه فكانت لهم «فتاوى» كفتاوى المسلمين، وصاغوها صياغتهم، وكانت لشرعيهم «اجتهادات»، وقامت منهم فرقة تدعو إلى «الاتّباع»، ولكنهم لم يستطيعوا أبدا أن تكون لهم علومهم كعلوم التوحيد والفقه والحديث والقرآن. ونهضوا بعبء الترجمة ابتداءً من القرن الثانى عشر، فترجموا فى أول الأمر المؤلفات اليهودية العربية لابن باقوده مثل **فرائض القلوب**، وابن ميمون **كدلالة الحائرين، وكتاب الحدود والرسوم**

لإسحق إسرائيل، وكتاب **الاسطقسات** لحسداى، وكتاب **الأمانات والاعتقادات** لسعدى الفيومى، و «**المحاضرة والمذاكرة**» و «**العالم الصغير**» لابن جبريل، **وكتاب الحجة والدليل** ليهوذا اللاوى، **والعقيدة الرفيعة** لإبراهيم بن داود ، و «**المحاضرة والمذاكرة**» و «**المعنى والمجاز والحقيقة**» لموسى بن عزير، **ومقالة فى صناعة المنطق** ليهوذا الحريزى، **وانكشاف الأسرار وظهور الأنوار** ليهوذا بن عقنين، و «**المحتوى**» و «**كتاب التمييز**» ليوسف البصير. ووصف **يهوذا بن طبّون** اللغة العربية بأنها أثرى لغات الأرض وأصلحها لكل المقالات والمقامات، وهى لغة الشعر التى لا ترقى عليها لغة أخرى، ولغة الفلسفة التى تنفذ إلى صميم الموضوعات فتوضح الغامض وتبسط الدقيق، على عكس العبرية. وترجموا المؤلفات الإسلامية كمقاصد الفلاسفة، وتهافت الفلاسفة، ومعيار العلم، وميزان العمل، ومشكاة الأنوار للغزالى، وتفسير ما بعد الطبيعة. وتهافت التهافت، وفصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، والكليات لابن رشد، ورسالة الوداع، وتدبير الموحد لابن باجة، والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون، والشفاء، والنجاة، والإشارات والتنبيهات، وتسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات، والقانون لابن سينا ، ورسالة فى النفس، وحىّ بن يقظان لابن طفيل، وإحصاء العلوم، ورسالة فى معانى العقل، وآراء أهل المدينة الفاضلة، والجمع بين الحكيمين أفلاطون الإلهى وأرسطو للفارابى، ورسائل إخوان الصفا ، وغير ذلك كثير فى الطب والرياضيات واللغة والفقه والأدب. ومن أبرز مترجميهم **ابن العبرى** (١٢٢٦ ـ ١٢٨٦) فقد نقل الإشارات والتنبيهات، والقانون لابن سينا ، وزبدة الأسرار للأبهرى، والموجزة فى الأدوية المفردة للغافقى.

وقد وجد فلاسفتهم ومترجموهم المفردات فى العربية تربو على الثمانين ألفا ، بينما هى فى العبرية لا تزيد على الستة آلاف، ومع ذلك فإن من المستشرقين اليهود فريقا زعم أن العبرية أصل العربية، وهو قول يشبه دعوى لديهم أن التوراة أصل الفلسفة الإغريقية، لكن يبطل هذا الزعم قول فريق آخر أن اللغة الأم لابد أن تكون كالنهر، ومنه تخرج الروافد أو تصب فيه، وما دامت العربية هى الأثرى فلابد أنها الأم، ويؤيد هذا القول أن العبرانيين المتحدثين بالعبرية كانوا قبائل من البدو يرتحلون سعيا وراء الكلأ

والماء، وليس معنى العبرانيين أنهم القوم الذين عبروا الفرات أو الأردن، فهذا ادعاء الأحبار كما يقول الدكتور **إسرائيل ولفنسون** فى كتابه «**اللغات السامية**»، فالناس تعبر كل يوم هذين النهرين ولا يسمون بالعبرانيين، ولكنهم عبرانيون بمعنى قبائل رحل، وفى اللغة العربية يقول الناس فى الكويت مثلاً عن السيارة الأجرة (التاكسى) أنها عِبْرية أى جوّابة، وهكذا كان العبرانيون، والأقرب إلى العقل كما يقول **ولفنسون** ورهط كبير من المستشرقين: أن اللغة السامية الأم كانت لغة سكان شبه الجزيرة العربية، وأن العبرانيين ارتحلوا منها إلى العراق ثم إلى فلسطين حاملين لهجتهم، ولكنهم اعتزلوا غيرهم، فانغلقت لهجتهم وجمدت، وإذن فالعربية هى أصل العبرية، أو أن العربية هى أقرب اللهجات إلى اللغة السامية الأم، لأنها أثرىَ اللغات السامية قاطبة. ويقول **إسرائيل ولفنسون** إن الكشوف تثبت تهافت دعوى التوراة التى تقول إن أرض بابل هى مهد اللغة السامية الأم، وفيها بلبل الله الألسنة فاختلفت، والذى يمكن الجزم به هو أن أكثر الحركات والهجرات، عند أغلب الأمم السامية التى علمنا أخبارها وأسماءها، كانت من نزوح جموع سامية من أرض الجزيرة إلى البلدان المعمورة الدانية والقاصية فى عصور مختلفة، فأقدم هجرة سامية اتجهت نحو بابل كانت من ناحية الجزيرة. وقد أسست تلك الجموع مُلكاً عظيماً فى منطقة الفرات، وكان لها من الحول والطول حظ وافر في عصور شتى. وكذلك هاجرت البطون الكنعانية والآرامية تاركة بلاد العرب، وكان لحوادثها أثر عظيم فى حياة العالم القديم، وكان هذا الفتح سبباً لتقلبات اجتماعية ودينية كثيرة وكبيرة الأثر فى التاريخ العام. ولم تتوقف هذه الهجرات العربية عند العراق وسوريا وفلسطين بل جاوزتها إلى مصر أيضاً، فقد توغلت قبائل سامية من ناحية الجزيرة فى بلاد النيل وبسطت سلطانها على مصر، وكوّنت فى تاريخها الأُسَر الحاكمة المعروفة بالهكسوس. وكذلك كانت الهجرة العربية بعد ظهور الإسلام إلى جميع أطراف العالم القديم آخر موجة سامية عظيمة غمرت وجه الأرض وهزّت العالم بأسره، وكان من نتيجتها أن تغيرت أحوال أمم كثيرة فى آسيا وإفريقيا وأوروبا، وانقلبت فيها كل جوانب الحياة السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية، بل لا تزال الهجرة من الصحراء إلى البلدان الدانية والنائية مستمرة بأخطارها الشديدة وعواقبها العظيمة،

فالتاريخ دائما يعيد نفسه، ولا بد أن الأمم السامية قد تأثرت بلغات الجزيرة العربية، ويقول **أولسهوزن فى كتابه عن اللغة العبرية**: إن العربية هى أقرب لغات السامية إلى اللغة السامية القديمة». وإذن فلا مجال للشك أن العبرية لهجة عربية ولكنها لهجة لم يقيض لها الانتشار والتطور، وهناك أدلة على أن اللغة العبرية تتضمن صورا وصيغا قديمة جدا كما فى الآرامية، فى حين أن ما احتفظت به العربية من القديم لم يسلم من التغيير، بل فيه شئ كثير يدل على أنه تقلّب فى أطوار مختلفة. وإنّا لنجد العربية أغنى فى حروفها من العبرية حيث **لا** أثر للحروف ذ غ ظ ض فى العبرية، ويبدو أنها كانت موجودة فى السابق فى هذه اللغة، ثم فُقدت بالتدريج لعدم استعمالها، وهو ما نرجعه فى مجال اللغات إلى جمودها.

وإنّا لنلحظ أن هذا الجمود سمة أصلية فى التفكير اليهودى بعامة، لأنه تفكير مجتمع مغلق يرمزون إليه بالجيتو. ولسوف نرى أن اليهود كانوا دائما مترجمين وناقلين، ولقد أخذوا الفلسفة الإسلامية فلم يطوروها، ولم يطوروا الفلسفة الإغريقية، ولا الفلسفات الأوروبية الحديثة، وكانوا دائما ماديين، وقد أنكر كنط Kant لهذا السبب أن تكون لليهود اتجاهات روحانية، وقال إنهم معنيون بالماديات، والأخلاق عندهم أوامر صادرة من سيد إلى مسود، وديانتهم لا مكان فيها للخلود، ولم يعتبرها ديانة، ووصفها بأنها عقيدة سياسية قومية، ووصف المسيحانية التى تمتزج بها بأنها طموح قومى إلى حياة أفضل لشعب يعيش فى الشتات أو المنفى.

ولم ينكر اليهود على كنط مقالته، ويتعجب البعض لذلك عن سبب مشايعة كثير من مفكريهم للكنطية من أمثال: **موسى مندلسون، وماركوس هيرتز، ولازاروس بن داود، وسليمان ميمون، وهيرمان كوهن، وإرنست كاسيرر، وموريتس لازاروس، وسليمان فورمستشر، وسليمان شتينهايم، وفرانز رونزفايج**، وربما كان السبب هو أن اليهود دائما يلتصقون بالمذاهب الجديدة ويحاولون تفسير اليهودية فى ضوئها. وقد رأوا فى ربط كنط الأخلاق بالدين، وقوله بالواجب وهو مقولة دينية وليس بالسعادة أو بالخير وهما مقولتان فلسفيتان إغريقيتان، عودة إلى التوراة، ومن ثم قامت **الاستنارة اليهودية** التى عرفت باسم **اليهودية الليبرالية** على محاولة صياغة اليهودية نفس الصياغة

الكنطية، بجعلها ديانة مقبولة عقليا وعالميا. وحاول الهيجليون من اليهود نفس المحاوله، وكانوا مجموعة من الإصلاحيين والصهاينة، منهم **شمشون رافاييل هيرش، وشموئيل هيرش، وموسى هيس**، وقد دفعهم إلى تبنى الهيجلية أن صاحبها أضفى بُعداً دينيا على التاريخ ولكنه انتقد اليهودية بوصفها ديانة باعدت بين الله والإنسان، بأن جعلت الله فوق الإنسان، وبذا يستحيل التواصل بين الإنسان والله، وتتحول المحبة بينهما إلى عبودية يزكّيها الخوف من الله غير الإنسان، وتكون الطاعة هى معيار الإيمان، والثواب هو جزاؤها، وبذلك تكون اليهودية ديانة عبيد وعصاة، الأخلاق فيها زواجر ونواه.

وقد يقول قائل إن **كنط وهيجل** وغيرهما هم من أعداء السامية، هذا المصطلح الذى أطلقه **وليام مار** Marr (١٨١٨ ـ ١٩٠٤) الذى اشتهر بتأسيسه **لعصبة المعادين للسامية** (١٨٧٩)، ولكن ما الذى يدفع أياً من **كنط وهيجل** أن يهاجم اليهودية رغم أن كنط وهيجل كانا أثيرين لدى اليهود من معاصريهما ومن غير معاصريهما، إن لم يكن لما عايناه فيها من أعراض وظواهر، تستدعى النقد الذى حدا **بفولتير** أيضا إلى أن يعنف فى نقدها، حتى اعتُبر نقده أساسا لكل نقد لاحق معادٍ للسامية. ولنلاحظ أن نقد **فولتير** غير اليهودى لم يكن يختلف كثيرا عن نقد **سبينوزا** اليهودى لليهودية، أو نقد **سموأل بن عباس المغربى** (نحو ١٢٢٥ ـ ١١٧٥) الذى أسلم ونشر كتابه «**إفحام اليهود**». وقد يكون من المفيد أن نقارن بين كتاب السموأل ونقد اسبينوزا وفولتير، وإنّا لنجد المفكر اليهودى الذى تربّى فى دائرة الثقافة الإسلامية أكثر دراية بالتوراة وبالتراث، وهو يبنى فلسفته النقدية لليهودية على العقل وحده، ولم ير فيما خطّه عزير أو عزرا من كتب التوراة المقدسة إلا تحريفا بالغلط يباعد بينها وأن تكون كتبا منزلة من لدن الله، ومن ثم راح يبرهن على تعمد هذا التحريف بما جاء فى التلمود من خبط وترهات تتناقض مع بعضها ومع التوراة، ولعل ما أورده السموأل فيه كثير مما نكره **ابن حزم الأندلسى** (المتوفى سنة ٤٥٦هـ) فى كتابه «**الفصل فى الملل والأهواء**» من أوجه النقد التى فشلت الموسوعة اليهودية الكبرى فى إجمالها عنه فى باب المجادلات الدينية بين اليهود وغيرهم، مع أن ما طرحه ابن حزم يعدّ أقوى ما كُتِب من نقد للتوراة تاريخيا وأخلاقيا، ولا ريب أن **سبينوزا** قد استلهم فى مقالته «**رسالة فى اللاهوت**

والسياسة» كتاب ابن حزم الآنف، وإنّ هذا الكتاب ليعتبر بحق أساس ما اصطُلح عليه باسم **النقد التاريخى للكتب المقدسة**، وكان ملهما للسموأل ولكثير من اليهود من بعد.

وقد كان لهذا النقد الذى أخذوا به أنفسهم عن المسلمين ضحايا منهم، **كأوريل داكوستا** (١٥٨٥ ـ ١٦٤٠)، وقد كان داكوستا من أصول تربّت فى الثقافة العربية واعتنقت الإسلام لفترة من باب ما يسمى بالتقية، وقد أنكر داكوستا أن تكون هذه التوراة كتابا سماويا، وأن تكون الشريعة التى استنّها اليهود إلهاما إلهيا، فاضطهدوه لذلك، ولم يجد مفرا من الانتحار. ويرصد اليهود كتاب ماركس «**المسألة اليهودية**» كأقسى ما يمكن أن يصدر عن يهودى من نقد لليهودية، ومع ذلك فإن هذا الكتاب نفسه لم يمنع **ميخائيل باكونين** (١٨٦٩) فيلسوف الفوضوية أن يصف ماركس بالانتهازية، وأن يكشف عن انتهازية اليهود بعامة وينبّه إلى قوتهم المتنامية فى التجمعات السياسية والاقتصادية الدولية، وهيمنتهم على دور النشر ووكالات الأنباء والمصارف. وإنها لظاهرة تلفت النظر تلك التى ينبه إليها باكونين، ويجدر الربط بينها وبين **التوصية الثانية عشرة من بروتوكولات حكماء صهيون** الشهيرة، وقد جاء فى **منشور كريميو** الذى تضمنه البروتوكول الملحق لسنة ١٨٦٠ «أن كل اليهود للواحد، والواحد للكل». ولذلك نقرأ مثلا أن **منكوفسكى** عالم النفس الوجودى لم يتعرض فى تاريخ الفلسفة إلا لفلسفتى **برجسون وهوسرل** اليهوديين، وأن **جماعة الجشطلت** كانوا جميعهم من اليهود إلا واحدا، وأن أعضاء **مدرسة التحليل النفسى** كانوا سبعة من اليهود **إلا جونز**، وأن **جماعة فيينا** كانوا جميعا اثنى عشر يهوديا. ولنلاحظ أن الأعداد هى دائما **ثلاثة**، أو **سبعة** أو **اثنا عشر**. ولليهود فلسفة للأعداد سنجدها مطروحة عند دراستنا لليهودية.

واليهودية كديانة كتابية قيل إنها توحيدية، وفى كليات أبى البقاء الدين للّه، والملّة للنبى، والمذهب للمجتهد، والدين فى الديانات الكتابية الثلاث هو بلا شك الإسلام، بمعنى الإيمان باللّه الواحد، فلا يجوز من ثم أن نقول الديانة اليهودية ولكن نقول **ملة موسى**، ونقول أيضا **ملة اليهود وشريعة اليهود**. وتطلق **اليهودية** أصلا على جنسية شعب **مملكة يهوذا** التى آل اليها مُلك سليمان، وتطلق تجوّزا بعد النفى إلى بابل على ملّة اليهود.

وقد قيل الإسلام يقوم على اليهودية ويأخذ منها، وهو قول الربّانيين، غير أن البرّ فى الإسلام هو الإيمان بالله والنبيين، وإبراهيم هو أبو الأنبياء بلا منازع، ودعوته هى الحنيفية، والإسلام المحمدى عودة بالأديان إلى هذه الحنيفية أو إلى الفطرة، وما كان إبراهيم يهودياً ولانصرانياً ولكنه كان أول المسلمين، أى المؤمنين بالله الواحد الأحد، واليهودية بها كل ذلك ولكنه لايبين وليست له أسماء، والإسلام هو كمال اليهودية لأنه الذى يعطى لديانة إبراهيم اسمها وأوصافها، ويوصّف الصلاة والصيام والحج. ولاشك أن شعائره كشعائر اليهودية، وهى نفسها شعائر كل الأديان والملل منذ أن عرف الإنسان الله، سواء فى الشرق أو فى الغرب، ولكن كمال الشعائر لايكون إلا فى **الإسلام المحمدى**. وكذلك كانت لكل الديانات صحائف، وكمال هذه الصحائف هو القرآن. والفارق كبير بين طقوس الإسلام المحمدى ونظائرها فى اليهودية، فشتّان مثلاً بين الصلاة هنا وهناك. وحتى ما يطرحه الإسلام من قصص الأنبياء لايتشابه منه شكلاً ولا موضوعاً ما يذكره القرآن وما يرويه التوراة، وشتّان بين قصة داود أو سليمان مثلاً فى القرآن وقصتهما فى التوراة. وأما التوحيد فالقرآن حافل بآياته وبراهينه، ولاتوجد منه فى التوراة إلا **آية واحدة** فى سفر التكوين تحتمل التوحيد المعروف وغيره مما سنذكره فيما بعد.

ولسوف نرى أنه كلما احتّك اليهود بغيرهم من الأمم أخذوا عنهم ونسبوا ما أخذوه لأنفسهم، فقالوا عن إلههم أنه **أدوناى** الذى هو أدونيس السورى وأتون المصرى، وقالوا عنه أنه **بعل وإيل** السوريان.. وانفردوا بالقول أنه « **يهوه**»، وقد يقال أنهم لم يتلقوا هذا الاسم عن غيرهم. لكنّا نرى عكس ذلك، لأن يهوه أو ياهو نجده فى أدبنا الشعبى، فكلما حزبنا أمر قد يقول القائل منا « ياهو»، وقد يكون أصل «ياهو» هذه مولداً عامياً. ونحن نقول « هو الله »، ونقول يا ألله». ومحتمل أن يكون قد استُغنى بالضمير عن اسم الجلالة بحيث صار الاصطلاح « يا هو »، وأستبعد أن يكون قد انتقل إلينا من اليهود، ذلك لأنهم أصلاً يحرمون النطق باسم ياهوه أو يهوه، فكيف يمكن أن ينتقل منهم إلينا ويتغلغل فى طرائق التعبير عندنا حتى يكون من أدبنا الشعبى؟ والرأى عندى أن **ياهو** أو **يهوه** هذه لفظة سامية، وبما أن العربية أقدم من العبرية فاللفظة منها، وهى دليل

أكبر على قدم العربية، لكون اللفظة من الأدب الشعبى العربى، أى من صميم الثقافة العربية والتراث الثقافى العربى، وقد حاول اليهود أن يجدوا لها معنى فى العبرية فقالوا إنها بمعنى الموجود أو الكائن، ولكنه تخريج لا يدل على شىء، لأن كون الله موجوداً فقط لا يعنى شيئاً، وشبيه بذلك قولهم إن اسم النبى موسى «موشيه» بالعبرية يعنى **لقيط** الماء، مع أن ابنة فرعون أو امرأته التى عثرت على الطفل وأعطته الاسم لم تكن تعرف العبرية، **وموسى** Moses اسم يكثر بين المصريين القدامى ويعنى «عبداً»، فكانوا يقولون **رع موسى،** أو رعمسيس، أو رمسيس، أى عبد الإله رع، كما نقول نحن عبدالله، **وتوت موسى** أو تحتمس، أى عبد الإله توت. وقد عرف عن اليهود محاولتهم الدائبة لجعل تراثهم يخلُص لليهودية حتى ولو كان ذلك ضد الحقيقة التاريخية والعلمية. ولقد كان قولهم بالتوحيد ومباهاتهم الأمم بأنهم موحدون ضد هذه الحقيقة التاريخية والعلمية، **فالتوحيد** لم يعرفوه إلا عن طريق المسلمين، بدليل أن كتبه عندهم لا تذكره، فى حين أنه علِم قائم فى الإسلام، ولسوف يحاول اليهود أن يقيموا فلسفات وصفوها بأنها تتحدث عن الله الواحد، لكننا سنجد أن الواحدية فيها ظاهرية، وأنها قالت **بثلاثة آلهة فى إله واحد**، فاقرّت بالله **رب العالمين**، وقالت بالله **خاصة اليهود**، وأنه قد فاض عن رب العالمين بوصفه المبدأ الأول وإله اليهود المبدأ الثانى، ووظّفت هذا الإله الثانى فى خدمة اليهود فهو يغضب لغضبهم ويفرح لفرحهم، وارتبط بشعب إسرائيل وبأرض الميعاد برباط أزلى يجعل من هذا الشعب وتلك الأرض شعباً وأرضاً مقدسيْن، أى أن هذه الفلسفات حلولية تقول بأن الله قد حلّ فى الشعب والأرض فجعلهما مقدسين، وهذا الحلول أو الحضور من الشعب والأرض معاً تسميه **الشخيناه**، والشيخناه هى **الأقنوم الثالث** لثلاثية الله عند اليهود.

وقد قيل إن المذاهب اليهودية قامت فى الأساس لتكتمل بها اليهودية إزاء الإسلام، ولكنّا نرى أن هذه المذاهب بدلاً من أن تُكمِل اليهودية كمال الإسلام، باعدت بينها وبين الكمال، فتدنّت اليهودية بها وصارت سفسطات.

ومن ناحية أخرى كانت لليهودية تأثيرات سيئة على بعض المسلمين، وكانوا عوامل فرقة وفتنة فى الإسلام، ويذكر التاريخ أن أولى الفرق الإسلامية وهى **السبئية** أقامها

عبد الله بن سبأ اليهودى، وأن نثنئيل الفيومى وهو يهودى مصرى (توفى سنة ١١٦٥) قد كتب «بستان العقول» يرد فيه المذهب الاسماعيلى عند الشيعة إلى اليهودية، ويصف الاسماعيلية بأنهم فرقة يهودية. وفى العصر الحديث تلقى اليهود دعوة الباب ميرزا على محمد الشيرازى (١٨٦٠) «الباب الذى أشرقت منه على العالم الرغبة المعصومة للإمام المستور المصدر الأعلى لكل حقيقة وهداية»، وشقّوا شرخاً من شيراز فى أعماق الشرق الإسلامى الآسيوى إلى جبل الكرمل ومنه إلى تل أبيب، فكان الحِلف بينهم وبين بهاء الله خليفته الذى تنبأ ونشر رسالته فى «الكتاب الأقدس»، وزعم فيه أن الوحى ألقى إليه هذا اللوح الذى هو كتاب الله المحفوظ منذ الأزل. وبتوجيه من رءوس اليهود تطورت الدعوة من فرقة بابية إلى ديانة بهائية ناسخة للإسلام، بدعوى أن الشريعة الإسلامية قد انقضى عهدها انقضاء تاماً وبطل مفعول أحكامها، وكانت المؤازرة المستمرة للبهائية من جانب اليهود والسعى الدائب لنشرها فى الدنيا بأموالهم فيما تقول الوثائق، وأسسوا لهم معبد الأنكار الاشقباذية فى بلدة أشقباذ من تركستان الروسية قرب حدود فارس، ليقيموا فيه شعائر دينهم أحرارا آمنين من اضطهاد الدولة الفارسية الإسلامية، وحملوها إلى أمريكا فرسخوها هناك وجمعوا لها التبرعات لإقامة أكبر معبد لهم فى شيكاغو. وتظاهرت يهوديات أمريكيات باعتناق الدين البهائى وسعين حاجات إلى مقر النبى الفارسى فى جبل الكرمل ليلتقطن من فيه حكم الهداية الموحى بها إليه، ويعملن على نشرها فى وطنهن الغربى،وانبثّ مستشرقوهم فى المحافل الدولية ومؤتمرات الأديان يقدمون بحوثهم عن الديانة الجديدة، ودارت مطابعهم تنشر الكتاب الأقدس وسائر نصوص البهائية وتعاليمها، ونشروا معها نحو ثمانين كتاباً لمستشرقى اليهود فى الدين البهائى. وعكف الأحبار على أسفار التوراة يتأوّلون ما فيها من البشائر بالنبى المنتظر الذى يُبعث فى القرن التاسع عشر لميلاد المسيح عليه السلام، وهو العدد المقدس عند البهائية، وادعى بهاء الله بدوره أن الوحى اصطفاه للتنبؤ بتطهير بيت المقدس، وأمره بتبليغ بُشرى عودتها إلى شعب الله المختار، وإذ كانت فلسطين وقتئذ داخلة فى دولة الخلافة الإسلامية العثمانية فقد تقرر القضاء على هذه الدولة بكل ما تمثله ديناً وتاريخاً، وادّعى بهاء الله أنه تلقى فى كتابه الأقدس سورة الملوك، وَجهت أقسى الوعيد والنذير لسلطان تركيا. وتأوّل اليهود مقابل ذلك من حروف

القرآن نفسه ما يزيد افتتان البهائيين بالعدد تسعة عشر، وذهبوا إلى أن كل آية فى التوراة تشيد بمجد يهوه تعنى ظهور مخلّص العالم فى شخص بهاء الله، كما نسبوا جزءاً كبيراً من الإشارات والتلميحات التى فى الأسفار إلى جبل الكرمل، وفسّروا رؤى **سفر دانيال** بأنها تنبىء بقيام الحركة التى أوجدها «الباب»، وأولوا وقت حدوثها، فالثلاثمائة والألفان من الأيام التى يرد ذكرها فى هذا السفر قالوا هى فى الحقيقة ثلاثمئة وألفان من السنين. وبعد انقضائها «يثير القدس» أى يتطهر المعبد، وهى تنتهى تبعاً لتقديراتهم سنة ١٨٤٤ المسيحية، وهى السنة التى ظهر فيها ميرزا علىّ محمد وأوحى إليه أنه «الباب» الذى حل فيه العقل الكلى فى الدور الجديد لتجلّيه، وادعوا أن **عباس عبد البهاء** الذى خلف بهاء الله هو المقصود بالإمارة وسائر الألقاب الفاخرة العجيبة فى الإصحاح التاسع من **سفر إشعيا** «لأنه يولد لنا ولد ونُعطَى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسماً عجيباً، مشاراً إليه، قديراً أبدياً، رئيس السلام».

وإذن تكون **البهائية** مذهباً فى المسيحانية اليهودية **كالشباتية والفرنكية والعصيدية والصهيونية**، ولا تختلف كثيراً عن **الماسونية** التى هى بالقطع حركة باطنية يهودية، ونعلم يهوديتها من كونها ديانة طبيعية **deism** تقول بإله دون رسُل أو أنبياء، بدعوى أن الله يمكن إدراكه بالفطرة أو بالعقل، وكانت هذه هى دعوى اليهود فى كل تاريخهم المعاصر. **والماسونية** تتوجه بدعوتها لكل مؤمن بوجود الله، وتتملق كل الطوائف بالأخذ من كل الأديان حتى الدرزية والديونيسية، ولكنها فى الوقت الذى تضم إليها أعضاء من كل الأجناس والملل تحظر أن يكون من بين أعضائها يهود، والسبب أن الماسونية كالبهائية تهدف كما يقول **منشور كليمنت الثانى عشر** (١٧٣٨) الذى يحرّم نشاطها، إلى تقويض المسيحية وكل الأديان من داخل مجتمعاتها، حتى لا تبقى إلاّ ديانة واحدة هى اليهودية، يرتبط بها مصير اليهود بوصفهم الشعب الذى اختاره الله واصطفاه لهذه الديانة دون سواها، وهذا الهدف نفسه هو **التوصية الرابعة عشرة من البروتوكولات** الشهيرة: «تقويض كل أشكال الاعتقادات الأخرى حتى لو أدّى الأمر إلى إنكار وجود الله أصلاً، فإن ذلك لن يكون إلا لفترة مرحلية يسهل بعدها الدعوة لديانة موسى وإخضاع الناس لحكم اليهود من خلالها، ومن ثم لا يجوز أن يكون اليهود من

بين الماسونيين إلا أحباراً لها أى رؤساء»، ومن المعروف أن الماسونية حركة سرية لا يُعلَم عن مجالسها شيء، وقد حارت فى تعريفها كل الموسوعات البريطانية والأمريكية والألمانية والإيطالية والفرنسية والروسية، وقد ذكروا أن من بين رؤسائها **أدولف كريميو** صاحب البروتوكول المسمى ببروتوكول سنة ١٨٦٠ الذى يدعو اليهود إلى التمسك بيهوديتهم كديانة وقومية، وأن تكون ديانتهم الوحيدة هى وحدها ديانة الآباء، وأن لا يتخذوا أولياء لهم من بين المسيحيين أو المسلمين، وأن يفيدوا من كل الظروف فلم يعد بعيداً اليوم الذى تتحقق فيه نبوءات كتبهم، وأن يسود اليهود ويعود إسرائيل إلى أرض الميعاد ليحكم شعب الله المختار العالَم كما هى مشيئة رب اليهود. وليس ثمة من دليل على صحة نسبة البروتوكولات إلى اليهود من أنها قد صيغت بنفس الطريقة التى كتبت بها كتبهم الكبرى **التلمود والزهار والبهار وسِفر الخلْق (ياتسيرا)**، وهى الكتب التى أثّرت على تفكيرهم وشكّلته خلال كل العصور. ولا اختلاف يذكر بين كتاب البروتوكولات وبين هذه الكتب الآنفة، فالروح التى تسودها جميعاً واحدة، وهى الروح التى حملت **ابن ميمون** أكبر فلاسفتهم على أن يكتب كتابه الأشهر **«دلالة الحائرين»** بالعربية ولكن بحروف عبرية حتى لا يقرأ كتابه غير اليهود. والماسونية التى تتحدث عنها البروتوكولات لأكبر دليل على صدق نسبتها إليهم، وليس هناك من برهان على يهودية الماسونية من توجهها اليهودى أو روحها اليهودية، فالقبْلة الماسونية هى **هيكل سليمان** ببيت المقدس، **والمعبد الماسونى** قد أقيم على غرار هذا الهيكل **والطقوس الماسونية** هى نفسها الطقوس الإسرائيلية الأولى قبل أن تتطور إلى اليهودية المعاصرة، **وشارة الماسونيين** هى رسم **ليعقوب يهوذا ليون** (١٦٠٣-١٦٧٥) صنعه خصيصاً للماسونية، وهو صورة لما كان عليه الهيكل وتابوت العهد، واسم **الماسونى**، أى البنّاء، نسبة إلى النبى **سليمان** باعتباره البنّاء الأكبر. وقد كان الإيمان بالله شرط العضوية الماسونية أو كما يسمونها الأخوة، ثم أُسقط هذا الشرط مع المدّ الإلحادى الذى اجتاح المثقفين بعد الحرب العالمية الثانية واستقرار الشيوعية الدولية، ذلك لأن الماسونية لا تتوجه بدعوتها إلا للمثقفين من شَغَلَة المناصب الكبرى فى كافة التخصصات، لأنها بهؤلاء تزداد مكانةً وقوة، ثم إن هؤلاء هم القدوة فى كل المجتمعات، وهم المعوّل عليهم فى كل حين، وقد انكشفت خطورة الماسونية بعد أن تبين للمطّلعين أن معابدها بلغت تسعة آلاف معبداً تنتشر فى

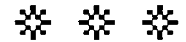
أنحاء العالم المتحضر فى الشرق والغرب. وبعد قيام إسرائيل أغلقت المعابد الماسونية فى فلسطين إلا معبداً واحداً صار هو المعبد الرئيسى على معابدها فى العالم.

ومن جهة أخرى فإن اليهودية تعمل على نشر ثقافتها بين اليهود وتقوية إحساسهم الدينى وانتمائهم الإسرائيلى، وقد جعلت من ذلك عِلّما أطلقت عليه اسم **اليهوديات** أو **علم اليهودية** Wissenschaft Des Judentums (١٨٢٢)، قيل إن هدفه دراسة التراث اليهودى وتمحيصه ونقده وبعث الوعى اليهودى بهذا التراث حتى لايذوب اليهود فى الشعوب التى يعيشون بينها، ومن ثم نجد أن عِلّم اليهودية قد برزت فيه ثلاث سمات، **الأولى** هى الوعى بالذات اليهودية، **والثانية** الدعاية المحلية بقصد التأثير الداخلى، **والثالثة** الدعاية الخارجية بقصد كسب المؤيدين للقضية اليهودية. وكذلك برز من فلاسفته ثمانية هم **رابورت، وزونس، ولوزاتو، وكروشمال، وفرانكل، وجايجر، ومونك، وشتاينشنايدر**. ولعل معرفة تخصصاتهم تفيدنا فى الإلمام بنواحى هذا العلم، فرابورت تخصّص فى الأدب التالمودى، ولوزاتو فى اللغويات العبرية. وكروشمال فى تفسير المشاكل العصرية فى ضوء اليهودية، ونبّه فرانكل إلى البعد التاريخى فى تطور المشناه والتالمود والهاسكلاه، ودرس جايجر الفِرَق اليهودية وكُتُب التفسير، وتخصص مونك وشتاينشنايدر فى دارسة المخطوطات العربية اليهودية، وكان من نتيجة هذه الدراسات مجموعة من الموسوعات منها **الموسوعة اليهودية الكبرى** Encyclopedia Judaica، ومن الأخطاء التى ترد فى هذه الموسوعة الأخيرة، والتى تفصح عن انحيازها غير العلمى، إيرادها **أمية بن أبى الصلت** وكأنه من اليهود، وطرحها وجهة نظر **جولدتسيهر** من علماء اليهوديات، التى تقول إن ابن الصلت كان له شعر نشره **شولتس**، به إشارات من التوراة عن الطوفان وإبراهيم ولوط وفرعون، كانت هى مصدر محمد نبى الإسلام فيما ورد منها فى القرآن. ورغم أن قصائد ابن الصلت المنشورة عنه يظهر بجلاء لقارئها أنها من انتحال المولّدين لافتقادها قوة الشعر الجاهلى، إلاّ أن ما يجزم بتهافات هذا الادعاء أن الحوادث التى ورد ذكرها بالقرآن قد تحدّى القرآن العرب أن يكونوا قد عرفوا بها، ولو كان صحيحاً أن ما جاء بشعر ابن الصلت هو مصدر القرآن لتنبه العرب لذلك ونبّهوا إليه محمداً عليه السلام وكفوه هذا التحدى. أما أن **سورة الأعراف**، الآيات من ١٧٤

فصاعداً، تحكى عن بلعام الذى ورد ذكره فى سفر العدد (٢٢/١ - ٢٤)، فإن هذا التفسير من فعل المسئولين عن الإسرائيليات. ولا ينطبق ما جاء بسفر العدد مع ما جاء بسورة الأعراف. وأما أن ابن الصلت من اليهود على ما يبدو من إيراد الموسوعة له فإنه لا يمت بصلة من قريب أو بعيد لليهود أو لليهودية، فأبوه **عبد الله بن أبى الصلت**. وأمه **رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف**. وهو حفيد أبى سفيان. وتوفى فيما يبدو فى العام الثامن أو التاسع من الهجرة، وقيل إنه كان يأمر بنبذ الأصنام، وأنه حرّم الخمر. وقد لبس المسوح ومال إلى الحنيفية. ولكنه لمّا سمع بدعوة محمد لم يؤمن بها وأغلق دونها قلبه بعد أن مات بعض أقاربه ببدر. وفيه يقول القرآن «واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبّع هواه، فمثله كمثل الكلب، إنْ تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث، ذلك مثَل القوم الذين كذّبوا بآياتنا، فاقصصْ القصص لعلهم يتفكرون». (سورة الأعراف ١٧٥ - ١٧٦).

ولسوف نلحظ أن هذا العِلْم اليهودى الذى كان سبب هذه الموسوعات التى نبّهنا إلى بعض ما بها من انحيازات، بل وكل المذاهب اليهودية بلا استثناء، هو نتاج تفكير، قيل فى وصفه إنه تفكير منَفَى، أى أنه قام فى النفى، بهدف تأكيد الشخصية اليهودية والانتماء القومى اليهودى، وتعميق الإحساس بمغايرة اليهودى، حتى لقد قيل إن اليهودية برمتها ديانة منَفَى. ونستطيع القول أن ما جاء بكتبها الكبرى **التوراة والتلمود والزهار والباهر** وسِفْر **الخَلْق** قد صدر عن عقيدة كعقيدة التحليليين النفسيين التى كثيراً ما سمعنا بها، وأن الكثير من هذه الكتب كالهذاءات فى المرض النفسى العقلى المعروف بالبارانويا. وقيل فى تفسير **سيكولوجية الفلسفة اليهودية** أنها فلسفة يحدوها وقوع اليهودى بين متناقضين: أن يكون منبوذاً، ومع ذلك من شعب الله المختار، فالمجتمع عندما يعتبر اليهود أقلية دينية لا تستحق الانتماء إليه، ومن ثم يرميهم بالدونية، فإن اليهودى يدافع عن نفسه ضد مشاعر الدونية، فيتوهم فى صورة اعتقاد جازم وإنْ يكن خاطئا،أنه أكثر تفوقا من بقية المجتمع،وأن المجتمع ينبذه لأنه متفوق عليه،وهذا هو التفسير السطحى الذى يتيح لليهودى أن يكون منبوذاً وفى نفس الوقت من شعب الله

المختار. غير أن **التفسير العميق** لسيكولوچية الفلسفة اليهودية يكمن فى اعتقاد الفيلسوف اليهودى الجازم، وإن يكن خاطئاً، بأنه موضع الاضطهاد من الآخرين، وأنه أعظم من الآخرين وإلاّ لما اضطهدوه كل هذا الاضطهاد، وهى أعراض **مرض الميجالومانيا**، أو هذاء الاضطهاد والعظمة، وتتلخص خطوات هذا المرض فيما يأتى: فالمفكر اليهودى يشعر **أولاً** بميول عدوانية تجاه الثقافة السائدة للغالبية من غير اليهود، وبرغبة فى تشويه هذه الثقافة بكل ما تتضمنه من معان وإيديولوچيات ومناحى تفكير وديانات، وفى إيذاء الأغلبية من غير سبب معقول. والمفكر اليهودى **ثانياً** يحاول أن يدافع عن نفسه ضد مشاعر العدوانية بأن يسقطها على الآخرين، ومن ثم يتوهم أن المجتمع المغاير يضطهده ويتآمر عليه، وأن الثقافة المغايرة تعاديه، ولذلك يحق له أن يردّ على اضطهاده باضطهاد منه لهذا المجتمع ولتلك الثقافة، ومن ثم يحق له أن يجعل من الكوجيتو الديكارتى «**أنا أفكر فأنا موجود**» كوجيتو صهيونياً يقول «**أنا أحارب وإذن أنا موجود**»، حيث الصهيونية هى أعلى أشكال التفكير اليهودى البارانوى. والمفكر اليهودى **ثالثاً** يتساءل: لماذا يضطهدوننى؟ ويجيب على نفسه: لأنى عظيم، وتراثى أعظم من تراثهم. فأنا من شعب الله المختار، وشعبى مقدس، وأرضى ولغتى، وكل فرد من هذا الشعب مقدس، والنبوة فيه مفتوحة، وتراثى كان أساس المسيحية والإسلام، والتوراة أساس الفلسفة الإغريقية وكل تفلسف، بل إن الله خلق العالم من تركيبات من الأبجدية العبرية لغتى». والمريض بالبارانويا يتلخص مرضه فى هذه الكليات: إننى أقوم باضطهاد الآخرين رداً على اضطهادهم لى، ولأنى أعظم منهم فهم ينبذوننى.



وتتبقى كلمة:

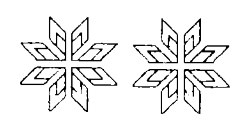
أن أنبّه إلى بعض ما عثرت عليه من أخطاء فى الكتب العربية التى تناولت موضوعات من الفلسفة اليهودية، **فالتوراة العربية** مثلاً تورد الفرسان بوصفهم **الفريسيين**، أى تورد الاسم العبرى كما هو ولا تعرّبه. وتورد الحصيديين على أنهم

الحسيديون، وتقول على **المقابيين** أنهم **المكابيون**، ويشايعها على هذه الأخطاء الكثيرة **قاموس الكتاب المقدس**. ومصدر الخطأ أنهم لا يبحثون فى الأصل الإيتيمولوجى لهذه الكلمات، ويترجمونها نطقا دون تعريب، ويقولون عن المؤاسين أنهم **الأسينيون**، ولو كانوا قد بحثوا فى أصول هذه الكلمات أو المصطلحات لعرّبوها التعريب الصحيح، ولعرفوا عن تاريخ اليهود الكثير من هذا الأصل اللغوى وحده.

وإنه لأمر غريب أن يورد **الدكتور على سامى النشار** فى كتابه «**الفكر اليهودى**» ترجمات عن بعض المستشرقين فلا ينسبها لهم صراحة، ويلف ويدور حتى لتحسبها بحوثا من عنده، ثم هو لا يدقق فى أسماء الكتب التى يوردها عن الأصل الأوروبى **لفيدا** وغيره، **فهو** يقول إن كتاب سعد الفيومى «**العقائد والاعتقادات**»، وصحته «**الأمانات والاعتقادات**، وكتاب باهى بن باقودا أو فاقودا «**واجبات القلوب**»، وصحته «**الهداية إلى فرائض القلوب والتنبيه إلى لوازم الضمير**»، وكتاب إبراهيم بن حيا «**تأمُّل النفس الحزينة عندما تدق على أبواب التوبة**»، وصحته «**تأمل النفس العزوفة**» وكتاب «**التصنيف الصغير للمنزل**»، وصحته «**مجلة المجلى**»، وكتاب يهوذا اللاوى «**خوزارى**»، وصحته «**الخرزى**»، وموضوع الميمونى «**بنود العقيدة**» وصحته «**أركان العقيدة**»، وكتاب هليل بن شموئيل «**جزاء النفس**»، وصحته «**جمال النفس**»، بالإضافة إلى أخطاء أخرى كثيرة منها **الشكينا** بدل **الشخيناه**، **والزُهر** بدل **الزهار**، والمركابا بدل **المركبة**، **وإسحق البالاج** بدل **البلج**، **وسعديا الفيومى** بدل **سعدى**، **وبهية باقودا** بدل **باهى**، **وسالمون بن جابيرول** بدل **سلمان** أو **سليمان بن جبريل**، **وإبراهيم بارهييا** بدل **إبراهيم بن حيا**، **وجوداها ليفى** بدل **يهوذا اللاوى**، **وليفى بن جرسون** بدل **لاوى بن جرشون** أو **جرشوم**، **وهسداى كرسكاس** بدل **حسداى قريشقش**.

وبعد .. فإنى أرجو أن أكون قد وفّقت، ففى الحقيقة أن الحقيقة متعددة الأوجه.. والسلام.

عبد المنعم الحفنى





الإبراهيميون Abrahamites

فرقة ادعت أنها على ملة إبراهيم عليه السلام بخلاف بقية اليهود، وأنكروا التلمود وقالوا إنهم ورثة الأحناف الذين ورد ذكرهم في القرآن، وأن ديانتهم هي ديانة الفطرة، وكانوا في الأصل من أتباع **يعقوب فرانك** أو **يعقوب السفاردي**، ثم استقلوا عنه بولاية تلميذه **أنطون زرنيفسكي**.



أبرابانيل Abrabanel

(نحو ١٤٦٠ ـ ١٥٢٣م) **يهوذا أبرابانيل** المعروف باسم **ليون العبري** Leo Hebraeus أو Leone Ebreo، صاحب كتاب «**محاورات في الحب**»، سطره شعراً بالإيطالية. ولد في لشبونة، وغادرها بعد قرار طرد اليهود من شبه جزيرة أيبريا سنة ١٤٩٢ إلى نابولي، حيث أقام بقية حياته وعلّم بجامعتها الطب والفلك، وهو من دائرة الثقافة الإسلامية، فأبوه **إسحق أبرابانيل** الطبيب الفيلسوف، درّس له بنفسه اللاهوت العبري والفلسفة العربية. وفي إيطاليا تأثر بتعاليم أكاديمية فلورنسا. وقيل إنه قد تحوّل إلى المسيحية، وقيل بل ادعى ذلك ليروج كتابه بين الإيطاليين. **والمحاورات** خليط من الفلسفة، ويدور الحوار بين العاشقين **فيلون وصوفيا**، وفيما يبدو أن فيلون المقصود هو **فيلون السكندري** (٢٠ ق.م ـ ٤٠م) أكبر ممثل للفكر اليهودي المثقف باليونانية في عصره، **وصوفيا** هي الحكمة، رمز هذه الثقافة، وكأنه يريد أن يعقد علاقة بين اليهودية والفلسفة، ويصوغ ليون الحب الذي بينهما في ثلاث محاورات، يعقد فيها الرياسة للحب الذي هو غاية الحياة والقوة الدافعة في المادة والصورة، وفي العناصر الأربعة والأفلاك،

وفى العالم الأرضى، وفى الإنسان والحيوان والنبات والجماد، وهو فيها جميعاً الغاية والوسيلة معاً، والمتعة المتحصلة منه ليست هى متعة التملك ولكنها متعة المحب فى اتحاده بفكرة الجميل والخير المتمثلين فى المحبوب، ومن ثم فتوجه الحب الذى يملأ الكون هو إلى اتحاد الخلق والمخلوقات بالجمال المطلق، الذى هو نفسه الخير المطلق والعقل الكلى، وهو اتحاد تهديه الإرادة، ويشكله العقل، وهو الحب العقلى لله الذى يطلبه من مخلوقاته ويرضيه فيهم، وهو عهد على الحب المتبادل بين العالَم وخالقه.

❊❊❊

أبرابانيل Abrabanel

(١٤٣٧- ١٥٠٨م) **إسحق بن يهوذا أبرابانيل** أو **أبراڤانيل** Abravanel كما ينطقه الأسبان، تصغيراً أو تحريفاً لإبراهيم الذى هو عندهم أبرابان أو أبراڤان- وهو من أهل الظاهر الذين ينأون عن التأويل ويلتزمون النص، ومن أجل ذلك عارض **ابن ميمون** وخاصة نظرياته الطبيعية فى أصل اليهودية والنبوة وتفسير المعجزات، وعنده أنها جميعاً لا ترتبط بزمان ولا مكان ولا حاجة طبيعية أو علم ضرورى، ولكنها إلهامات وإشراقات يؤتيها الله لمن يشاء وأنّى يشاء، ولا تفسير لها إلاّ بأنها من الإلهيات، وليست الإلهيات كالطبيعيات، ولا قانون هذه كقانون تلك. ويبدو أن أبرابانيل قد استخلص من تفسيره للتوراة أن الساعة قد دنت، ويبدو أن قرار طرد اليهود من أسبانيا نهائياً سنة ١٤٩٢، وخروجه هائماً إلى إيطاليا، قد تركا به جرحاً غائراً، فكتب «**إعلان الخلاص**» و «**ينابيع الخلاص**» يتنبأ بنزول المسيح، وانتقام اليهود من مضطهديهم، وعودتهم للأبد إلى أورشليم، يعيشون فى جنة مقيمة تحت مظلة المسيح وحكومة عالمية، ويحيون حياة تأمل ومعرفة خالصة بالله، وتلك آراء كانت إرهاصات بالحركات اليهودية المسيحانية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر. ولم يكن أبرابانيل يعتقد فى كمال أية حكومة سوى حكومة المسيح الموعودة، فأى نظام أرضى ليس سوى محاولة للاقتراب من النموذج السماوى الذى طرد منه آدم بسبب عصيانه

للناموس، ومهما حاولنا فلن نرقى إلى هذا الأصل أبداً، ولن توجد الحكومة المثلى قبل نزول المسيح، وإنما تتفاضل الحكومات، وأفضلها جميعاً هى التى تسير على الناموس، فتُرضى الله وتشبع حاجات الناس، وحكامها موظفون منتجون، ويرأسها مجلس السنهدرين أو مشايخ الدين، فإن الدولة والدين وجها عملة، ولم يكن سقوط إسرائيل إلا بسبب فصلها الدين عن الدولة.



إبن أخطب Ibn Ahktab

حُيى بن أخطب، من يهود عصر المبعث، فلسفته حسابية، فقد اتجه إلى تأويل حروف التوراة بالحساب العددى الأبجدى، ومن ثم نحا إلى تأويل أوائل السور واستنباط مدة بقاء الأمة الإسلامية بمقدار السنين التى يعطيها الحساب الأبجدى لحروف الفواتح. ويروى ابن إسحق فى سيرته النوبة أن **أبا ياسر بن أخطب** مرّ بالمصطفى عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة، فسمعه يتلو فاتحة سورة البقرة «ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين» فأتى أبو ياسر أخاه حيى بن أخطب فى نفر من يهود، فنقل إليهم ماس مع، وكان حيى من أخبث وأضرى قومه حقداً على الإسلام، فمشى فى النفر من قومه إلى رسول الله فسأله فيما تلا من فاتحة البقرة، فلما استوثق منه، قال لقد بعث الله قبلك أنبياء بيّن لكل منهم ما مُلكه وما أَجَلُ أمته، وما نعلمه من «ألم»- الألف **واحدة**، واللام ثلاثون، والميم أربعون، **فهذه إحدى وسبعون سنة**، ثم استطرد فقال يا محمد- هل معك مع هذا غيره؟ قال عليه الصلاة والسلام نعم «المص» (الأعراف)، فقال اليهودى هذه أثقل وأطول: الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون، فهذه إحدى وستون ومائة سنة. هل مع هذا غيره؟ فذكر عليه الصلاة والسلام «الر» (فاتحة سورة يوسف والحجر وإبراهيم المكيات) ، فحسبها اليهودى فبلغت ٢٣١ سنة. وسأل عن غيرها فذكر النبى عليه الصلاة والسلام «المر» (فاتحة سورة الرعد)، وأحصاها اليهودى فكانت ٢٧١ سنة. وعندها أمسك عن السؤال والعدّ، وقال

لقد لبس علينا أمرك حتى ما ندرى أقليلاً أعطيت أم كثيراً. وانصرف بمن معه، فتساءل أخوه أبو ياسر ما يدرينا، لعله جُمع هذا كله لمحمد، وأحصى مجموع ما سمعوا من حروف فبلغت ٧٣٤، فقال النفر من يهود لقد تشابه علينا أمره.

ومن ذلك التأويل اليهودى المبكر دخل القول **بالحساب العددى للحروف**- أبجد هوز- ينتقل فى قصص التفسير مع غيره من الإسرائيليات. وقد أنكرها أئمة من المحققين كالحافظ المفسر المؤرخ ابن كثير، وقال شيخ الإسلام الحافظ الحجة ابن حجر «وهذا باطل لا يعتمد عليه، فقد ثبت عن ابن عباس الزجر عنه، ولا أصل له فى الشريعة».



ابن إلياس Ben Elijah

(نحو ١٣٢٨- ١٣٦٩م) **هارون بن الياس** أو **هارون الأصغر**، تميزاً له عن هارون الأكبر أو ابن يوسف الذى عاش قبله بقرن.

وابن إلياس قرّاء تركى من دائرة الثقافة الإسلامية، اشتهر بكتابه «**شجرة الحياة**» (١٣٤٦) يعارض به كتاب «**دلالة الحائرين**» لموسى بن ميميون، ويبدأ بنقد شديد للفلسفة اليونانية أو **الشطحات الإغريقية** كما يسميها، مؤثرا عليها **علم الكلام** الذى هو أدخل إلى مجموعة العلوم العقلية، وأنسب لذلك لتفسير الكتب السماوية، ثم إنه وسيلة القرّاءين، وابن إلياس قرّاء كما ذكرنا، وأما الفلسفة فهى وسيلة الربّانيين الذين كان ابن ميمون منهم، والقرّاءون يعتمدون على العقل فى تفسير الشريعة واستخلاص الأحكام، والعقل هو وسيلة تحصيل المعرفة باللّه، وبه نعلم أن اللّه موجود، ولم يعرف أبونا إبراهيم اللّه إلا بالعقل وليس بالنقل، وعرف به أن اللّه واحد سرمدى لا يتغير.

وينكر ابن إلياس **التجسيم** ، ويبيح تأويل نصوص التوراة التى تصف اللّه بتجسيمه أو تشبيهه، ولكنه يحظر التأويل فيما عدا ذلك، ويرفض **السلوب المحض** الذى قال به ابن ميمون ، لأن كل سلب يتضمن بالضرورة الإثبات ، وليس صحيحاً أن إيجاب الصفات للّه

إشراك به. والعالَم ليس قديماً كما يقول الأرسطيون، بل هو مُحدَث، وحدوثه خير برهان على وجود اللّه، لأن كل محدث لابد له من صانع، والعالم مُركّب من ذرات تتصل فتكون الأجسام، وتنفصل فيحدث الفناء، والذرات ليس لها حجم وليست قديمة، وعلم اللّه محيط بكل شيء. والإنسان له مشيئة ومن ثم فهو مسئول، ولا تعارض بين مشيئة اللّه ومشيئة الإنسان، لأن من مشيئة الله أنه خلق الإنسان حراً يفاضل بين الخير والشر، غير أن الله يساعد المؤمن ويبسط للشرير، وقد يبتلى المؤمن، كما حدث لأيوب، ليعرف الإنسان أن خير الدنيا إلى زوال، وأن متعة الآخرة هى الأبقى، والتى ينبغى أن يكون عليها الطلب.



إبن تميم Ibn Tamim

(نحو ٩٠٠- ٩٦٠م) دوناش بن تميم، قيروانى وتلميذ إسحق الإسرائيلى، من دائرة الثقافة الإسلامية، وهو معتزلى له تعليق على سفر الخلْق (٩٥٦)، يرد به على تعليق سعدى الفيومى، ويبدو منه أنه مقتنع أن **الحكمة اليهودية**، إذا فسرت تفسيراً وافياً منذ عهد إبراهيم عليه السلام، إنما تتوافق مع نتائج العلم الذى ثبت ثبوتاً حاسماً. كما تبدو معلوماته **موسوعية**، فقد كانت علوم الحساب والفلك والفيزياء والطب مألوفة لديه مثلما كانت لدى أكبر علماء عصره. وفيما يختص **بالفلسفة**، فإن ما يبدو تقصيراً عنده، إنما نجده فى عمق آرائه الفلسفية وليس فى معلوماته الفلسفية. وكما فعل إسحق الإسرائيلى فقد تصدى ابن تميم لمسألة **صفات اللّه**، وذكر أن لغة التنزيل جاءت فى متناول ضعف العقل البشرى. ولما كانت عقليته علمية فقد أكد على **برهان وجود اللّه بواسطة الحركة**، وأن الذات الإلهية تسمو على الزمن الذى لا يمكن إدراكه قبل خلق الأجسام السماوية، وتتجلى قدرة اللّه الكاملة وعنايته فى نظام الكون العجيب. وقال إن الخلق هو الخير **الأعظم**، وليس الشر سوى عدم الوجود.



إبن جبريل Ibn Gabirol

(نحو ١٠٢١- ١٠٥٨/ ١٠٧٠م) **سليمان بن جبريل**، وشهرته **أبو أيوب سليمان يحيى**، ويعرفه اللاتين باسم **ابن جبريل** Avicebrol ، وهو من دائرة الثقافة الإسلامية، ووُلد فى ملقه وعاش فى سراقوسه، وكان شاعراً، ويعتبرونه من أعظم شعراء المدرسة اليهودية فى أسبانيا. وتعكس فلسفته الكثير من فلسفة **إخوان الصفا**، واليهودية بفلسفته غير ظاهرة، فهو لا يقتبس من التوراة ولا التلمود، ولكنه يحاول أن يجعل من الأخلاق اليهودية ووجهة النظر الإسرائيلية أخلاقاً ووجهة نظر عالمية، باللجوء إلى العقل غالباً، وكتابه الرئيسى «**ينبوع الحياة** Fons Vitae» وضعه بالعربية، وضاعت النسخة الأصلية، ولم تُحفظ إلاّ النسخة اللاتينية وملخص عبرى لها ، ولم يعرف أن كاتبها أڤيسبرول هو نفسه ابن جبريل إلاّ فى القرن التاسع عشر. ورغم أنه أفلوطينى إلا أن مذهبه يختلف بعض الشئ للأسوأ، فهو يجعل انبثاق العالم من الله، من ثنائية من مادة وصورة، تشمل الكائنات كلها وتتكرر فى جميع درجات العام والخاص، وتسير من أعلى إلى أسفل كل سلم الموجودات، فكأن هناك ثنائية فى الله هى إرادته وفعله، على عكس المذهب الشائع عن الأفلاطونية المحدثة، وهى الإرادة التلقائية، والعالم مدين بوجوده إلى فعل خلاّق إرادى وليس إلى عملية فيضية ضرورية كما هو فى الأفلاطونية المحدثة.وثمة نقاط أخرى غامضة عند ابن جبريل كقوله إن المادة والصورة متلازمان، ومع ذلك يجعل الصورة وحدها فى أغلب الأحيان هى التى تتولد عن الإرادة الإلهية دون المادة. ويعتذر لذلك بأن المادة لا تتولد من صفة إلهية ولكن من ذات اللهّ، ومع ذلك فإنا نقول له بأن الإرادة لا يمكن أن تَخلق بمعارضة الذات الإلهية، ولكنها مرتبطة بها وهى تقوم بالخلق. فالعمل الخلاّق لا يكون حراً حرية كاملة ولكنه محدود بقانون مغروس فى ذات اللهّ،أعنى بإمكانيات الخلق التى تتجسد فى المادة وهى أساس الوجود الذى ينشأ فى الذات.ولكى يرأب ابن جبريل هذا الصدع فى نظريته فى العلاقة بين إرادة الله وذاته يقول إن الإرادة فى وجودها بصرف النظر عن فعلها هى الله. ولا تتميز إلا عندما تبدأ فى الفعل. وكذلك فإن الإرادة تصير لانهائية حينما لا تعمل. وتبعاً لهذا تكون

الإرادة فى منتصف الطريق بين مظهر الذاتية الإلهية وبين أقنوم خارجى عن الله. وهو موقف غير مفهوم. ويشبّه ابن جبريل الإرادة بالحكمة أو كلمة الله. وهو نظر يتصل بنظرية اللوجوس، ويذكرنا بفيلون دون أن يكون باستطاعتنا الربط التاريخى بين المفكر اليهودى السكندرى وبين هذا الأفلاطونى المُحدَث السراقوسى.



ابن جرشون Ben Gershon

(١٢٨٨- ١٣٤٤م) **لاوى بن جرشون** المعروف عند اللاتين باسم **الجرشونى** Gersonides. وكتابه «**سفر ملاحم الرب**» الذى جمعه من آراء الفارابى وابن سينا وابن رشد على **الخصوص**، يناقش فيه الفلسفة الدينية، ويطرح الآراء السابقة عليه وما أثير حولها من اعتراضات ، ثم يثنى عليها بما يراه هو نفسه، مقدماً ذلك بعبارة «**ويقول اللاوى**». وأفكاره يبدو فيها بوضوح تأثير المذهب المشائى من أرسطو نفسه، ومن شُرّاحه ثيمسطيوس والإسكندر الأفروديسى، ومن خلال تعليقات ابن رشد. والواقع أن **ابن رشد** موجود فى كل صفحة من الكتاب، ويعود به إلى مذهب أرسطو الصحيح، ويقول معه ضد **ابن ميمون** إن العلاقة بين صفات المخلوقات وصفات الله ليست سوى علاقة بالتشكيك، بمعنى أنها تختص بالله فى كمالها وصفاتها، وبالمخلوقات بالاشتقاق والمشاركة. ويستخدم ابن جرشون كابن رشد **البرهان الغائى** ، ليثبت وجود الله وأن العالم مخلوق . ولكنه عكس ابن ميمون يقول مع أرسطو أنه مخلوق من مادة قديمة وليس من العدم، إلاّ أن قدمها لا يعنى أنها فوق الزمن . فطالما أن فعلها داخل العالم المخلوق فإنها تكون قديمة ولكنها تحت الزمن. ومع ذلك إذا كانت المادة قديمة بشكل ما ، وإذا كانت الصور وحدها تصدر عن الله، فمن الواضح أن الله لا يستطيع معرفة المخلوقات العديدة الفردية التى تولد من اتحاد الصورة بالمادة، بمعنى أن الله يعرف **العام** وحده ولا يعرف **الجزئى** من حيث هو جزئى ، وعلى هذا الوجه فإن الله لا يعرف إلا ذاته من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن **معرفته** التى تسمو على المقابلة

بين الكلى والجزئى تحيط علماً بكل شىء. وتحديد علم الله بهذه الطريقة يشكل عند ابن جرشون حجة لصالح **حرية الإنسان**، فطالما أن الجزئى يخرج عن نطاق العلم الإلهى فإن ما يقرره الإنسان خاصاً به لا يدخل مجال هذا العلم. وحتى **العقل الإلهى** يقتصر عند ابن جرشون كما هو عند ابن رشد على خلق مايسميه **العقول المفارقة**، وهى مخلوقات لامادية تفيض منها الصور على العالم المادى، وحالما تخلق هذه العقول تتولى حكم العالم، وهى لا تدير نظام الطبيعة العادى فحسب، بل أيضاً تصنع النبوة والعناية الإلهية وحتى المعجزات.



Ibn Hephni إبن حفنى

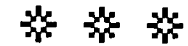
(توفى ١٠١٣م) **شموئيل بن حفنى**، عراقى وزعيم المرسة التلمودية بها فى زمانه، ثقافته عربية، وفلسفته كلامية، وهو يستعير من **علماء الكلام** نظريتهم عن صفات الله، فالله حىّ وعالم وقادر بذاته وليس بصفاته التى تتميز عنه، وتفسيره لأسفار موسى الخمسة يُظهره **عقلانياً** بعض الشىء. وهو يرفض التنجيم والسحر، ولا يقر بالمعجزات إلاّ للأنبياء، وعلى ذلك **يرفض الخوارق لأولياء عصر التلمود.**



Ben Hiyya إبن حيّا

(المتوفى نحو ١١٣٦م) **إبراهيم بن حيّا** من دائرة الثقافة الإسلامية، شارك فى ترجمة العديد من الكتب العربية إلى اللاتينية، وأسهم فى نقل المعرفة العلمية العربية إلى أوروبا. وفلسفته يطرحها فى كتابيه «**مجلة المجلى**» (بضم الميم الثانية)، و «**تأمل النفس العزوفة**»، ففى البدء خلق الله كل شىء بالقوة فكانت مادة وصورة وعدم، ثم رفع الله العدم وربط الصورة بالمادة فكانت الأشياء، وكان الإنسان على قمتها، وتميز

بقدراته العقلية، وإرادته وتفريقه بين الخير والشر، فإذا أخطأ فهو الوحيد الذى يمكنه أن يتوب، والأرض هى عالم الفناء، وأرقى مراتب الإنسانية هى **مرتبة الزاهدين**، والعالم كما كانت له بداية فستكون له نهاية، ولقد خلقه الله فى سبعة أيام، وتقابلها سبع فترات تاريخية، أو سبع مراحل حضارية، ومن ثم **فنهاية العالم** ستكون سنة ١٣٨٣م، **والقيامة** سنة ١٤٤٨م، ولن تقبل التوبة إلاّ من المؤمنين بالتوراة، ولهؤلاء وحدهم سيكون الخلود. وكان لأحاديث ابن حيّا عن القيامة الأثر الكبير على الكثيرين، ومنهم يهوذا اللاوى والقباليين من المدرسة الألمانية.



إبن داوْد Ibn Da'ud

(نجو ١١١٠- ١١٨٠م) **إبراهيم بن داود** أو داوْد كما اشتهر، أندلسى من دائرة الثقافة الإسلامية، كتابه «**العقيدة الرفيعة**» باللغة العربية، صورة من فلسفة **ابن سينا**، ويعد أول محاولة **يهودية فى التأليف للفلسفة**، تتغلب فيه الفلسفة المشائية فى صورتها الإسلامية، فمهّد بذلك لمن جاء بعده لينظر فى التوفيق بين أرسطو والدين الإسرائيلى. **والفلسفة** عنده كما هى عند ابن سينا لا تتعارض مع الدين، **والتوراة** كتاب يحوى كل شىء، والمعرفة التى يطرحها لم تتيسر لغير شعب اليهود إلا بعد آلاف من السنين. ويأخذ داوْد براهينه فى إثبات وجود الله، وخاصة **برهان الضرورى والممكن**، من ابن سينا، ويتابعه على غير ما تقول به اليهودية، فيؤكد على **حرية الإنسان** فى حدود أن الممكن عند الله يظل ممكناً من غير أن ينتقص ذلك من قدرة الله وإرادته، **والمذهب الأخلاقى** القائم على الأخلاق العقلية يتمشى مع الكتاب المقدس الذى يقول بأخلاق دينية، وغاية الإنسان تحصيل المعرفة، ولكنها أخيراً **المعرفة بالله** التى هى أساس حب الله، ويتحقق كمال الإنسان ويبلغ سعادته عندما تكون له فى النهاية **المعرفة والحب** معاً.



إبن داود Ben David

(١٧٦٢- ١٨٣٢م) **اليعازر بن داود**، ألمانى من أتبـاع **كنط**، يعكس فى كتاباته هموم جيل ما بعد **مندلسون**، وكان يعتبر **اليهودية الإصلاحية** الوسيلة الوحيدة لمنع اليهود من اعتناق المسيحية، ونصح لذلك بإلغاء الطقوس التى تجعل من اليهودية شيئاً متميزاً عن المسيحية، والتى تنفر اليهود أنفسهم من اليهودية، وقال **باندماج اليهود** فى مجتمعاتهم وتقبلهم للثقافة الغربية، وهذا ما جعل **كنط** يظن أن ابن داود ينصح قومه باعتناق المسيحية، ولذلك فقد نصح كنط اليهود بناءً على أفكار ابن داود أن يُقبِلوا على المسيحية، فتكون لهم **أخلاق دينية**، ومن ثم يكون لهم دين.



إبن سبأ Ibn Saba

عبد الله بن سبأ (انظر السبئية)



إبن سلام Ibn Salam

عبد الله بن سلام، تُروىَ عنه الكثير من الأحاديث التى عرفت باسم الإسرائيليات، وكان إسرائيلياً أسلم والرسول فى مكة على رأى، وأسلم بعد الهجرة فى رأى آخر، وكان يدعى فى يهوديته **الحصين بن سلام بن الحارث**، فلما أسلم سمّاه الرسول **عبد الله**. وهو من **بنى قينقاع**، وذكر أنه كان شريفاً فى قومه وحبراً عالماً، فلما أسلم نبذه قومه وتحدثوا فيه، وفيه نزلت الآية «وشهد شاهد من بنى إسرائيل» (الأحقاف ١٠). وكان اليهود قد جاءوا إلى النبى صلّى الله عليه وسلم برجل وامرأة قد زنيا، فقال لهم كيف تفعلون بمن زنى منكم، قالوا نحممهما ونضربهما، فقال لا تجدون فى التوراة الرجم، فقالوا لا نجد فيها شيئاً، فقال لهم عبد الله بن سلام كذبتم، «فأتوا بالتوراة

فاتلوها إن كنتم صادقين»، (آل عمران ٩٣) فوضع مدراسها الذى يدرّسها منهم كفه على آية الرجم، فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم، فنزع ابن سلام يده عن آية الرجم، فقال ما هذه، فلما رأوا ذلك قالوا هى آية الرجم، فأمر بهما فرُجِما. ورُوِى عن معاذ بن جبل قال: إن العلم والإيمان عند أربعة أرهط، عند عويمر أبى الدرداء، وسلمان الفارسى، وعبد الله بن مسعود، **وعبد الله بن سلام** الذى كان يهوديا فأسلم، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه عاشِر عشرة فى الجنة. وكان لابن سلام ابنان يوسف وأحمد، فكنّوه باسم أولهما، وله حديث عن الرسول، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار وامرأه: «اعتمرا فى رمضان فإن عمرة من رمضان لكما كحجة». وروى صاحب الفهرست أن **أحمد بن عبد الله بن سلام** ترجم التوراة ترجمة دقيقة، وقيل إن ترجمته كانت سبباً فى إدخال المزيد من الإسرائيليات إلى تفسير القرآن. وشهد ابن سلام مع عمر فتح بيت المقدس والجابية. ولما كانت الفتنة بين علىّ ومعاوية، اتخذ سيفاً من خشب واعتزلهما، وأقام بالمدينة إلى أن مات سنة ٤٣هـ، وقيل له خمسة وعشرون حديثاً.



إبن السوداء Ibn al- Sawda

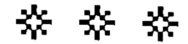
عبد الله بن السوداء، قال المقريزى فى الخطط أنه وعبد الله بن سبأ شخص واحد، والأوصاف التى يُنعَت بها كلٌ هى الأوصاف التى يُنعت بها الآخر. وقال المحققون إن ابن السوداء كان على هوى دين اليهود، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته فى علىّ وأولاده، لكى يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى فى عيسى عليه السلام، فانتسب إلى الرافضة السبئية حين وجدهم أعرق أهل الأهواء فى الكُفْر، ودلّس ضلالاته فى تأويلاته. وذكر البغدادى أن ابن السوداء كان يعين السبئية على قولها، وأنه كان فى الأصل يهودياً من الحيرة فأظهر الإسلام، وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق، فذكر لهم أنه وجد فى التوراة أن لكل نبى وصياً، وأن علياً رضى الله عنه

وصى محمد صلّى الله عليه وسلم، وأنه خير الأوصياء، كما أن محمداً خير الأنبياء، فلما سمع ذلك منه شيعة علّى، قالوا لعلىّ إنه من محبيك، فرفع علىّ قدره وأجلسه تحت درجة منبره، ثم بلغه غلوه فيه فهمّ بقتله، فنهاه ابن عباس عن ذلك، وقال له إنْ قتلته اختلف عليك أصحابك، وأنت عازم على العود إلى قتال أهل الشام وتحتاج إلى مدارة أصحابك، فلما خشي من الفتنة التى خافها ابن عباس نفاه إلى المدائن، فافتتن به الرعاع بعد قتل علىّ رضى الله عنه. **(أنظر السبئية)**



إبن شموئيل Ben Samuel

(نحو ١٢٢٠- ١٢٩٥م) **هليل بن شموئيل**، إيطالى، فلسفته عقلية على طريقة ابن ميمون، وبسببه صدر الحكم بحرمان سليمان بن إبراهيم من مونبلييه، الذى كان يؤلب يهود جنوب فرنسا على مذهب الميمونى فى تأويله التوراة بالفلسفة اليونانية، وخاصة عند أرسطو. ولابن شموئيل كتاب وحيد «**جمال النفس**» (نحو ١٢٨٨) عبارة عن ترجمات لابن رشد فى هذا الموضوع، ولآخرين من المشايعين للفلسفة الرشدية.



إبن صدّيق Ibn Tzaddik

(المتوفى ١١٤٩م) **يوسف بن صدّيق**، القرطبى الأندلسى، من دائرة الثقافة الإسلامية، يستخدم مذهب الأشاعرة ليهاجم به مذهب المعتزلة عند اليهود القرّاءين، خاصة يوسف البصير، فمن رأيه أن **الله** هو صفاته، وهو يقول كإخوان الصفا أن الحكمة هى تحصيل المعرفة بالله وتبدأ الحكمة عندما يعرف الإنسان نفسه، وكمال **الحكمة** أن يعمل بمقتضى المعرفة بالله، أى أن يتمثل الإنسان العارف صفات الله فتكون له قدوة، ولكن ابن صديق يظل يهودياً مع كل ما يقبسه من الثقافة الإسلامية،

فهو ينكر البعث الجسمانى، ويقول إن البعث لا يكون إلاّ للفضلاء بالعودة إلى الحياة عودة روحية فى عهد المسيح الذى هو المهدى المنتظر، ليحيوا فى ظل عدله نعيماً مقيماً وسعادة أبدية.



إبن عزرا Ibn Ezra

(نحو ١٠٥٥- ١١٣٥م) **أبو هارون موسى بن يعقوب بن عزرا**، أندلسى من دائرة الثقافة الإسلامية، ويعتبر مرجعاً فى الشعر اليهودى الأندلسى، وله فيه «**كتاب المحاضرة والمذاكرة**» بالعربية، وله «**ديوان**» معظمه موشحات كالموشحات الأندلسية، وكتابه فى الفلسفة «**الحديقة فى معنى المجاز والحقيقة**» يقول فيه بالفيض والعقل الفعّال، وينسب إلى فيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأرسطو كثيراً من الأقوال التى لم تُذكر عنهم.



إبن عزرا Ibn Ezra

(١٠٨٩- ١١٦٤م) **إبراهيم بن عزرا**، أسبانى من دائرة الثقافة الإسلامية، قيل إن ابنه الوحيد **موسى** تحوّل إلى الإسلام فارتحل ابن عزرا عن بلاد الإسلام، لا يقربها بقية حياته، متنقلاً بين أوساط اليهود فى فرنسا وإيطاليا. وهو من فحول شعراء العبرية، يقرضه على الطريقة العربية الأندلسية، سواء فى البحور أو القافية أو فى شكل القصيدة أو المقامة، ومن خلاله انتقل التأثير العربى إلى الشعر اليهودى والأوروبى. وفلسفته أفلوطينية تنتثر فى تفسيراته للتوراة، وعلمه بها من خلال قراءاته لسليمان بن جبريل،**ومذهبه** يقرب كثيراً من **مذهب الحلوليين**، فاللّه هو المبدأ الأول الذى منه تفيض كافة العقول والعوالم، والخلود للنفس بعودتها للنفس الكلية، وهذه باتصالاتها بنفس

النبى يكون الوحى، **وعلم الله** كلى، وكذلك **عنايته** كلية، **والعالم** مخلوق من مادة قديمة غير مخلوقة، **وأقدار الناس** معلقة بتعييناتهم النجمية، ولا يفلت من هذا التعيين الأفراد الذين تكون نفوسهم فى اقتران مع النفس الكلية، وكذلك الإسرائيلى عندما يكون مخلصا فى الاتحاد مع الله، **وقصة الخلق** فى الكتاب المقدس لا قيمة لها إلاّ بالنسبة للعالَم المحسوس الذى له بداية زمنية. ويحمل ابن عزرا بشدة على **الأخطاء** التاريخية فى أسفار التوراة الخمسة، وكان **سبينوزا** من المتأثرين بنقده، ولكنه بشكل عام فيلسوف متوسط القيمة، أسلوبه مقتضب أحيانا إلى حد الغموض، ويعجز فى كثير من الأحيان عن تناول المسائل التى تعرّض لها بنضوج، رغم قسوة نقده وملاحظاته النافذة.



إبن فاقوده Ibn Paquda

(النصف الثانى من القرن الحادى عشر) **باهى بن يوسف بن فاقوده، وابن باقودا** أيضا، من دائرة الثقافة الإسلامية، عاش فى سراقوسه بالأندلس، وكان قاضى جاليتها اليهودية، ونُسب إليه خطأ «**كتاب معانى النفس**»، وله كتاب «**الهداية إلى فرائض القلوب، والتنبيه إلى لوازم الضمير**» بالعربية، وقيل إنه **أول كتاب فى الفلسفة اليهودية الأخلاقية**، وهو صورة من الكتب الأخلاقية الإسلامية، يحفل بالاقتباسات من فلاسفة المسلمين والأدب العربى والحكايات العربية، ولذلك قيل إن الربّانيين حاكموه لميوله الإسلامية الواضحة، وخاصة **اتجاهاته الصوفية الإسلامية** ، ونقده للأحبار لاهتمامهم بالشعائر التى يسميها **الفرائض الجسمانية** ، وهو يعرّفها بأنها التسليم لله الخالق الواحد الأحد، والشكر له والتوبة عمّا يغضبه، ويبرهن على وجود الله **ببرهان الصانع** يأخذه من المعتزلة، **والبرهان الغائى** يدلّل به على طريقة إخوان الصفا.



إبن كمونه Ibn Kammuna

(نحو ١٢١٥ - ١٢٨٥م) **سعد بن منصور بن كمونه**، بغدادى، من المدافعين عن اليهودية ضد خصومها اليهود المرتدين إلى الإسلام، وأخصهم **السموأل المغربى**

صاحب كتاب «**إفحام اليهود**». ومصنفه «**تنقيح الأبحاث للملل الثلاث**» باللغة العربية، يقدم له بفصل عن النبوة، ينقله من أقوال **لابن سينا والغزالى والرازى والميمونى**، ولا يشير فيه إلا لاسم الرازى، ثم هو يحاول التصدّى بالشرح لأسس الديانات الثلاث، متهماً الإسلام بالنقل عن اليهودية، وعدم انطباق شروط النبوة على النبى عليه الصلاة والسلام، الأمر الذى أثار حفيظة الجماهير عليه، فهاجمت داره عقب صلاة الجمعة، وساعده الحاكم على الهروب من بغداد.



إبن لطيف Ibn Latif

(نحو ١٢١٠- ١٢٨٠م) **إسحق بن إبراهيم بن لطيف**، من دائرة الثقافة الإسلامية، وقراءاته فى الفلسفة اليونانية من خلال المصنفات العربية، ومعظم اقتباساته من **الفارابى**، ويأخذ منه نظريته فى **المدينه الفاضلة**، **والنبى** الذى هو الملك الفيلسوف، ويبدو فى فلسفته التأثر الواضح بابن جبريل والميمونى، ويتابع كتاب ينبوع الحياة لابن جبريل فى كثير من أفكاره، وهو أفلوطينى يمزج الفلسفة بالتصوف، ولذلك يصف بعضهم طريقته بأنها بدعة ، ويراها آخرون فتحاً جديداً له صداه عند قريشقش.



إبن منبه Ibn Munabbih

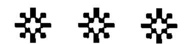
(٣٤- ١١٤ هـ) **أبو عبد الله وهْب بن مُنَبّه اليمانى الصنعانى**، من رواة الإسرائيليات من التابعين، أبوه من خراسان، وأُرسل إلى اليمن فى زمن كسرى أنو شروان، وأسلم فى حياة النبى صلّى الله عليه وسلم.ونشأ وهب فى اليمن وولى القضاء لعمر بن عبد العزيز، وأخرج له البخارى وأبو داود والنسائى والترمذى، وقيل إن له كتاب «**المبدأ**» وكتاب «**الإسرائيليات**» وأنه كتب كتاباً فى **القدر**، وقيل إنه كان صاحب

علم ولكنه لم يكن بتورع عن التلفيق، شأنه فى ذلك شأن زميليه من مسلمة اليهود **كعب الأحبار وابن سلام**، وقد لاحظ ابن قتيبة الفرق بين معلوماته عن بدء الخلق وبين سِفر التكوين. وكان يقول قرأت اثنين وتسعين كتاباً، كلها أنزلت من السماء، اثنان وسبعون منها فى الكنائس، وعشرون فى أيدى الناس، لا يعلمها إلا قليل، ووجدت فى كلها أن من أضاف إلى نفسه شيئاً من المشيئة كفر. ومن كتبه **«ذكر الملوك المتوّجة من حِمْير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم»**، وله أيضاً **«قصص الأنبياء»** و **«قصص الأخيار»**. ويقال إنه حُبس فى كبره وامتحن، فقلد ضربه يوسف بن عمر لمّا ولى اليمن، وكان يوسف من جبابرة الولاة فى العهد الأموى. وقيل إن وهب مات متأثراً من ذلك.



إبن موسى Ben Moses

(١١٨٦- ١٢٤٧م) **إبراهيم بن موسى بن ميمون**، من دائرة الثقافة الإسلامية، أبوه **موسى بن ميمون**، وقد تولى بعده رئاسة الطائفة اليهودية فى مصر، ونهج نهجه فحاول التوفيق بين الربّانية والفلسفة، وناصر **العقل** على النقل، إلاّ أنه اختلف عن أبيه فى أشياء، فبينما أبوه كان عقلانياً وميوله أكثر إلى الفلسفة، فإن إبراهيم كان من أهل **الكشف** واتجاهاته صوفية، وكتابه **«كفاية العابدين»** بالعربية موسوعة فى **الصوفية**، وتأثير صوفية المسلمين فيه واضح، وعنهم أدخل الوضوء وغسل القدمين قبل الصلاة، والوقوف فى صفوف متراصة عند الصلاة، والجلوس على الفخذين عند القراءة، والسجود فى الصلاة. وغاية الفلسفة عنده **الاتحاد بالله** وليس معرفة الله كما هى عند أبيه، فبعد المعرفة تكون المرتبة الأعلى وهى الاتحاد، ولم تعجب طريقته الكثيرين لتقليدها المسلمين.



إبن ميمون Ben Maimon

(١١٣٥- ١٢٠٤) **موسى بن ميمون**، أعظم فلاسفة اليهود فى دائرة الثقافة الإسلامية وفى القرون الوسطى فى أوروبا، ويعرفه العرب باسم **أبى عمران عبيد الله**

موسى بن ميمون، ويعرفه اللاتين باسم **الميمونى**Maimonides، ولد بقرطبة الأندلس، وأقام بمصر، وبها وضع أغلب مؤلفاته، وذكره **ابن أبى أصيبعة** فى طبقاته فقال: هو **الرئيس أبو عمران**، كان عالماً بسنن اليهود، ويعد من أحبارهم وفضلائهم، وكان رئيساً عليهم فى الديار المصرية، وهو أوحد زمانه فى **صناعة الطب** وفى أعمالها، متفنن فى العلوم، وله معرفة جيدة فى الفلسفة، وكان السلطان الملك **الناصر صلاح الدين** يرى له ويستطبه، وكذلك ولد الملك **الأفضل علىّ**، وقيل إن الرئيس قد أسلم فى المغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه، ثم لمّا اتجه إلى الديار المصرية وأقام بفسطاطها ارتدّ. وقال عنه **أبو الفرج الملطى المعروف بابن العبرى** «كان موسى قد قرأ علم الأوائل بالأندلس، وأكره على الإسلام فأظهره وأسرّ اليهودية، ولمّا ألزم بجزئيات الإسلام من القراءة والصلاة فعل ذلك، إلى أن أمكنته الفرصة فخرج من الأندلس إلى مصر، ونزل الفسطاط بين يهودها، فأظهر دينه وأرتزق بالتجارة، وكان عالماً بشريعة اليهود، وصنّف كتاباً فى مذهب اليهود سماه **بالدلالة**، وبعضهم يستحبه، وبعضهم يذمه ويسميه **الضلالة**، وغلبت عليه النحلة الفلسفية فصنّف رسالته فى **المعاد الجسمانى**، وأنكرها عليه اليهود فأخفاها إلاّ عمّن كان يرى رأيه، ورأيتُ جماعة من يهود بلاد الإفرنج بأنطاكية وطرابلس يلعنونه ويسمونه كافراً». وكذلك ذكره **عبد اللطيف البغدادى** فقال «عمل موسى كتاباً لليهود سمّاه كتاب **الدلالة**، ولَعَنَ من يكتبه بغير القلم العبرانى. وقفتُ عليه فوجدتُه كتاب سوء، فصلّ أصول الشرائع والعقائد بما يظن أنه يصلحها».

وتشمل كتابات موسى الفلسفية **رسالة فى المنطق** باللغةالعربية، يذكر فى بدايتها «أن المنطق لا يعد علماً قائماً بذاته، بل هو وساطة إلى تمرين التلميذ والمعلم على البحث، وتنظيم التفكير تنظيماً معقولاً، وهو للعقل كالقواعد للغة، فكما تعين القواعد على فهم اللغة، يرشد المنطق إلى مسالك الضبط وتنظيم العقل». وكذلك كتب بالعربية كتاب **السراج**، يهمنا فيه صدره الذى بحث فيه تاريخ نشأة **الرواية والإسناد** عند اليهود. وكتاب «**تثنية التوراة**» الذى أحدث فتنة بسبب اعتماده على العقل أكثر من النقل، وقيل لأنه أدخل فيه وهو الكتاب التشريعى نظريات فلسفية مستقاة من مصادر غير

إسرائيلية، وأنه لم يقل رأيه صراحة فى **المعاد الشرعى** وفقاً لتعاليم أحبار التلمود، فى حين وجه عناية مفرطة إلى البحث فى الروح فى الدنيا والآخرة، الأمر الذى جعل الناس يعتقدون أنه لا يؤمن ببعث الأجسام، وقد اضطره ذلك إلى أن يفرد كتاباً للبحوث الفلسفية، فكان مصنفه الأكبر «**دلالة الحائرين**»، كتبه باللغة العربية بالحروف العبرية، رغبةً منه فى أن ينتشر الكتاب بين جماهير اليهود فى البلاد العربية دون العرب، ولأنه خشى أن يثير بعض ما جاء فيه من المعارضة للمتكلمين والمعتزلة والأشعرية فتنة عليه، فيتناولون تعميماته بالرد الواجب، خاصة أنه لم يتوخ فيها الموضوعية، ولم يقدم الدليل عليها، بالإضافة إلى أنه يذكر أنه يعارضها، ثم عندما يتحدث تفصيلاً يبين أنه يوافقها فيما يخص الديانتين الإسلامية واليهودية من أمور عامة. وقد تورط فى أخطاء نحوية لا تُحصَى تثير الشك فى حقيقة مقدرته، خاصة أنه ينقل عبارات بأكملها من المؤلفين العرب لا ينسبها لأصحابها. وكتابه خليط من مبادىء أرسطو ونظريات فلاسفة المسلمين، صبغها بصبغته الخاصة، ووجّهها وجهة يهودية. وهو متأثر بأرسطو، الذى عرفه من خلال الترجمات العربية عند ابن حنين، ويحيى النحوى، والغزالى، وابن باجه، وابن طفيل، وثابت بن قرة، والقبيصى، وبان أفلح الإشبيلى، والرازى، والفرغانى، والحرّانى، والفارابى، والمتكلمين، وتأثره بالفارابى شديد، وهو يتابعه حتى فى الأسلوب، ويمد تأثيره فيه إلى كتابه اليهودى «**تثنية التوراة**».

أما غرضة من تاليف **دلالة الحائرين** فلم يكن «نقل كتب الفلاسفة أو تلخيص معانى العلم الإلهى على بعض المذاهب، إذ الكتب المؤلفة فى جميع ذلك كافية، وإنما الغرض أن أبيّن مشكلة الشريعة، وأظهر حقائق بواطنها التى هى أعلى من أفهام الجمهور، فلذلك ينبغى لك (والكلام هنا ليوسف بن عقنين تلميذه) إذا رأيتنى أتكلم فى إثبات العقول المفارقة وفى عددها، أو فى عدد الأفلاك وفى أسباب حركتها، أو فى تحقيق معنى المادة والصورة، أو فى معنى الفيض الإلهى ونحو هذه المعانى، فلا تظن أو يخطر ببالك أنى إنما قصدت لتحقيق ذلك المعنى الفلسفى فقط، إذ تلك المعانى قد بُسطت فى كتب كثيرة، وبُرهن على صحة أكثرها، بل إنما أقصد لذكر ما يبين مشكلة من مشكلات الشريعة، فأفهمها وأحلّ عُقَداً كثيرة بمعرفة ذلك المعنى الذى ألخصه». وهو هدف نرى

أن معظم فلاسفة اليهود يتوخونه، فلا يغرنّ القارىء لهم أنهم فلاسفة يتحدثون فى اللغة أو فى الوضعية أو الجشطلت أو الكنطية أو علم النفس أو الاقتصاد، فإنما هى أمور يتوسلون بها لبسط جانب من ديانتهم التى يعدّونها **خاصتهم القومية**، وقد بسط ابن ميمون رأيه فى كتابه عن **ماهية الله** مثلاً، وشرح العبارة الشهيرة ٢٦ من الفصل الأول من سفر التكوين «**نصنع إنساناً على صورتنا وشبهنا**»، وقال: إن الناس قد ظنوا أن لفظ صورة فى اللسان العبرى يدل على شكل الشىء وتخطيطه، فيؤدى ذلك إلى التجسيم المحض، ورأوا أنهم إن فارقوا هذا الاعتقاد كذّبوا النص.. وأما صورة فتقع على الصورة الطبيعية، أعنى على المعنى الذى يجوهر الشىء بما هو، وهو حقيقته من حيث هو ذلك الموجود المعنوى الذى يكون عنه الإدراك الإنسانى... فيكون المراد من الصورة هى الصورة النوعية التى هى الإدراك العقلى لا الشكل والتخطيط. وتعرّض لتعريف بعض التعبيرات مثل «كلمة اللّه» و «الألواح التى كتبها اللّه» و «الحركة والسكون المنسوبة للّه» فقال: إن القصد من وصف اللّه بالكلام مثل وصفه بالأفعال كلها الشبيهة بأفعالنا، فأرشدت الأذهان إلى أن ثم علماً إلهياً يدركه النبيون، بأن اللّه كلمهم، حتى نعلم أن هذه المعانى التى يوصلونها لنا من قِبلَ اللّه، هى ليست من مجرد فكرتهم وروايتهم. وأما ما ذكرته التوراة من أن الألواح صَنَعَة اللّه، والكتابة كتابة اللّه منقوشة عليها ومكتوبة بإصبع اللّه، **فهذه** أشياء طبيعية لا صنعية، لأن كل الأمور الطبيعية من صنع الله ونتيجة مشيئته ومحض إرادته. ويشرح ابن ميمون نسبة الكون والحركة للّه، وعلاقتها بكل ما ابتدع فى ستة أيام من خلق الكون على هذا النحو، بأن كل يوم من الأيام الستة كانت تَحدُث حوادث خارجة عن هذه الطبيعة المستقرة الموجودة الآن فى الوجود بجملته، وفى اليوم السابع استمر الأمر واستقر على ما هو عليه إلى الآن. وعلى هذا الشكل يشرح ابن ميمون ألفاظاً كثيرة من أسفار الكتاب المقدس، مستخدماً ثقافته الإسلامية، ودرايته بكتب المسلمين، متأولاً نصوص التوراة على غير ما جاء من تعاليم أحبار اليهود، يلف بنا طويلاً ويأتى بمقدمات يحاول بها أن يهيىء القلوب لما يريد أن يصرح به، ويحاول أن يكون أقرب إلى الفلاسفة منه إلى المتكلمين، ومع ذلك فهو يتوجه إلى هؤلاء وهؤلاء بنقد عام يستعلى به عليهم، لأنهم على غير ملته، فقال «إن **الفلاسفة** يسمون اللّه العلّة الأولى، والمتكلمين **يهربون** من تسميته بالعلّة الأولى والسبب الأول،

ويسمونه الفاعل، ويظنون أن هناك فرقاً عظيماً بين سبب وعلة من جانب وبين فاعل من جانب آخر، والذى نعلمه أنه لا فرق بين قولك علة أو فاعل فى هذا المعنى، وذلك أنك إذا أخذت العلة أيضاً بالقوة فهى تتقدم معلولها بالزمان، وأما إذا كانت علة بالفعل فإن معلولها موجود بالفعل ضرورةً، ولذلك متى أخذت الفاعل فاعلاً بالفعل، فإنه يلزم وجود مفعوله ضرورة، لأن البنّاء قبل أن يبنى بيتاً ليس بنّاءً بالفعل، ولكنه بنّاء بالقوة، كما أن مادة ذلك البيت قبل أن يُبنَى هى بيت بالقوة، فعندما يَبنى بنّاء بالفعل، يلزم وجود شىء مبنى حينئذ ضرورة، فما ربحنا شيئاً فى تفضيل إسمية فاعل على إسمية علة». ثم يقول عن **المتكلمين والمعتزلة والأشعرية** «إن كل ما قالوه إما هو آراء مبنية على مقدمات مأخوذة من كتب اليونان والسريان، الذين راموا مخالفة آراء الفلاسفة ودحض أقوالهم، وكان سبب ذلك أنه لما عمّت الملة النصرانية بين الملل، وكانت آراء الفلاسفة شائعة فى تلك الملل، ومنهم نشأت الفلسفة، ونشأ ملوك يحمون الدين، رأى علماء تلك العصور من اليونان والسريان أن هذه دعاوى تنقضها الآراء الفلسفية نقضاً عظيماً، بينما نشأ فيهم علم الكلام، وابتدأوا يثبتون مقدمات نافعة لهم فى اعتقادهم، ويردون على تلك الآراء التى تهدم قواعد شريعتهم، فلما جاءت ملّة الإسلام، ونُقلت إليهم كتب الفلاسفة، نُقلت إليهم أيضاً تلك الردود التى أُلّفت على كتب الفلاسفة، فوجدوا كلام **يحيى النحوى وابن عبرى** وغيرهما فى هذه المعانى، فتمسكوا بها، وظفروا بمطلب عظيم بحسب رأيهم، واختاروا أيضاً من آراء الفلاسفة المتقدمين كل ما رأوا أنه نافع لهم، وإنّ كان الفلاسفة المتأخرون قد برهنوا على بطلانه، ورأوا أن هذه أمور مشتركة ومقدمات يضطر إليها كل صاحب شريعة، ثم اتسع الكلام وانحطّوا إلى طرق أخرى عجيبة ما ألمّ بها المتكلمون قط من يونان وغيرهم، لأن أولئك كانوا على قرب من الفلسفة، ثم جاءت فى الإسلام أقاويل شرعية خصيصة بهم، احتاجوا ضرورةً إلى أن ينصروها، ووقع أيضاً اختلاف فى ذلك، فأثبتت كل فرقة منهم مقدمات نافعة لها فى نصرة رأيها.. وبالجملة إن كل المتكلمين، من اليونان والمسلمين، لا يتبعون الظاهر من أن الوجود أولاً فى مقدماتهم، بل يتأملون كيف ينبغى أن يكون الوجود حتى يكون منه دليل على صحة هذا الرأى أو نقضه، فإذا صحّ ذلك التخيل فرضوا أن الوجود على صورة كذا، واحتاجوا إلى إثبات تلك الدعاوى التى تؤخذ منها تلك المقدمات التى يصحح بها المذهب أو لا ينقض».

ولم يلتفت علماء المسلمين إلى تعميمات موسى بن ميمون، **لأنه** كتبها بحروف عبرية، فلم يعرفوها، ولم يوجهوا إليها عنايتهم. واعتبر اليهود ابن ميمون فى غاية الجرأة أن يقتحم هذه المشكلات اقتحاما عنيفا، وأن يخرج منها، إن كان قد خرج منها، موفّقاً بين الدين والفلسفة مرة، أو مرجّحا الدين مرة، أو الفلسفة أخرى، ومن ثم أيقظ العقلية اليهودية على الفلسفة، من خلال الفلسفة العربية، حتى ذكر الغزالى والفارابى وابن رشد وأرسطو وأفلاطون وجالينوس بجانب أحبار اليهود، ودُرّست آراؤهم الفلسفية فى المعابد إلى جانب التوراة والمشنا والتلمود. وانقسم الناس إزاءه قسمين، فريق يؤيده وآخر يرفضه، وعللّ الرافضون رفضهم بأن موسى قد جعل **أرسطو** فى مرتبة المشترع الإسرائيلى، وذهب إلى تأويل نصوص التوراة على الطريقة الفلسفية ففتح فتحاً إلى التأويلات السخيفة، ومال بالناس إلى دراسة كتب الدين عن طريق الفلسفة. وتزعم الرافضين الحبر **سليمان بن إبراهيم** من مونبلييه. واحتدم الصراع بين الرافضين والمؤيدين، وأعلن المؤيدون **لعنة الحرمان** على ابن إبراهيم الرافض وأفراد شيعته، فألّب المعارضون السلطة، واستعدوها على الكتاب بحجة أنه يعرّض بالمسيحية، فجُمِعت نُسخه وأُحرقت أمام الجماهير فى **مونبلييه وباريس** سنة ١٢٣٣، وفى سنة ١٣٠٥ اجتمع رؤساء اليهود فى **برشلونة**، وأعلنوا لعنة الحرمان على كل من يدرُس العلوم الفلسفية قبل بلوغ سن الخامسة والعشرين. وانتشر إحراق الكتاب فى كل البلاد التى فيها اليهود. ويقول **إسرائيل ولفنسون** إنه لم يحدث أنْ كان لكتاب عبرى مثل هذا التأثير بعد التوراة والتلمود، لأن أنصار موسى فى حياته وبعد وفاته كانوا يقرأونه ويدرّسونه فى الكنائس، وأصبح عماد الاسترشاد لكل من يدرُس كتب الدين وفقه الشريعة.



إبن وقار Ibn Waqar

يوسف، بن إبراهيم بن وقار، من أسبان القرن الرابع عشر، ودائرة الثقافة الإسلامية. له كتاب «**المقالة الجامعة فى بيان الفلسفة والشريعة**» بالعربية، يقلد فيه **ابن رشد**. والفلسفة التى يعرفها هى التى يطرحها **ابن رشد والفارابى وابن سينا وابن طفيل** في كتبهم. وفلسفته اليهودية يستقيها من **الميمونى وموسى اللاوى**، غير أن قوله بالعقول الفلكية والعقل الفعّال، واستغراقه فى شطحات القباليين إلى حد الإغراب، صرفت القرّاء عن كتابه، فلم يتجاوز النسخ اليدوى.



إبن يشوع Solomon Maimon

(نحو ١٧٥٢ - ١٨٠٠م) **سليمان بن يشوع**، الملقب **بسليمان الميمونى**، لإعجابه **بموسى بن ميمون**. وهو ألمانى، وإن كان قد ولد بلتوانيا من أعمال بولندا آنذاك، إلاّ أنه هاجر إلى ألمانيا فى سن الخامسة والعشرين. وكانت دراسته يهودية محضة، فاستطاع أن يتقن الألمانية، وعاش فقيرا بقلمه يكتب بالألمانية والعبرية، وله شرح بالعبرية للجزء الأول من «**دلالة الحائرين**» لموسى بن ميمون، إلاّ أنه اشتهر **بتفسيره اليهودى لفلسفة كنط**، وقيل إن كنط اعتبر كتابه «**مقال فى الفلسفة المتعالية**» من أحسن الشروح عليه. وقال ابن يشوع أن **منهجه فيه تلمودى** اكتسبه من موسى بن ميمون، ومن دراسته لكتابه «**تثنية التوراة**»، وهو منهج تحليلى يقوم على المقابلة والحكم التفصيلى. وفلسفة ابن يشوع **تلفيقية** ، يحاول فيها أن يتابع ابن ميمون ، بالمزج بين الروح العلمية الألمانية والروح الربّانية اليهودية. ويبدو أن تفسيره لكنط، ومذهبه فى هذا التفسير ، كان لهما تأثير من بعد على اعتناق كثير من اليهود للكنطية.



إبن يعقوب Ben Jacob

نسيم بن يعقوب القيروانى، عاش فى القرنين العاشر والحادى عشر، وله **«كتاب مفتاح مغاليق التلمود»** بالعربية، فقد كان **متكلما معتزليا له** اتجاهات أفلاطونية محدثة، وتفسيره **للدين** عقلى، وهو يستخدم صيغ **المعتزلة** فيفتتح كتابه بحمد الله والثناء عليه، ويقول إن علم الله وقدرته هما ذاته، وأن الله لم يفرض أوامر إلا وأعطى المؤمن القوة على تنفيذها. وهو يحاول فى شروحه أن يسقط التجسيم والتشبيه، ويستعير مذهبه فى الحساب (تعويض آلام الأطفال) عن المعتزلة، ويقول إن الهدف من التنزيل هو إزالة الشك الذى تثيره المعرفة، مخالفا بذلك رأى **سعدى** الذى يذهب إلى القول بأن الشك سبب المعرفة، ويتجاوزه ابن يعقوب فيرى أن المعرفة التى يعطيها التنزيل هى المعرفة الحقة لأنها الأثبت والأرسخ.



أبو البركات Hibat Allah

(نحو ١٠٧٧ - ١١٦٥م) **هبة الله بن ملكا أبو البركات البغدادى**، فيلسوف العراقيين، ولقبه **أوحد الزمان** ، قيل إنه أسلم طلباً لسلامة نفسه من غضب السلطان، وقيل طلباً لدوام نعمة السلطان عليه، ويبدو أن إسلامه كان ظاهريا، **لأنه** كتب ، بالإضافة إلى كتابه الفلسفى «**المعتبر**»، تفسيرا باللغة العربية لسفر الجامعة، كان له شأن من الناحية الفلسفية، ومدحه الشاعر **إسحاق بن إبراهيم بن عزرا** بقصيدة باللغة العبرية. وأيا كانت حقيقة إسلامه، فالشاهد أنه كان يهودياً من دائرة الثقافة الإسلامية، تتلمذ على **أبى الحسن سعيد بن هبة الله** ، وكتابه «**المعتبر**» ذكره **القفطى** فقال «إنه أحسن كتاب صنّف فى هذا الشأن فى ذلك الزمان»، وقد تناول فيه المنطق والطبيعيات والإلهيات، واستّن فيه لنفسه منهجا استنبط منه اسم الكتاب

«**المعتبر**»، لأنه كما يقول: «ضمّنته ما عرفتُه واعتبرته وحقّقتُ النظر فيه وتمّمته، لأن ما نقلته عن غير فهم، أو فهمته وقبِلته من غير نظر واعتبار، ولم أوافق فيما اعتمدت عليه فيه من الآراء والمذاهب، كبيراً لِكِبَره، ولا خالفت صغيراً لِصِغَره، بل كان الحق من ذلك هو الغرض، والموافقة والمخالفة فيه بالعَرَض». وهو يركن فى منهجه هذا إلى اليقينيات الأولية، يدحض بها القضايا المكتسبة السائدة عند معاصريه، وفى ذلك يقول **ابن تيمية** «اعترض أبو البركات على ما ذكره ابن سينا بما يبين فساد الفرق بين الذاتى المقوم والعرضى اللازم، وأبو البركات لِماَ كان مُعتَبِراً لما ذكره أئمة المشائيين، لا يقلدهم ولا يتعصب لهم كما يفعل غيره مثل ابن سينا وأمثاله». ويمدحه **ابن تيمية** بأنه أقرب إلى السُنّة والحديث فقال «ولكن ابن سينا نشأ بين المتكلمين النافين للصفات، وابن رشد نشأ بين الكلابية، **وأبو البركات** نشأ ببغداد بين علماء السنة والحديث». وقال «وأما **أبو البركات** صاحب **المعتبر** ، ونحوه، فكانوا بسبب عدم تقليدهم لأولئك ، وسلوكهم طريقة النظر العقلى بلا تقليد، واستنارتهم بأنوار النبوات، أصلح قولاً فى هذا الكتاب من هؤلاء وهؤلاء، فأثبت علم الرب بالجزئيات، وردّ على سلفه رداً جيدا». وقال أيضا «**وأبو البركات** وأمثاله قد ردّوا على أرسطو ما شاء الله، لأنهم يقولون إنما قصدُنا الحق، وليس قصدنا التعصب لقائل معين ولا لقول معين». وقال فى مسئلة جواز قيام الحوادث بالقديم «ومن جوّز قيام الصفات بالبارى منهم جوّز قيام الحوادث به مثل كثير من أساطينهم القدماء والمتأخرين **كأبى البركات**»، وقال فى مسئلة الصفات «ولهذا لماّ تفطّن أبو البركات لفساد قول أرسطو أفرد مقالة فى العلم، وتكلم على بعض ما قاله فى المعتبر، وانتصف منه بعض الانتصاف، مع أن الأمر أعظم مما ذكره **أبو البركات**»، ثم قال «ويجوّزون حوادث لا أول لها، ولهذا كان كثير من أساطينهم ومتأخريهم **كأبى البركات** ، خالفوهم فى إثبات الصفات وقيام الحوادث بالواجب، وقالوا لإخوانهم الفلاسفة ليس معكم حجة على نفى ذلك». وآخر ما قال «وليس هذا من

لوازم القول بقدم العالم، بل فى القائلين بذلك من يقول إن الله يفعل بمشيئته وقدرته، كأحد القولين اللذين ذكرهما **أبو البركات** واختاره».

ومما خالف به أبو البركات **الأرسطيين** قوله بوجود **حيز** ذى ثلاثة مقادير، وتعريفه **للزمان بأنه** مقدار الوجود **لا** مقدار الحركة، والزمان عنده على غير ما يقول ابن سينا، يتعلق بوجود الخالق كما يتعلق بوجود المخلوق، ولكنه يوافق ابن سينا فلا يقبل القول بأن الحركة برهان على **وجود الله**، وينكر مذهب **الفيض** الذى يقول به الأفلوطونيين، ويرى أن الأشياء خلقت بسلسلة من الإرادات الإلهية الأزلية أو المحدثة، ولكن نزعته الشخصانية فى تصوره لله تقربه من مذاهب علم الكلام، كما تقربه نزعته التجريبية من القائلين بأن الطبيعيات أمور محسوبة يكون الحق فيها لناصر الحس والمشاهدة والتجربة **لا** القياس البحت والظن الصرف.



الإبيونيون Ebionites

فرقة من **اليهود المتنصرين**، عرفوا بهذه التسمية العبرانية الأصل التى ربما تعنى **الأغمار**، لأنهم كانوا من نكرات اليهود. وقيل ربما هذا الاسم هو الذى أطلقوه على أنفسهم، بمعنى أنهم **الفقراء إلى الله**. وبوصفهم يهوداً كانت الشريعة تلزمهم، ولكنها لم تكن تلزم المسيحيين من غير اليهود. ولأنهم تمسكوا بالناموس لم يجد **بولس الرسول** بداً من الانصراف عنهم بدعوته والتوجه إلى غير اليهود. ورغم أنهم قبلوا **المسيح**، إلا أنهم قبلوه بمعنى المهدى المنتظر، ورفضوا الإقرار بألوهيته وولادته العذرية. وشايعوا كبيرهم **سيرينش** الفريسى فقالوا إن المسيح ليس سوى رسول قد خلت من قبله الرسل، وأنكروا رسولية **بولس** لأنه قال بغير ذلك مجدفاً فى حق الله ومستحقاً اللعنة. وذهب فريق من الإبيونيين مذهب **الغنوصيين**، فقالوا إن المسيح هو آدم، وقال فريق آخر بأنه الروح القدس، حلّ بآدم، ثم بالآباء، وأخيراً حلّ بعيسى، فلما صُلِب عيسى

صعد الروح القدس الذى هو المسيح إلى السماء. وعندهم جميعا أن المسيح قد ورث الشريعة عن موسى، وأنه لا كتاب سوى **الأسفار الخمسة**. وهؤلاء **كانوا من الزهاد**، وعاشوا كبطرس على الخبز والزيتون، ولم يقبلوا الخمر، وعافوا الزواج، ثم عادوا فأباحوه من بعد.



Ahad Ha - Am **احد العامة**

(نحو ١٨٥٦ - ١٩٢٧م) الإسم القلمى **لأشير جيتزبرج**، صاحب الدعوة إلى **التربية اليهودية** قبل الدولة اليهودية، وهو بالعبرية آحاد هاعام، وكان قد وقّع به مقالا له يعارض برنامج جمعية **أحباء صهيون** فى أوديسا حيث ولد ونشأ، لأنه برنامج يطالب بالهجرة اليهودية الفورية إلى فلسطين، بوصفها السبيل العملى الوحيد لتأسيس الدولة اليهودية، فكتب يقول **«ليس هذا هو الطريق»**، فلا هجرة بدون إعداد روحى مسبق، وليس الوطن اليهودى هدفاً فى حد ذاته، وإنما الهدف هو إنشاء وطن، يكون ملهماً ليهود العالم على الوحدة، والمحافظة على جوهرهم بوصفهم **الشعب المختار** الذى اختص برسالة فحواها الأخلاق، **فالصهيونية** أخلاقية قبل أن تكون سياسية، **وإسرائيل** ليست مجرد تجمّع يهودى، ولكنها **مركز ثقافى روحى** لكل يهود العالم، ومصدر غذائهم الدائم بالقيم اليهودية، ومن ثم أسّس آحاد هاعام جمعية أطلق عليها اسم **بنى موسى**، بهدف نشر المُثُل القومية اليهودية، وبعْث الإحساس بمعنى الأمة والرسالة لدى يهود العالم، وظل يرأس دعوتها السرّية من ١٨٨٩ الى ١٨٩١، وعارض **هرتزل**، ووصف برنامج الصهيونية السياسية بأنه ضرب من الخيال، **لأنه لا** ينهض على علم بتاريخ اليهودية وحقيقة الإسهام الحضارى لليهود، ومن ثم فمآل الدولة التى تقوم عليه أن تكون شكلا بلا مضمون، أى أنها ستكون دولة هزيلة تلعب بها الدول الكبرى. ومع ذلك فإن آحاد هاعام شارك فى الأحداث التى أدت إلى إصدار **وعد بلفور**

الشهير، وأدرك منذ البداية مدى ما سيحقق الشعب العربى فى فلسطين من غبن، ولذلك أعلن أن أى برنامج لتأسيس الدولة اليهودية فى فلسطين لابد أن يضع فى اعتباره الحقوق القومية لهذا الشعب. وكتب سنة ١٩٠٨ «**فى مفترق الطرق**» ثم استقر أخيراً فى تل أبيب (١٩٢٣) داعياً إلى أن الأمة هى أنا الشعب، وهى قوته الإبداعية الذاتية، وجماع ذكرياته، وإراداته على البقاء التى يعبر عنها فى معتقداته السياسية والدينية والأخلاقية. وعندما تشتت اليهود انفرط عقد الأمة فأصبح **الأنا** فردياً وليس قومياً، ولم يعد الإحساس القومى فى الشتات بالدرجة التى يدفع اليهود إلى استرداد التراب اليهودى، ومن ثم فلكى نطالب بالأرض ونقيم الدولة لابد من بعث **القومية اليهودية**، والسبيل إلى بعثها هو بعث **الروح اليهودية**، بالتربية والتثقيف، وتطوير التراث، وتطوير الأدب وكافة الأشكال الثقافية، وهو ما يسميه آحاد هاعام **رسالة الصهيونية** ومضمونها الروحى، **فالصهيونية الثقافية هى** التى ستلهم الشعب إرادة الخلاص، وهذه ستدفعه إلى الاستيطان.

ولايخفى تأثير **الاستنارة اليهودية** على فلسفة آحاد هاعام، وكذلك تأثره الواضح **بنيشته وداروين**، فمن الأول أخذ فكرة **السوبرمان**، فقال **بالأمة المتفوقة**، ومن الثانى اقتبس **نظرية البقاء للأصلح**، واعتبر استمرارية اليهود دليلاً على أنهم **الأمة الأصلح**، وهو معنى «**الشعب المختار**».



الأدومية Edomism

مذهب الفرنكيين أتباع يعقوب فرنك، نسبة إلى أدوم، ومعناها **الأحمر**، لقب عيسو بن إسحق، لأنه كان أحمر عند ولادته، ولأنه باع بكوريته لأجل طعام أحمر اللون، وسميت سعير التى سكنها عيسو وأولاده باسم أدوم، وصارت عند الفرنكيين رمزاً للحياة كما ينبغى لها أن تعاش، ولونها عندهم اللون الأحمر، فقد كان عيسو

صيادا، وكما يقول «صائر إلى الموت فمالى والبكورية». وتعنى البكورية **الشريعة**، والفرنكيون يبطلونها، على مذهب عيسو وينشدون **الفطرة**، بدعوى أنها الحياة الحقة التى سيدعو إليها المسيح الذى هو **المهدى المنتظر**، لأن الشريعة تكون باقتران الإنسان للخطيئة، وبنزول المسيح تُرفَع الخطيئة عن الإنسان، فلا تعود ثمة ضرورة للشريعة.

والرحلة إلى **عيسو** أو **أدوم**، كان يعقوب أخو عيسو الذى اشترى منه بكوريته، قد وعده بها ليستأنفا الحياة معا، ولكنه لم يستطع الوفاء بوعده، لأن همّته تقاعست به عن القيام بها، ولكن المسيح سيقوم بها فى آخر الزمان، وسيتابعه على الرحلة المؤمنون. **وأدوم** هى طوبى آخر الزمان. والأدوميون **مبطلون**، ينكرون المعاد والحساب، **وحلوليون**، يقولون إن روح الله تحلّ بالأنبياء، وأنها قد حلّت فى إبراهيم وإسحق ويعقوب، حتى حلّت فى آخر الزمان فى **يعقوب فرنك** المهدى المنتظر. وهم **إباحيون**، يقولون إنه برفع الخطيئه يباح كل شىء، ولا يحظر أى شىء.



ارام Arama

(نحو ١٤٢٠ - ١٤٩٤) **إسحق بن موسى أرام أو الأرم**، بمعنى الهادى أو الذى يُهتدَى به، وفى العربية **الإرَم** ما يُهتَدى به. وفلسفته إيمانية أخلاقية، تعادى الخط العقلانى الذى بدأه الميمونى، وكتابه **«عقيدة إسحق»** محاولة للرد على **«دلالة الحائرين»** للميمونى، وهو عبارة عن مواعظ نقل الكثير منها من **إسحق أبرابانيل** ونسبها إلى نفسه، ويطرح فى كل منها إحدى القضايا الفلسفية، ثم يرد عليها من التوراة بما يدلل على تهافت العقل، ويعرض مفهوم الله فى ضوء العقل والنقل ليوضح الفرق فى المنهج، وهو فرق تظهره قوة إيمان إبراهيم، الذى ينصاع لصوت الإيمان فيسارع لذبح ابنه إسحق، ويطيع الإبن بلا نقاش، ومن ذلك يشتق أرام اسم كتابه

«**عقيدة إسحق**». وأرام من أهل الباطن، ويذهب إلى تفسير التوراة بطريقة «الزهار» كتاب الباطنية اليهود، ويقول بحرية **الإنسان** ومن ثم **مسئوليته**، ولكنها حرية لا تتنافى مع القول بالقدرية، ومعناها عنده مطلق إرادة الله وعلمه السابق وخبرته. **والأخلاق** عنده هى الوصايا العشر، وهى نفسها الفضائل العقلية التى نبه إليها الفلاسفة، وهى قوانين طبيعية أو فطرية، غايتها سعادة الإنسان التى هى خير الفلاسفة الأسمى.



أريستوبولوس Aristobulus

(النصف الأول من القرن الثانى قبل الميلاد) من أوائل الذين ردّوا الفلسفة اليونانية إلى أصول يهودية، فزعم أن أجزاء من سفر التكوين قد ترجمت إلى اليونانية قبل ظهور الترجمة الكاملة المعروفة بالسبعينية، وأن فيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأرسطو قد اطلعوا عليها، فكانت أساسهم الذين بنوا عليه فلسفاتهم فى أصل الكون. وذهب أريستوبولوس إلى تأويل نصوص التوراة على طريقة أنتيستانس الكلبى فيما قال فى تأويل حكايات هومر عن الآلهة، فإذا نكر التوراة أن الله قد خلق العالم فى ستة أيام واستراح فى اليوم السابع، فالمقصود بالأيام الستة هى المراحل التى تعاقب عليها هذا العالم، حتى بلغ مبلغه الحالى من الانتظام والانسجام والتوافق بين أجزائه، وهو ما يعنيه التوراة من قوله إن الله قد استراح فى اليوم السابع، أو أنه قد جلس واستوى على العرش، فالجلوس المقصود هو الاستقرار، والاستواء هو الانتظام، وبذلك يعتبر أريستوبولوس من أوائل المدافعين عن اليهودية ضد الذين اتهموها بالتجسيم، وهو يعتبر أن تكرار الأعداد فى التوراة، كالعدد سبعة (السموات سبع، وأيام الخلق سبعة، وقوى الإنسان سبع هى الحواس الخمس والنطق والعقل)، هو أصل نظرية الأعداد عند الفيثاغوريين.



إسرائيلى Israeli

(نحو ٨٥٠- ٩٥٠م) **إسحق** الإسرائيلى، مصرى هاجر إلى القيروان، التى كانت آنذاك من أهم المراكز الثقافية الإسلامية فى العصور الوسطى، وتتلمذ فيها على الطبيب العربى إسحق بن عمران، واشتهر كطبيب، ويعتبر **أول فيلسوف أفلاطونى محدث فى اليهودية**، ولو أن **ابن ميمون** لا يدرجه ضمن الفلاسفة، ويقول إنه طبيب فحسب. وقد يكون ابن ميمون على حق، فكتاباه «**كتاب التعاريف**» و«**كتاب العناصر**»، وهما محفوظان فى ترجماتهما العبرية واللاتينية من أصولهما العربية، لا يبدى فيهما الإسرائيلى الكثير من الأصالة، غير أن استطراداته الكثيرة المنطقية والميتافزيقية والطبية، وهوامشه على كتاب التعاريف، تعد محاولات جادة لتركيب مذهب يهودى، على أساس من الفلسفة الإسلامية القائمة على أرضية إغريقية، من الفلسفتين المشائية والأفلاطونية المحدثة. والغاية عنده من التفلسف هى **معرفة الله** بقدر ما يستطيع الإنسان، وهو هدف عقلى أكثر منه خلقى. ويسلم الإسرائيلى بفكرة الخلق، غير أنه يميز بين الخلق من العدم، والتوالد الطبيعى للأشياء على أساس موجود من قبل، ويقول إن الله قد خلق العالم لأنه أراد أن تتنزل فيه حكمته، ولقد فاض العقل من الله، ومن العقل فاضت النفس بدرجاتها المختلفة، ومن الدرجة السفلى للنفس كان فلك السماء الذى يؤثر فى الطبيعة، وعنده تتوقف سلسلة الفيوضات، وتكون العناصر التى هى أصل الأجسام المركبة. ونظريته فى **العناصر** يأخذها من المدرسة الأرسطية، وكذلك فكرة **النفس** العقلية الحيوانية والنباتية، فالأولى تفيض مباشرة من العقل، وتتلوها الاثنتان الأخريان. والنفس الفردية هى جوهر مستقل عن الجسم، لكنها تتحد به من أجل أن يعرف الإنسان الحقيقة (فكرة أفلاطونية)، ويحيا حياة مطابقة للقانون الخلقى، ويلغى الجزء الإلهى الذى هو عبارة عن اتحاد النفس الفردية بالنفس الكلية، وبذلك يصل مذهب الإسرائيلى عن الجزاء، بمنهج مختلف، إلى النتيجة ذاتها التى يصل إليها الفكر الدينى الخالص.



إسرائيليات Israelites

الأحاديث التى كان المسلمون يستشهدون بها من التوراة، ويذكر أن أول من أدخل ذلك **عبد الله بن عباس**، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد وصفه النبى عليه السلام فقال: «اللهم فقّهه فى الدين وعلّمه التأويل»، ولذلك أطلق عليه المسلمون اسم **الحبر البحر، وترجمان القرآن**. وكان إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير فى تفسيره للقران ينقل عن ابن عباس، ويتناقل عنه ما يحكيه من أقاويل التوراة التى أباحها رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال: بلّغوا عنى ولو آية، وحدّثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». رواه البخارى عن عبد الله بن عمرو، ولهذا كان عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كُتب أهل الكتاب، فكان يحدّث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن فى ذلك. ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر **للاستشهاد لا** للاعتقاد، فإنها على **ثلاثة** أقسام، **أحدها** ما علمنا صحته، مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح، والثانى ما علمنا كذبه، مما عندنا مما يخالفه، **والثالث** ماهو مسكوت عنه، **لا** من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به، ولانكذّبه، ويجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لافائدة فيه تعود إلى أمر دينى، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب فى هذا كثيراً، ويأتى عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون فى مثل هذا **أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعددهم، وعصا موسى من أى الشجر كانت، وأسماء الطيور التى أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذى ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التى كلم الله منها موسى**، إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى فى القرآن، مما لافائدة فى تعيينه تعود على المكلفين فى دينهم ولا دنياهم، ولكن نقل الخلاف عنهم فى ذلك جائز، كما قال تعالى: سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم، رجماً بالغيب، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم، قل ربى أعلم

بعدّتهم، ما يعلمهم إلا قليل، فلا تمار فيهم إلاّ مراء ظاهرا، ولا تستفت فيهم أحدا» (الكهف ٢٢)، فقد اشتملت هذه الآية على الأدب فى هذا المقام، وتعليم ما ينبغى فى مثل هذا، فإنه تعالى حكى عنهم ثلاثة أقوال، ضعّف القوْلين الأولين، وسكت عن الثالث فدلّ على صحته، إذ لو كان باطلا لردّه كما ردّهما، ثم أرشد على أن الاطّلاع على عدّتهم لاطائل تحته، فقال فى مثل هذا «قل ربى أعلم بعدتهم»، فإنه ما يعلم ذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعهم اللّه عليه، فلهذا قال: فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا»، أى لا تجهد نفسك فيما لاطائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك، فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجما بالغيب، فهذا أحسن ما يكون فى حكاية الخلاف: أن تستوعب الأقوال فى ذلك المقام، وأن تنبه على الصحيح منها، وتبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته، لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فنشتغل به عن الأهم فالأهم، وهو منهج **ابن كثير** فى تفسيره، **وابن تيمية** فى مقدمته فى أصول التفسير.

ويذكر الإمام **البقاعى** فى كتابه **الأقوال القويمة فى حكم النقل من الكتب القديمة**: حكم النقل عن بنى إسرائيل، ولو كان فيما لا يصدقه كتابنا، ولا يكذبه الجواز، وإنْ لم يثبت ذلك المنقول، وكذا ما نقل عن غيرهم من أهل الأديان الباطلة، لأن المقصود الاستئناس لا الاعتماد، بخلاف ما يستدل به فى شرعنا، فإنه العمدة للاحتجاج للدين فلا بد من ثبوته، فالذى عندنا من الأدلة ثلاثة أقسام: موضوعات، وضعاف، وغير ذلك، فالذى ليس بموضوع ولا ضعيف مطلق الضعف يورد للحجة، والضعيف المتماسك للترغيب، والموضوع يذكر لبيان التحذير منه بأنه كذب، فإذا وازنت ما ينقله أئمتنا من أهل ديننا للاستدلال لشرعنا بما ينقله الأئمة عن أهل الكتاب، سقط من هذه الأقسام الثلاثة فى النقل عنهم ما هو للحجة، فإنه لا يُنقَل عنهم ما يَثْبَت به حكم من أحكامنا. ويبقى ما يصدقه كتابنا فيجوز نقله وإن لم يكن فى حيز ما يُثْبَت، لأنه فى حكم الموعظة لنا. وأما ما كذبه فهو كالموضوع، لا يجوز نقله، إلا مقرونا ببيان حاله.

ويروى **ابن خلدون** فى مقدمته فى أسباب تسرّب الإسرائيليات إلى المسلمين، وأسباب استكثارهم من روايتها، أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوّقوا إلى معرفة شىء، مما تتشوّق إليه النفوس البشرية فى أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود، كانوا يومئذ أهل بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حِمْير الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التى يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة، وما يرجع إلى الحدثان والملاحم ومثال ذلك، وهؤلاء مثل **كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام** وأمثالهم. فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم، وفى أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم، وليست مما يرجع إلى الأحكام فيُتَحرى فيها الصحة التى يجب بها العمل، وتساهل المفسرون فى مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات، وأصلها عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم، كما قلنا، بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بَعُدَ صيتُهم وعَظُمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات فى الدين والملة، فتُلُقيت بالقبول من يومئذ.



الآسينيون Ossenes ; Essenes

فرقة يُشتق اسمها من أصل آرامى، قيل من فعل آسى، وهم **المؤاسون** الذين يساوون بين الناس لا فرق بين سيد ومسود. وقيل من أسى، وهم **الأساة** بمعنى الزاهدون، وقيل المفرد هو الآسى الذى يعالج الجراحات وهم **الأساة** بمعنى الشافون الذين يمتهنون التطبيب. وكانوا لا يأكلون اللحم، ويأبون الذبح، وينصحون بالاستعفاف

بالتطوع، والأولاد بالتبنى، ويطالبون بأن تكون الملكية على المشاع، ولكل منهم حرفة، واكتناز المال محظور، وإذا تهيأوا للطعام اغتسلوا وصلوا، ويقولون إن العبادة غاية، وينكرون المعاد الجسمانى، ولكنهم يؤمنون بالثواب والعقاب وبخلود الروح، ويؤثرون من الثياب البيض، ولا يبدلونها حتى تبلى، وقراءاتهم فى الأخلاق، وفيما يزيد معرفتهم بها وينميها فيهم، ويعزفون عن المنطق لأنه ترف فكرى، ولا يبحثون فى العلم الطبيعى لأن مجاله أوسع من قدرات الإنسان، ولكنهم يتفكرون فى آثار الله سبحانه بتدبير مخلوفاته، والنظر فى الكون. وقيل إن **النبى يحيى عليه السلام** قد تلقى عنهم وعاش بينهم، وأن **المسيح** كان من الزاهدين على طريقتهم، وأن دعوته هى دعوتهم، وأن **الشركة المسيحية** الأولى كانت على منوالهم، وقيل إنهم كانوا **باطنية**، تأثروا بالفيثاغورية والأورفية والزردشتية والبوذية والهرمسية.



الأفعويون Ophites

عبدة الأفعى، من أفعه العبرية التى هى أفعى العربية، وقيل إنهم فرقة من **الباطنية** وجدت زمن موسى عليه السلام فى برية سيناء، قال فيهم **سفر العدد** «تكلموا على الله وعلى موسى، وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لنموت فى البرية، فإنه ليس لنا خبر ولا ماء، وقد سئمت نفوسنا هذا الطعام الخفيف، فأرسل الرب عليهم حيات نارية، فلدغت منهم كثيرين وماتوا، وأقبلوا على موسى، وقالوا قد خطئنا إذ تكلمنا على الرب وعليك، فادع الرب أن يزيل عنا الحيات، فتضرع موسى لأجلهم، فقال الرب لموسى اصنع لك حية وارفعها على سارية، فكل لديغ ينظر إليها يحيا، فصنع موسى حية من نحاس وجعلها على سارية، فكان أى إنسان لدغته حية ونظر إلى الحية النحاسية يحيا» (٢١/٨-٩). وفى السنوات التالية شاعت عبادة الأفعى. وقد حطم **حزقيا** صنمها، ودعاها ساخراً **نحشتان**، أى قطعة نحاس.

وقيل إن إرهاصات **عبادة الأفعى** كانت من يوم أن عاينوا أفعى موسى تلقف أفاعى سحرة فرعون، وكانت عبادتها ماتزال أيام المسيح، وقد قارن نفسه بها فقال «وكما رفع موسى الحية فى البرية، هكذا ينبغى أن يرفع ابن البشر لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكن له الحياة الأبدية» (يوحنا ٣/٤-١٥). وقد رمزوا **للطب** بها فكانت صورتها استجلاباً للشفاء. وقد قيل إن الأفعويين كانوا أكثر من فرقة، ومنهم من عبد الأفعى ضد إله التوراة، لأنها كانت مطية إبليس لغواية حواء، وهى عندهم **رمز للحياة** أو **لقوة الحياة**، شأنهم شأن عبدة الشيطان. وفى التوصية الثالثة من **بروتوكولات حكماء صهيون** الأفعى رمز لسيطرة اليهود، كاللوياثان الأسطورى القابض على زمام العالم، وهى إلهة القوة، تضفيها على عبدتها، كما كانت أفعى موسى تهبهم الخلاص والحياة والقوة معاً.



أكوستا Da Costa

(نحو ١٥٨٥-١٦٤٠م) **جبريل أكوستا** أو **داكوستا**، يضرب به المثل فى الثورة على الجمود الدينى اليهودى. وكان أكوستا من يهود **المارانو** البرتغاليين الذين اعتنقوا المسيحية تقية، فلما سنحت لهم فرصة الهجرة ارتدوا. وكانت هجرة أكوستا إلى أمستردام (١٦١٥)، وفيها اصطدم بتعصب الأحبار، وكان أكوستا عقلياً، فوقف فى وجه هؤلاء، وأعلن معارضته لقطعية الديانة اليهودية، واتهم الربانيين بتحريف عقيدة موسى، وبدا ما يسمى فى تاريخ الكتب المقدسة **بحركة تفسيرها تاريخياً**، وشكك فى صدق نسبتها لله، أو صدورها عمن سردت عنهم بإلهام من الله، للتناقض الواضح بين نصوصها، وأنكر صدق التراث المنقول لتعارضه مع المعقولية، ونفى أن يكون هناك نص فى التوراة على خلود النفس أو البعث والجزاء، وأكد أن ذلك من افتعال الربّانيين لمجاراة الديانات الأخرى. وقد لقى أكوستا نتيجة أفكاره تلك ألواناً شتى من

الاضطهاد من طائفته، فألبوا عليه الحكومة حتى صادرت كتبه، وطردوه من مجتمعهم، وكانوا يبصقون فى وجهه، ويلقون على بيته القاذورات والجيف، ولم يحتمل الرجل سوء المعاملة والفقر، فندم وأعلن توبته بعد خمس عشرة سنة من المهانة، ولكن قيل إنه لم يقبل الطقوس اليهودية، ومنع اثنين من المسيحيين من اعتناق اليهودية، فجددوا اتهامه بالكفر، واضطروه مرة ثانية إلى طلب المغفرة وإعلان التوبة، لكنهم لم يقبلوها منه هذه المرة إلا بعد أن جلدوه أمام جمهور اليهود تسعاً وثلاثين جلدة، وكانوا خلالها يستنزلون عليه اللعنات، ثم طلبوا إليه أن ينبطح أمام باب المعبد، ومر الجميع من فوقه إمعاناً فى إذلاله، وكان ذلك أكثر مما تحتمله أعصابه، فعاد إلى داره وكتب رسالته الباقية «**نموذج الحياة الإنسانية**» باللاتينية، سجل فيها كل ما صادفه، ووجه أشد النقد لفكرة الدين عموما، وفكرة القانون الطبيعى الذى كان الاعتقاد سائداً بأنه فطرى فى الإنسان، ويجمع بين الناس بالحب المتبادل، ويستخدم كأساس للتمييز بين الخير والشر، ثم أطلق على نفسه النار فمات لتوه. وحاول اليهود إيجاد مختلف المبررات لاضطهاده، فقالوا إن هؤلاء المهاجرين من بعد كل ما عانوه فى مواطنهم الأصلية من اضطهاد على يد الأسبان والبرتغاليين، كانوا حريصين على ألا يقبلوا فى صفوفهم أى خروج على مبادئهم، ولكن الرّد على هذا الاضطهاد الشنيع للفكر الحر فى حالة أكوستا، أن هذه الطائفة التى عانت الاضطهاد، كان أولى بها أن تأخذ على عاتقها وضع حدٍ لكل اضطهاد، بما فيه اضطهاد الفكر الحر، وكان الأولى أن تبدأ بنفسها قبل أن تطلب رفع الاضطهاد الواقع عليها من الغير، فتفتح صدرها رحباً للانتقادات الموجهة إليها. ولقد كان تأثير كتاب أكوستا كبيراً على الكثيرين من بين اليهود أنفسهم، ولما قرأه **سبينوزا**، كان ملهمه فى ثورته على هؤلاء اليهود أنفسهم فى أمستردام، وكررت معه هو نفسه واقعة الاضطهاد، وأوقعوا عليه حكم الحرمان كذلك

سنة ١٦٥٦م، بفارق أن سبينوزا لم يمكنهم منه، فثبت للنهاية، ولم يستطيعوا تأليب السلطة عليه.



البو Albo

(نحو ١٣٨٠-١٤٤٤م) **يوسف البو**، أظهر المدافعين عن اليهود فى العصور الوسطى، وكان ممثل اليهود فى مناظرة تورتوز الشهيرة سنة ١٤٤٤م، وهو من دائرة الثقافة الإسلامية، وإن كان لم يكتب مثل ابن ميمون بالعربية التى كان يتقنها بعد العبرية، وكتابه «**الأصول**» يبدو فيه أثر الأرسطيين العرب وخاصة ابن رشد، ولكنه لا يذكر ذلك صراحة، إلا أنه فيه ينقل عنهم، وعن قريشقش وابن ميمون وسعدى الفيومى والأكوينى، عبارات بأكملها، ويعتبر أن من حقه السطو على أفكار الآخرين طالما أنه يجد فيما يقولونه مايدافع به عن دينه، ولعل هذا هو السبب فيما قيل إن فلسفته تلفيقية، ودفوعه سطحية لذلك، وهو يرى أن أية عقيدة لابد أن تتوفر لها ثلاثة أركان أو أصول، هى الإيمان بالله، وبالوحى المنزل، وبالبعث والحساب. وهو يتابع فى ذلك ابن رشد، ويربط الإيمان بالله بالإيمان بوحدانيته، ويقول عن المسيحية إنها حطمت وحدة الذات الإلهية، وتبدو مخالفة للعقل. ويربط الإيمان بالوحى بالإيمان بالشريعة المنزلة على النبى. والتنزيل وحده، كما قال أرسطو، هو الكفيل بإقامة نظام صالح أخلاقى وسياسى. والتنزيل أو الشريعة التى يقصدها هى شريعة موسى التى تعترف بها المسيحية والإسلام، والتى لاتنسخها أية شريعة أخرى مالم تتوفر لها نفس الشهادة العلنية التى كانت لشريعة موسى، وهى أن يشهد تنزيلها خمسون ألفاً، ومن ثم يرفض ألبو اعتبار الإسلام والمسيحية مُلزِمين.



الألفانية Alphans

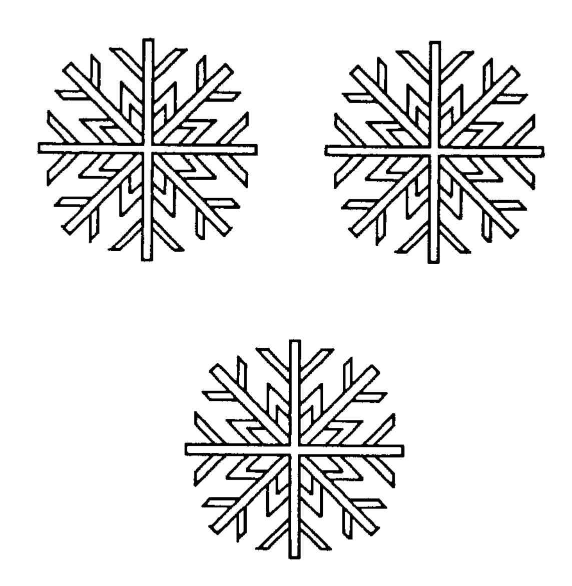
أصحاب **الألفان السامرى**، زعموا أن الثواب والعقاب فى الدنيا، وقيل اسمهم **الدوستانية**، ومعناها **الفرقة المتفرقة الكاذبة**، وهو الاسم الذى أطلقه عليهم خصومهم من الفرقه المقابلة **الكوستانية**، ومعناها الجماعة الصادقة الذين يقرون بالآخرة، ويقولون إن الثواب والعقاب فيها.



ألكسندر Alexander

(١٨٥٩ - ١٩٣٨م) **شموئيل ألكسندر**، اشتهر بأنه ميتافيزيقى طبيعى أو واقعى، وقيل إنه خير من يمثل **الواقعية المحدثة** فى بريطانيا، وكان أستاذاً للفلسفة بجامعة مانشستر، وعضواً بمجلس الجامعة العبرية، ومن أنشط أعضاء الجالية اليهودية فى بريطانيا عملاً لخير هذه الجالية، وكتابه الرئيسى **«المكان والزمان والألوهية»** (سنة ١٩٢٠) يبين منه أنه **مادى** لا يؤمن بإله مفارق، وكان كسلفه **سبينوزا** من القائلين بوحدة الوجود، وأن **الله هو العالم برمّته** عبر تطلعه إلى التألّه، بمعنى أنه يقول بالتطور من الأدنى إلى الأعلى، وأن العالَم قد تخلّق من المادة فى شكل انبثاقات كيفية متلاحقة، كل مرتبة منها تؤدى إلى التى تليها وتعتمد على التى قبلها، والعقل أعلى كيفية انبثق إليها التطور فى الحاضر، ولكن وجود العواطف الدينية دليل على تطلعات إلى المرتبة الإلهية، وليست هذه العواطف لدى البعض إلا مشاعر كائنات حُبْلى بكيفية الألوهية، وهى الكيفية الجديدة التى يتجه إليها الانبثاق، ولكن التنبؤ بما سيكون عليه شكل هذه الكائنات مستحيل، وإنما يمكن القول بأن الفارق بين هذه الكائنات الحاملة للألوهية وبين الإنسان الحامل للعقل، هو كالفارق بين هذا الإنسان الحامل للعقل وبين المادة الغُفْل أصل الحياة، وربما تكون هذه الكائنات الحاملة للألوهية بدورها الأساس لتطور لاحق ولانبثاق كيفيةٍ أسمى. ويعتمد ألكسندر فى فكرته عن التطور على فلسفة

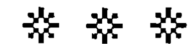
برجسون فى التطور الخلاق، وعلى نظرية لويد مورجان، ويأخذ عنه مصطلحه فى الانبثاقات. ويقول ألكسندر إن أصل المادة متصل من الحركة يمكن تحليله إلى علاقات بين نقاط ولحظات، **والنقطة اللحظة** هى أصغر جزء فى الحركة، وتعيد إلى أذهاننا مذهب الذرة، وخاصة أقوال الذريين من فلاسفة المسلمين وإن كان ألكسندر يستخدم فى شرح نظريته مصطلحات علمية، ويحاول أن يصف ميتافيزيقاه بأنها تجريبية لأنها تستخلص مقولاتها من تأمل تركيب العالم، شأنها فى ذلك شأن سائر العلوم، إلا أن العلم الحديث يتعارض كلياً مع مايقول به ويذهب إليه.





البداء Mutability

هو أشد من النسخ فى التوراة، وذلك أن فيها أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام سأهلك هذه الأمة، وأقدمك على أمة أخرى عظيمة، فلم يزل موسى يرغب إلى الله تعالى فى أن لايفعل ذلك حتى أجابه وأمسك عنهم، وهذا هو البداء بعينه والكذب، المنفيان عن الله تعالى، لأنه ذكر أن الله تعالى أخبر أنه سيهلكهم ويقدم عليهم غيرهم، ثم لم يفعل، فهذا هو الكذب بعينه، تعالى الله عنه.



البديرسى Bedersi

(نحو ١٢٧٠-١٣٤٠) يدايا بن إبراهيم البديرسى، فرنسى، وربما كان للقبه صلة ببلدة بزييه حيث نشأ، وثقافته إسلامية، وقراءاته فى الفلسفة من خلال ما كُتِب عنها وفيها بالعربية، وله تعليقات على كتاب القانون لابن سينا، وشروح على تعليقات ابن رشد على كتاب الطبيعة لأرسطو، وملخص لكتاب النفس لأرسطو، وترجمة لكتاب العقل والمقالة للفارابى، وشروح على كتاب دليل الحائرين للميمونى، وردّ على سليمان أدرت دفاعاً عن الفلسفة والإيمان القائم على العقل، وعنده أن الفلسفة أساس طيب للاعتقاد.



برجسون Bergson

(١٨٥٩-١٩٤١) هنرى برجسون، فرنسى أمه من أصل إنجليزى، وأبوه من أصل بولندى، تلقى تعليماً علمانياً فى مدرسة المعلمين العليا، وتوجه إلى الدراسات

الفلسفية فعين أستاذاً بالكوليج دى فرانس (١٩٠٠)، وانتخب عضواً بأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية (١٩٠١)، وبالأكاديمية الفرنسية، وحصل على **جائزة نوبل فى** الآداب (١٩٢٨)، واشتهر بكتابيه «**التطور الخالق**» (١٩٠٧)، و«**ينبوعا الأخلاق والدين**» (١٩٣٢)، ومع أنه ابتعد بهما عن التراث اليهودى، إلا أن الإلحاد الذى ظهر به الكتاب **الأول** أكسبه عداوة رجال الدين، فظهرت أسماء مؤلفاته فى القائمة التى يذيعها البابا على المؤمنين، مورداً فيها أسماء الكتب التى تحرّم الكنيسة المسيحية عليهم قراءتها، بينما وجدت الأوساط الفلسفية والدينية فى كتابه **الثانى** نبرة صوفية قرّبت بينه وبين الكثيرين. ونشرت زوجته بعد وفاته وصيته فى فبراير سنة ١٩٣٧م، يعلن فيها انضمامه الأدبى إلى الكنيسة الكاثوليكية التى هى فى نظره **كمال اليهودية**، مع رغبته فى الوقت نفسه فى عدم اتخاذ الخطوات النهائية للانضمام إلى الكنيسة وتقبّل طقس العماد «حتى لايتخلى عن أولئك الذين سيقع عليهم العذاب والاضطهاد من بنى جنسه».

ويظل برجسون بالرغم من كل شىء طبيعياً أو من **الدهريين**، تقوم فلسفته على القول بالصيرورة، فالروح فى الطبيعة ليست بمثابة شىء يحل فى شىء آخر، وكل كائن حىّ هو فى جوهره زمانى يتصف بالصيرورة التى تعنى تطور الكائن وانتقاله من مرحلة إلى أخرى، وخضوعه لحكم الزمن، ومروره بأطوار يأتلف منها تاريخ واحد متصل، فالحقيقة الأولى هى إذن **الصيرورة** لا الوجود، **والتغير** لا الثبات، وما دام الزمان هو نسيج الواقع فإن التطور حقيقة ثابتة، وتطور الكائن الحى كتطور الجنين ينطوى على تسجيل مستمر للديمومة وبقاء للماضى فى الحاضر، وبالتالى ما يشبه الذاكرة العضوية، وفى هذا يبدو الفارق الكبير بين الزمان الحى الواقعى والزمان الرياضى المجرد، فإن الزمان الحى الواقعى هو زمان التطور والديمومة، بينما **الزمان الرياضى المجرد** هو زمان الخلق المتجدد الذى لايكف عن الفناء والتجدد والموت والبعث، وأما **التطور** فإنه عبارة عن استمرار حقيقى للماضى فى الحاضر، وديمومة حية بمثابة همزة الوصل بين الماضى والمستقبل، وتسلسل منطقى بين صور التطور، وتعاقب زمنى بين الأجناس التى تجسمت فيها تلك الصور، تسلسلاً وتعاقباً ليس آليا ،بل تطور مدفوع

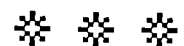
باطنيا بما يسميه برجسون **بالوثبة الحيوية** elan vital تنتقل الحياة عبرصورها المتعاقبة التى تزداد تعقيداً حتى تمضى بها نحو أعلى صور الحياة وأرفعها، فكأننا بإزاء تيار حىّ قد نبع فى وقت ما وفى نقطة من مكان ما، وانتقل من جسم إلى جسم، ومن جيل إلى جيل، ولم يلبث أن انقسم بين الأجناس وتشتّت بين الأفراد، دون أن يفقد شيئا من قوته، بل كان يزداد كلما أوغل فى التقدم.

ولا يخفى على أحد أن برجسون قد جعل هذه **الوثبة الحيوية** فى مكان اللّه، أو أنه قد خلط بين اللّه والوثبة الحيوية، ما دام اللّه يخضع للديمومة، ومادامت صفة القدرة المطلقة ليست من صفاته. والواقع أن نظريته فى التطور تجعل مذهبه طبيعيا، ولا تسمح بتصور وجود إله مفارق للكون، لأن كل ما هنالك من فارق بين اللّه والعالم، إنْ هو إلاّ اختلاف فى درجة الشدة أو التوتر أو الترقّى، **فإله برجسون** متغير متحرك قابل للنمو والتزايد باستمرار، ومثل هذا الإله لايتصف بأى كمال من الكمالات التى ننسبها فى العادة إلى المبدأ الإلهى، ومعنى هذا أن تطور برجسون **هو نزعة واحدية** Monis-me تقرّبه من بعض الوجوه من مذهب يهودى آخر هو سبينوزا فى **وحدة الوجود**، ولو أننا هنا بصدد **وحدة وجود صدورية** من نوع خاص، تجعل من الله الينبوع الحر الخالق الذى تنبعث منه الحياة والمادة على السواء، بمقتضى جهد إبداعى يتجلىّ فى تطور الأنواع الحية وظهور الشخصيات البشرية، وهذا الذى يجعلنا نقول إن **البرجسونية** فلسفة طبيعية تطورية تخلص للتراث اليهودى وإنْ بدت نائية عنه، ولذا فقد اتجه برجسون بعد ذلك **الوجهة الأخلاقية** التى تميز الفلسفة اليهودية، فمع انقسام الدفعة الحيوية وتشتتها ظهرت مراتب الحياة المختلفة، وتميز الحيوان بالغريزة والإنسان بالذكاء، **والغريزة** وثيقة الصلة بالحياة، ومهمتها استخدام آلات عضوية، أو استعمال آلات طبيعية، وتبلغ أوجها لدى النحل والنمل، **والعقل أو الذكاء** ملكة تقوم بوظيفة صناعية هى تركيب واستخدام آلات غير عضوية، ويبلغ العقل أوجه لدى الإنسان، ويتميز الإنسان بالاختراع والخلق، فهو **صانع**، وليست الصفة الأولى له هى الحكمة أو العلم، ولكنها **العمل** أو **الصناعة**، ولذا تقوم الحياة الاجتماعية على

الصناعة.

وأدت الوثبة الحيوية فى **مجال الأخلاق** إلى ظهور ضربين مختلفين منها يقابلان هذين الاتجاهين المتمايزين، اتجاه الغريزة واتجاه العقل، والأول تناسبه **الأخلاق المغلقة**، وهى أخلاق الجماعات المغلقة على نفسها، التى تشبه من بعض الوجوه مجتمع النحل أو النمل، والثانى تناسبه **الأخلاق المفتوحة** التى تتجاوز حدود الجماعة، وعليها يتوقف مصير الإنسانية، لأنها هى التى تفتح أمام التطور البشرى أفقا واسعاً. وتقوم الأخلاق المغلقة على **الإلزام** الذى يفرض على الجماعة نظاماً من العادات، يحقق لها وحدتها ويصون كيانها، بينما الأخلاق المفتوحة تصدر عن نزوع سامٍ تتمثل فيه جاذبية القيم وحب الإنسانية، والأولى يسميها برجسون **أخلاقاً اجتماعية**، ومثالها الأعلى تحقيق العدالة والتضامن الاجتماعى، والثانية يسميها **أخلاقًا** إنسانية، ومثالها الأعلى هو المحبة والكمال الأخلاقى، وعلى ذلك **فاليهودية** أخلاق مغلقة من وحى مجتمع مغلق. ويبدو أن الوثبة الحيوية لم تستطع أن تنتج إلا مجتمعات مغلقة بطريقة أو بأخرى، وعندما عجزت عن الاستعانة بالنوع الإنسانى بأكمله، لم تجد بداً من أن تستعين ببضعة شخصيات ممتازة منه، اتخذت منها أدوات لتحقيق مقاصدها وأغراضها، وهؤلاء هم الأبطال والأنبياء والمصلحون، رموز الوثبة الحيوية، ودعاة المحبة والإيثار، وهم الصفوة المختارة التى تحقق للحياة حركتها الصاعدة، وكأن برجسون ينطق عن التراث اليهودى وفكرة الشعب المختار، إلا أنه يريد فى نفس الوقت أن يخرج من انغلاق اليهودية إلى رحابة العالمية، ولذا نراه فى وصيته كما قلنا يعلن عن تأييده الأدبى للكاثوليكية، لأنه رأى فيها ديانة عالمية تتجاوز اليهودية وتكملها. ثم إنه رأى أن يفرّق بين ضربين من الدين بعد أن فرّق بين ضربين من الأخلاق، فقال بوجود دين **ساكن** أو استاتيكى، **ودين متحرك** أو ديناميكى، والأول يحمل الفرد على التشبث بالحياة والإخلاص للجماعة، والثانى تجربة روحية، منبعها الحدس لا الغزيرة، وغايتها

الاتصال بالوثبة الحيوية التى تكمن وراء شتى مظاهر الوجود، ووسيلتها الانفصال عن كل شىء لا التعلق بأهداب الحياة، وهو شىء لا نلقاه إلا لدى **الصوفية**، والصوفى هو تلك الشخصية النادرة التى تستطيع أن تتجاوز الحدود التى عينتها للنوع البشرى ماديه، وبالتالى تستطيع أن تواصل الفعل الإلهى نفسه، **والمسيح** فى نظر برجسون هو أكبر شخصية صوفية عرفها التاريخ، بحيث يمكن القول أن كل المتصوفة أتباع له. والصوفى المسيحى يشعر بأن الحب يستغرق وجوده كله، وهو ليس حب إنسان لله، ولكنه حب الإنسانية من خلال الله وبواسطته. ثم يعرّف برجسون **إله الصوفية** بأنه حياة ومحبة، تعبر عنهما تلك **الوثبة الحيوية** التى تصدر عنها ديانتهم، وهم وحدهم الذين يتلقون عن تلك الطاقة الخلّاقة التى هى الأصل فى رؤاهم وكشوفهم، وعلى عاتقهم تقع مسئولية توجيه الإنسانية إلى حياة مستقرة مليئة بالمحبة والتعاطف. ورغم هذه النغمة الروحية العالية إلا أن برجسون يظل **الطبيعى** الذى نوهنا عنه، بقوله بملكة خاصة أرجع إليها الاعتقاد الدينى، وأطلق عليها اسم **الوظيفة الأسطورية**. وهو لم يستخرج من تجارب الصوفية إلا ما يخدم نظريته فى التطور الخالق وفلسفته الحيوية، وإلا لما قال إن التصوف انفعال صرف يجهل الصوفى مصدره. وهذا ما حدا بالكثيرين إلى القول بأنه لم يفهم التصوف على حقيقته، وكيف يفهمه وهو مايزال متعلقاً بمقولاته البيولوچية وتجريبيته المادية، وحتى لو قال عنها أنها تجريبية صوفية.



برجمان Bergman

(١٨٨٣م) **شموئيل هوجو برجمان**، تشيكى، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٢٠، وكان من شبابه الباكر صهيونياً، فقد اتصل خلال تلمذته **بمارتن بوبر** وتأثر به وانطبع بفلسفته. وخلال دراسته ببرلين انضم للكنطيين المحدثين من اليهود وخاصة **هيرمان كوهن وإرنست كاسيرر**. واتجاهاته علمية مشايعة لبرنتانو، ولكنه يقول بالعلم

المؤسس على الإيمان، وله كتاب فى ذلك باسم «**الإيمان والعقل**»، ولكنه الإيمان اليهودى المتعصب، فهو لايكتب إلا عن اليهود وأثرهم فى الفلسفة الغربية، وعن المسائل الفلسفية من وجهة نظر يهودية، ويصف تجربته الدينية بأنها مباشرة، وأنها لقاء يتم بينه وبين الله أو فى حضرة الله، شكله الصلاة، والحوار وسيلته، ومذهبه فى ذلك كمذهب مارتن بوبر أستاذه، الذى ينقل مقولات هذه الفلسفة من التجربة اليهودية الكبرى، التى يقول إنها اللقاء الأكبر بين شعب إسرائيل والله عندما تجلى للشعب وجاذبه أطراف الحديث. ويطرح برجمان الكثير من هذه الأفكار فى كتابه الرئيسى «**مفكرون ومؤمنون**» (١٩٥٩).



برلين Berlin

(١٩٠٩) **أشعيا برلين**، صاحب كتاب «**كارل ماركس**» (١٩٣٩) الذى اشتهر به، صهيونى النزعة، وإن كانت فلسفته تقوم على أفكار تتناقض مع الصهيونية بوصفها فلسفة فاشية استعلائية، فهو يرفض الحتمية التاريخية فى كتابه «**أوجست كونت**» (١٩٦٤)، ويقول بالنمط الغربى للحرية فى كتابيه «**مفهومان للحرية**» (١٩٥٨) و «**أربع مقالات فى الحرية**» (١٩٦٩)، بحجة أنه النمط الذى يقوم على الاتفاق، ويقر مختلف المشارب والحاجات، ولا يدعى أصحابه العصمة، بينما النمط الشيوعى عكس ذلك. إلا أن تأييد أشعيا برلين لإسرائيل والصهيونية يكشف عن عيب أصيل فى شخصيته، حيث تتباين عنده النظرية عن تطبيقها، وتتخالف أقواله عن أفعاله، ورغم أنه يكتب عن كارل ماركس من منطلق غربى، وكذلك كتابه عن «**موسى هيس**» (١٩٥٩) إلا أنه يريد أن ينبه ربما إلى الشىء المشترك فيهما وهو «**عبقريتهما اليهودية**»، وهذه العبقرية الخاصة هى التى شدته إلى تأييد إسرائيل وتوثيق علاقاته بزعمائها. وقد قبل أن يرأس جامعتها

فى القدس، وأن يكون ضمن اللجنة التى أشرفت على نشر رسائل حاييم وايزمان، وكانت له به صلات حميمة دائماً.



برنابا Barnabas

برنابا الرسول، صاحب **إنجيل برنابا** على زعم البعض، جاء فى الإصحاح الرابع من أعمال الرسل «وإن يوسف، الذى لقّبه الرسل برنابا، الذى تأويله **ابن العزاء**، اللاوى القبرصى الأصل، كان له حقل فباعه وأتى بثمنه وألقاه عند أقدام الرسل»، فهو إذن من أوائل من استجابوا للشركة المسيحية، فحقق المبدأ «وكان جميع المؤمنين معاً، وكان كل شيء مشتركاً بينهم، وكانوا يبيعون أملاكهم وأمتعتهم ويوزعونها على الجميع على حسب حاجة كل واحد (أعمال الرسل، الإصحاح الثانى).

وبرنابا هو الذى شهد لشاول الذى اشتهر فيما بعد باسم بولس، وقدمه إلى التلاميذ، وكان شاول «قد حاول أن يلتصق بهم فكانوا يخافونه غير مصدّقين أنه تلميذ، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل، وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق، وأنه كلمه وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع» (الإصحاح التاسع)، فلما كان الآباء فى أنطاكية، اختص الروح القدس برنابا وشاول من المعلمين جميعهم «أفرزوا لى شاول وبرنابا للعمل الذى دعوتهما إليه» (الإصحاح الثالث عشر)، فلما عاينا تجديف اليهود قالا بجرأة «إنما كان يجب أن تقال كلمة الله أولاً لكم، ولكن بما أنكم رفضتموها وحكمتم بأنكم غير مستحقين للحياة الأبدية فها نحن نتوجه إلى الأمم» (الإصحاح الثالث عشر)، وحدثت على أيديهما المعجزات حتى ظنهما الناس إلهين، وسمّوا برنابا **زوسا** وبولس **هرمس**، فلما سمع بذلك برنابا وبولس مزقا ثيابهما ووثبا نحو الجموع صارخين وقائلين «أيها الرجال لماذا تصنعون هذا، إنما نحن بشر نقبل الآلام مثلكم، ونحن نبشركم بأن ترتدّوا عن هذه الأباطيل إلى الله الحى» (الإصحاح الرابع عشر)،

ولكن رفقة الجهاد هذه لم تدم بين الرسولين، وكان يعلم من بشارة روح القدس أن برنابا وشاول قد أفرزا للعمل معا، ولكن البشارة خبت «فبعد أيام قال بولس لبرنابا لنرجع ونفتقد الإخوه فى كل مدينه بشّرنا فيها بكلمة الرب كيف هم، فارتأى برنابا أن يأخذا معهما يوحنا المسمى **مرقس**، لكن بولس كان يستحسن أن لا يؤخذ معهما من كان فارقهما من بمفيلية ولم يذهب معهما للعمل، فوقع بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر، فأخذ برنابا مرقس وأقلع إلى قبرص» (الإصحاح الخامس عشر). ومرقس الذى كان سبب هذا الخلاف هو **مرقس الرسول** صاحب الإنجيل المعروف باسمه، ويصفه بولس فى رسالته إلى أهل كولسى بأنه **ابن أخت برنابا**، ويقول عنه صاحب **مروج الأخبار فى تراجم الأبرار** «أنه صنّف إنجيله بطلب من أهالى رومية، وكان ينكر ألوهية المسيح». أما بولس فهو القائل بأن المسيح هو ابن اللّه، وكان مرقس تلميذأ لبطرس، وبطرس هو الذى أنكر على بولس مقولته عن المسيح وتعطيله للناموس، ولم يكن يرى فى المسيح إلا أنه نبى قد مسحه اللّه بروح القدس وبالقوة، ومن أجل ذلك وصف بولس، فى رسالته إلى أهل غلاطية، بطرس وبرنابا بأنهما مرائيان، ولم يرض عن مرقس، وقيل إن مرقس كتب إنجيله بوحيٍ من بطرس، وقيل إن برنابا هو صاحب الرسالة إلى العبرانيين، ويلاحظ أن هذه الرسالة هى الوحيدة التى تلقّب المسيح بالكاهن الأعظم، وتعقد المقارنة بينه وبين موسى بوصفهما نبيين، وليس بوصف المسيح إلها. وكذلك ينسب إلى برنابا أنه كاتب الإنجيل المعروف باسمه، ولذلك وقع الشقاق بين بولس من ناحية، وبرنابا ومرقس من ناحية أخرى. ويذكر التاريخ أن البابا **جلاسيوس الأول**، الذى جلس على الأريكة البابوية سنة ٤٩٢م، أصدر أمراً يعدّد فيه أسماء الكتب المنهى عن مطالعتها، وفى عدادها كتاب يسمى **إنجيل برنابا**، فإنجيل برنابا حقيقة تاريخية وليس كتاباً منحولا على اليهود والمسيحيين، وصاحبه شخصية تاريخية مشهود لها بالصلاح، ولم يكن تأخر العثور على نسخة منه حتى فجر القرن الثامن عشر إلا

عشر إلا هذا التحريم البابوى، وقد عثر على هذه النسخة كريمر أحد مستشارى ملك بروسيا سنة ١٧٠٩، وانتقلت النسخة مع بقية مكتبة ذلك المستشار إلى البلاط الملكى بڤيينا سنة ١٧٣٨ ، وكانت تلك النسخة هى الأصل لكل نسخ هذا الإنجيل فى اللغات التى ترجم إليها ، ولكن فى أوائل القرن الثامن عشر، أى فى زمن مقارب لظهور النسخة الإيطالية ، وجدت نسخة أسبانية ترجمها المستشرقون سايل ومنكهوس إلى اللغة الإنجليزية، ولكن لم يعلم من تلك النسخة وترجمتها إلا شذرات، ورجح المحققون أن النسخة الإيطالية هى أصل النسخة الأسبانية، وأن صاحب النسخة الأسبانية مسلم نقلها من الإيطالية إلى الأسبانية، وذلك أنها قدّمت بمقدمة تذكّر أن الذى كشف النقاب عن النسخة الإيطالية راهب لاتينى اسمه مرينو، وأنه يقص قصتها فيقول « إنه عثر على رسائل لأرينابوس، وفيها رسالة يندد فيها بما كتبه بولس الرسول، ويستند فى تنديده إلى إنجيل برنابا ، فدفعه حب الاستطلاع إلى البحث عنه، وقد وصل إلى غايته عندما صار من المقربين إلى البابا سكتس، فرنه عثر على ذلك الإنجيل فى مكتبة هذا البابا ، فأخفاه بين أرديته وطالعه فاعتنق الإسلام ».

وقد قيل فى أمر هذه النسخة أنها مدخولة على اليهود والمسيحيين. ومن الواضح أن وجودها يمتد إلى منتصف القرن الخامس عشر أو أول القرن السادس عشر، وكان العثور عليها فى جو مسيحى خالص، وأول من عثر عليها رئيس دينى خطير وفى خزانة كتبه، وكاشفُها راهب. ولما تداولتها الأيدى انتقلت إلى مستشار مسيحى من مستشارى ملك بروسيا ، ثم آلت إلى البلاط الملكى بڤيينا ، فلا مظنة أنها مدخولة عليهم، وهى منسوبة لقديس من القديسين هو برنابا ، ولم يعرف بهذا الاسم سواه وله مثل مكانته الدينية، وإذا صح أن البابا جلاسيوس الأول قد حرّم تداوله فإن هذا الإنجيل كان موجوداً قبل بعثة النبى صلّى الله عليه وسلم بأكثر من قرنين. وزعم الدكتور خليل سعادة مترجم النسخة العربية بأنه لو كان معروفاً فى ذلك الحين لعرفه النبى صلّى الله

عليه وسلم واحتج به أو أخذ منه، وهو زعم باطل لأن النبى صلّى اللّه عليه وسلم كان أميّاً لايقرأ ولايكتب، ولم يحدث أن أقام فى بلاد مسيحية لمدة تسمح له بالاطلاع عليه سماعاً ومعرفة، ولأن مُضى قرنين من الزمان بعد تحريم البابا لتداوله يجعل التحريم يُنتِج أثره. وإنك لتجد فى هذا الإنجيل أخباراً دقيقة عن التوارة حتى ليقول الدكتور سعادة « إنك إذا أعملت النظر فى هذا الإنجيل وجدت لكاتبه إلماماً عجيباً بأسفار العهد القديم لاتكاد تجد له مثيلا بين طوائف النصارى إلا فى أفراد قليلين من الأخصائيين الذين جعلوا حياتهم وقفاً على الدين، كالمفسرين، حتى أنه ليندر أن يكون بين هؤلاء أيضاً من له إلمام بالتوارة يقرب من إلمام إنجيل برنابا ». ولكن الدكتور سعادة يزعم أن أصله عربى، بدليل أنه وجد على النسخة الإيطالية تعليقات عربية، وأنه صرّح فى التبشير باسم النبى، مع أن المعهود فى البشارات الرمز لا النصّ. وقد يكون وجود التعليقات دليلاً فقط على أن بعض من قرأ هذه النسخة يعرف العربية ، وخاصة أن اللغة العربية كانت منتشرة بين المتعلمين فى العصور الوسطى انتشار اللغة الإنجليزية هذه الأيام. ومع ذلك فهذه التعليقات سقيمة العبارة فى أحيان كثيرة، ولا يمكن أن تكون دليلاً على الأصل الإسلامى لهذه النسخة الإيطالية. ومن الغريب أن تُتخذ هذه التعليقات دليلاً على أن الكاتب مسلم، ولايُتخذ الإنجيل نفسه بما تميز به من قوة التصوير، وسمو التفكير، والعبارات الإيطالية المحكمة، والمعانى المنسجمة دليلاً على الأصل المسيحى للنسخة. أما كون التبشير بالنبى محمد تصريحاً فيه وليس تلميحاً، فإن بعض البشارات فى الكتب المقدسة قد وردت تصريحاً ولم ترد تلميحاً. ومن المؤكد أن المسلمين فى العصور الوسطى لم يكونوا على علم بهذا الإنجيل، وإلاّ لاحتجّوا به فى مناظراتهم الكثيرة مع الإنجيليين على مر العصور. وقد يسأل سائل لكن لماذا ينكره الإنجيليون مع أن قوة النسبة فيه لاتقل عن قوة النسبة فى أناجيلهم الأربعة، والجواب عن ذلك أنهم رفضوه لأنه خالف العقيدة، فهو **لم يعتبر المسيح ابن**

الله، **ولم يعتبره إلها**، يقول: « إن الله العظيم افتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح، برحمة عظيمة للتعليم، والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذى أمر به الله دائماً ، مجوزين كل لحم نجس، الذين ضلّ فى عدادهم أيضاً بولس الذى لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذى لأجله أسطّر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع، لكى تخلصوا ولايضلكم الشيطان فتهلكوا فى دينونة.الله، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه » (المقدمة، العبارة الثانية). وقال برنابا إن الذبيح الذى تقدم به إبراهيم للفداء هو **إسماعيل** وليس بإسحق كما هو مذكور فى التوراة. « الحق أقول لكم إنكم إذا أمعنتم النظر فى كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبنا وفقهائنا، لأن الملاك قال يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله، ولكن كيف يعلم الله محبتك لله؟ حقاً يجب عليك أن تفعل شيئاً لأجل محبة الله. أجاب إبراهيم ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله، فكلّم الله حينئذ إبراهيم قائلاً: خذ ابنك بِكْرَك واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة »، فكيف يكون إسحق البكر وهو لماّ وُلِد كان إسماعيل ابن سبع سنوات؟ والأمر الثالث أن برنابا يجعل النبى المنتظر هو محمد، ويذكره باللفظ الصريح ويقول إنه رسول الله (الفصلان الثالث والأربعون والرابع والأربعون). والأمر الرابع قوله إن المسيح لم يصلب ولكن شُبّه لهم، فألقى الله شَبَهه على يهوذا الأسخريوطى، حتى اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه يسوع، ونسوا أنه القائل إنه سيُرفَع عن العالم، وأن آخر سيعذب باسمه (الفصل ٢١٧). ولكل هذه الأسباب رجح البعض أن لايكون كاتب هذا الإنجيل هو برنابا الرسول. وللتشابه بين ما يذهب إليه وما يقول به القرآن قالوا إن مؤلفه مسلم، ولايلزم من ذلك أن يكون عربى الأصل ، بل الأحرى أن يكون يهودياً أندلسياً اعتنق الدين الإسلامى بعد تنصرّه واطلاعه على أناجيل النصارى، وربما كان هذا الإنجيل عندهم

صياغة جديدة لإنجيل قديم يسمى **بالإنجيل الأغنسطى**، مقدمته تندد بالقديس بولس، ويذكر أن ولادة المسيح كانت بدون ألم. ومن المحتمل أن أحد معتنقى الإسلام من اليهود أو النصارى عثر على نسخة منه فى اليونانية أو اللاتينية فى القرن الرابع عشر أو الخامس عشر، وأعاد كتابته على الصورة الراهنة، فخفى بذلك أصله. وأيما كانت حقيقة هذا الإنجيل فالواقع الذى لايختلف عليه اثنان أن كاتب هذا الإنجيل كان يهودياً على جانب كبير من الحكمة وقوة الحجة وجلاء البيان، وأن مباحثه الفلسفية فى الجسد والنفس من الوجهة الدينية لَمِن أسمى ما كتبه الباحثون الدينيون فى هذا الموضوع. الأمر الذى يجعل الاحتمال الأرجح أن كاتبه لايمكن أن تكون غايته الانتحال والتضليل. ومن ثم لانرى ثمة ما يمنع أن يكون مؤلفه هو برنابا نفسه، مع ما عرف عنه من تقوى وصلاح وبراعة وبيان، ومع قصة اختلافه مع بولس، وانحيازه لمرقس تلميذ بطرس الذى لم يذهب إلى القول بتأليه المسيح.



برنشفيك Brunschvig

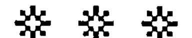
(١٨٦٩ - ١٩٤٤) **ليون برنشفيك**، فرنسى، فلسفته خليط من **سبينوزا وبرجسون**، وكلاهما يهودى، وفلسفته كما طرحها فى كتابه «**العقل والدين**» و«**تطور الوعى فى الفلسفة الغربية**» تقوم على التوحيد، إلا أن الديانة التى يبشر بها تختلف عن الديانات التقليدية التى يعتبرها ديانات تجسيمية قد تشخصن فيها اللّه. وهو يقول إن **الوعى** هو الحقيقة الوحيدة، واللّه هو الذى يبعث الحركة فيه ويمنحه الحياة، ويعتقد أنه مع تطور الوعى وارتقاء الإنسان إلى مراحل أعلى، تحقق الإنسانية لنفسها عهداً ثالثاً يمكن أن يحل محل العهد الثانى المسمى **العهد الجديد**. وديانة القرن العشرين لذلك فى مفترق الطرق، بين ديانة الماضى التقليدية أو ديانة العهدين القدم والجديد، التى كان اللّه فيها صورة لطموحات الإنسان وآماله فى تلك الأوقات، وبين **ديانة**

المستقبل التى ينبىء بها التفكير الفلسفى، وهى ديانة روحية خالصة من كل شوائب التجسيم والتشخيص. واتهم « **لوروى** » فى مناظرة عقدت بالجمعية الفلسفية الفرنسية (١٩٢٨)، وحضرها بلوندل وجيلسون، اتهم برنشفيك بإنكار الإله التقليدى، أى بالإلحاد، وقال إن الله عنده كالروح المطلق عند **هيجل**، يحققه الوعى فى تطوره، حيث أن برنشفيك لا يؤمن بشىء خارج هذا الوعى المتطور.



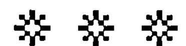
برونر Brunner

(١٨٦٢ - ١٩٣٧) اسمه الحقيقى **ليوبولد فيرتايمر**، واسمه القلمى **قسطنطين برونر**، ألمانى، عاش فى بوتسدام حتى اضطره النازى إلى الرحيل منها إلى هولنده (١٩٣٣)، وكان العدو المبين **للصهيونية**، فقد كان يراها خرافة من شأنها أن تشوه الحقيقة، وترفع النسبى إلى مستوى المطلق. وعنده أن التفكير مستويات، أدناه التفكير العلمى، ويمتلكه كل الناس، وأرقاه التفكير الذى غايته إدراك المطلق، والاعتقاد الذى يقوم عليه قد يقوم على الإلهام، وقد يدعمه المنطق، وفى الحالين هو تفكير يتوجه إلى النفاذ إلى أسرار العالم، ويقصد إلى الإحاطة بالمطلق. وأما الاعتقاد الذى يقوم على خرافة، والصهيونية من هذا النوع، فهو يشبه التفكير وليس بتفكير حقيقى. وحلّ المسألة اليهودية ليس بالصهيونية لأنها تشويه لليهودية، وإفراغ لها من محتواها الإيديولوچى العالمى، ولكنه بأن يطرح اليهود عنهم خرافة تميزهم الذى أساسه الأسطورة، وباندماجهم فى مجتمعاتهم.



البصير Al - Basir

يوسف بن إبراهيم، وشهرته **يوسف البصير**، أو الضرير بمعنى أصح، فقد كان أعمى، وكان على مذهب القرّاءين، واشتهر فى النصف الأول من القرن الحادى عشر، وله كتب «**المحتوى**»، و «**التمييز**» و «**الاصطبار**»، وثقافته عربية، وكان متكلماً على مذهب **المعتزلة**، فبالمعرفة العقلية لله يثبت التنزيل، وليس للمعجزات أية قوة مؤكدة بالنسبة لحقيقة العقائد التى يأتى بها الأنبياء، طالما أننا لم نكتسب الاقتناع بأن الذى بعث بهؤلاء الأنبياء أراد لنا الخير، وأنه ليس روحاً كاذباً، وأنه الوسيلة التى يستقر بها هذا الاقتناع فى نفوسنا بدون العقل الذى يرينا حكمة الخالق وقوته. وتتمثل عقلانية البصير خصوصاً فى **مجال الأخلاق**، فهذه الأخلاق القائمة على الوضوح العقلى لا تعتمد على أى نوع من التنزيل، فإذا لم يكن الأمر كذلك كما يزعم الأشاعرة أن الخير والشر كانا محددين تماماً بكلمة الله الموحاة، فلن يكن ثمة سبيل لتأكيد الارتباط بحقيقة الله وتنزيله، ولن نكون أيضاً مضطرين للتحقيق مما إذا كان التنزيل آت أم لا من عند الله.



بعل شمطوب Ba'al Shem Tov

(١٧٠٠-١٧٦٠) **إسرائيل بن عزير** المعروف **ببعل شمطوب**، أى **العارف بالله** أو بأسرار الإسم الأعظم، وهو من أهل السلوك، **وطريقته الحصيدية**، من **الحصيد** وهو ما يتبقى فى الأرض من الزروع لا يبلغه المنجل، فالحصيديون هم البقية الصالحة، وهم المتقون. **والتقوى** عند شمطوب هى أن لا ترى فى الوجود بنباته وحيوانه وجماده إلا الله. وهو **حلولى** يقول إن العالم بالنسبة لله كالصدَفة بالنسبة للحيوان، فهى خارجه ولكنها جزء منه. ولأن الله فى كل شىء فأى تعامل مع الأشياء بالفعل أو بالقول، خيّراً

كان أو شريراً، هو تعامل مع الله، **والصلاة** ليست مجرد الشعيرة ولكنها كل عمل، والمتقى لذلك يستحضر الله فى كل ما يفعل ويقول، وعبادة الله تكون بالجسد كما تكون بالروح، والمصلى مجذوب وموجود، وكذلك المتقى فيما يفعل ويقول، فهو يشتهى كل شيء بما فى ذلك الطعام والشراب والنساء، والفرح الحسى يؤدى إلى الفرح الروحى، وشمطوب لذلك من الإباحيين، **ومذهبه مذهب الفرحين**، يُقرِن الذِكر بالرقص والإنشاد والعزف، ولا ينصح بالزهد، وينأى عن الصيام، ويقول إنهما مجلبة للحزن، والحزن ظلام يغشى القلب، والمؤمن له نور يتغشّاه ويسعى بين يديه، وكل الموجودات يحكمها الشوق إلى الله، **واللذة** اشتياق وهى مبدأ حكم الوجود، والملتذ المتقى هو الذى يشرب بوجد حتى الثمالة، لأن إطفاء العطش يكون بالشرب حتى الرِىّ، وإذا ارتوى العطشان المتقى حمد الله، والحمد عرفان، والعرفان طريق الوصول، والوصول اتحاد بالله، بمعنى أن لا يعود يذكر أنه موجود، ويستحيل **أنا العابد** إلى **أنت الله**، ولا يكون ثمة فرق بين عابد ومعبود. ومن ثم فالخلاص مسألة فردية، وإذا تحقق يكون **الخلاص الجماعى المسيحانى**. ويروى شمطوب أنه فى رؤيا قال له المسيح أنه لن ينزل إلى الأرض إلا إذا تمّ لكل يهودى هذا الخلاص الفردى، وجربّ بنفسه الصعود كما يمارسه بعل شمطوب.

ويظهر من فلسفة شمطوب أثر التراث **اليهودى الهاجادى والقبالى**، وتبين معرفته بكتابات **سعدى الفيومى**، وقيل إن تعاليمه استقاها من أحد كتب **آدم بعل شم القبالى**، غير أن الأثر المؤكد هو تعاليم **شبتاى تسفى ولوريا القبالى**، والاثنان من دائرة الثقافة الإسلامية، والأول ادّعى النبوة واعتنق الإسلام ولو تقاةً، وعن طريقه دخلت **التقية** إلى اليهودية نقلاً عن شيعة المسلمين، وقد نقل عنهم كذلك القول بالإمامة. **والإمام** عند شمطوب هو الصدّيق، **والصدّيقية** عند المسلمين تتوسط بين النبوة والولاية، ولكنها عند شمطوب تسبق النبوة، كسبيل للخلاص الفردى والجماعى معاً. **والصدّيق** عند المسلمين تقواه مراقبة الله فى القول والفعل والسرّ والعلن، ولكن

الصدّيق عند شمطوب يتزين فى سريرته للحق، وفى علانيته يتزين للخلْق، وقد عاش كثير من الصدّيقين حياة مترفة كالملوك من إتاواتٍ فرضوها على المريدين. قيل فى تبريرها أنها دليل التكافل بين الصدّيق والمريد، فالمريد من فرط حبه للصدّيق يرعاه مادياً، والصدّيق من فرط حبه للمريد يعيش على معوناته. وقد قيل إن تعاليم البعل جعلت من **الحصيدية** ديانة تنافس اليهودية، حتى سلب الصدّيقون مكانة الحاخامات، فقامت جماعة من الأخيرين باسم «**المناهضون**» بتأليب السلطة على البعل، حتى قيل إنهم أصدروا قراراً بحرمانه. ولم يترك البعل كتابات تذكر، إلا أن تلميذه **يعقوب يوسف** قد توفر على جمع مواعظه، ونشرت عام ١٩٣٨ فى نسخة محققة بعنوان «**سفر بعل شمطوب**».



البلج Albalag

إسحق البلّج، من دائرة الثقافة الإسلامية، أندلسى عاش فى قطالونية خلال النصف الثانى من القرن الثانى عشر، واشتهر بترجمته لكتاب «**مقاصد الفلاسفة**» للغزالى إلى العبرية، وله شروح وهوامش على الكتاب يشايع فيها ابن رشد على قوله بخطأ التوفيق بين الفلسفة والدين، حيث لكل طريقته فى تصور نفس الحقيقة، فالفيلسوف يدرك حتى المحسوس فى صورة تصورية، بينما يدرك **النبى** حتى التصور فى صورة محسوسة. ومن خاصية الحدس فى النبوة، وخاصية التصور فى الفلسفة، ينتج حتماً اختلاف مضمون كل منهما، فالحقيقة الفلسفية لا يمكن إدراكها إلا بوسائل المعرفة الفلسفية، والحقيقة المنزّلة لا تصل إلا عن طريق النبوة، وأولئك الذين ليسوا بأنبياء لا يستطيعون أن يفعلوا إلا أن يسلموا فى إيمان خالص وبسيط بالحقيقة النبوية، ومع ذلك يبقى التفسير الفلسفى للتوراة ممكنا، بينما ليس هناك من شىء يضمن لنا الوصول إلى المعنى الحقيقى للنصوص الدينية.



بلوخ Bloch

(١٨٨٥) **إرنست بلوخ**، ماركسى ألمانى، قيل عن اشتراكيته أنها **اشتراكية طوباوية**، ووصفت **ماركسيته** بأنها ماركسية إنسانية، ومن أجل ذلك ضيقت عليه حكومة توبنجن. وهو يقول عن فلسفته إنها **فلسفة الأمل فى المستقبل**، ويؤمن بقول ماركس أن غاية الفلسفة هى **المعرفة**، ولكنها المعرفة التى من شأنها أن تدفع صاحبها إلى تغيير واقعه والعالم من حوله نحو الأفضل والحرية، وهذه هى النغمة المسيحانية أو **الطوباوية التى تمتلأ بها الفلسفة اليهودية عموماً، والماركسية خصوصاً بوصفها إفرازاً يهودياً**. وفى كتابه «**مبدأ الأمل**» (١٩٥٩) يفرد بلوخ فصلاً لنقد **صهيونية هيرتسل**، ويسميها **صهيونية بورچوازية**، لأنها دعوة قومية تخاطب اليهود دون غيرهم، وتطالب بأرض ودولة، بينما اليهودية لتى يؤمن بها أكبر من ذلك، فالعالم موطنها، وهى تأخذ من طوبيا **موسى هيس** أحسن ما فيها وتحولها إلى **عقيدة اشتراكية مسيحانية دولية**، ولم يذكر بلوخ فى هذا الفصل أى شىء عن دولة إسرائيل لهذا السبب، ولكن عندما شنّت إسرائيل حرب يونيو سنة ١٩٦٧ بدعوى الدفاع عن نفسها ضد العرب، كان بلوخ أول المتحدثين وأعنفهم فى الاجتماع الذى نظمته جامعة فرانكفورت وقتها لمناصرة إسرائيل، وقال فى هذا الاجتماع قولته التى يلوكها كل الماركسيين «**إن إسرائيل قامت لتبقى**».



بوبر Martin Buber

(١٨٧٨ - ١٩٦٥) **مارتن بوبر**، ألمانى صهيونى، هاجر إلى إسرائيل سنة ١٩٣٨، وعلّم بجامعتها العبرية، وقيل إن **فلسفته صوفية مسيحانية**، وقيل إنها **فلسفة حوار وجودية**، وقيل إنها **اشتراكية إنسانية** تنقل التأكيد من الدولة إلى الإنسان، حيث أن الإنسان هو وسيلة الدولة للانتقال إلى المجتمع الاشتراكى، وهو هدف هذا الانتقال

وغايته، وقيل هي **اشتراكية إنسانية، لأنه** يخلط فيها الاشتراكية بالصهيونية، وهو يصف الأخيرة بأنها «**طريق مقدس**»، وقيل بل لأنه يخلط الاشتراكية بالصوفية اليهودية المسماة **بالحصيدية**، ويقول عن الأخيرة إنها **رسالة اليهود** إلى العالم. وقيل إن فلسفته لكل ذلك «**إنسانية عبرية**». وقالوا إن بوبر، تأكيداً لذلك طالب بدولة تضم اليهود والعرب، وعارض تأكيد **هيرتسل** على الجانب السياسي، وطالب بالتأكيد على **الثقافة**، فالمهم بالدرجة الأولى بناء **الإنسان المثقف**. وقد نشر بوبر كتابه «**الأنا والأنت**» يميز فيه بين نوعين من العلاقات، الأول يسميها علاقات «**الأنا والأنت**»، بين الإنسان والإنسان، وهي علاقات تتميز بالانفتاح والمشاركة والحضور، والحوار وسيلتها، وهو حوار حقيقي لأنه بين أنداد. والضرب الثاني علاقات «**الأنا والهو**»، بين الإنسان والأشياء، فيستعمل الإنسان الأشياء لمصلحته، ويطوعها لغاياته، وقد تقوم علاقات من هذا النوع الأخير بين إنسان وإنسان، ولكن الحديث الذي يجري بينهما لا يكون حواراً لأنه لا يكون بين أنداد، ولكنه إملاء، المتكلم الوحيد فيه هو الطرف الأول، بينما الثاني ينصت ويطيع، ولذلك فعلاقات **الأنا والأنت** أساس **الديمقراطية**، وعلاقات **الأنا والهو** طابع **الديكتاتورية**، ولا يعني ذلك أن كل علاقات هذا النوع الأخير شرّ، فبهذه العلاقات نستطيع أن نعرف العالم من حولنا، حيث يكون الأنا هو الذات، والهو موضوعه. وبالمعرفة التي نحصل عليها عن طريق هذه العلاقات نستطيع أن نصنع ونبدع، أي تكون لنا التكنولوجيا والفن. وفي الإنسان الصحيح والثقافة السليمة يوجد النمطان من هذه العلاقات في تداخلٍ جدلي، حيث يمكن أن تستحيل علاقات الأنا والأنت إلى علاقات الأنا والهو، وتتضمن هذه في نفسها إمكانيات الاستحالة من جديد إلى علاقات الأنا والأنت. وعلاقاتنا بالله من النوع الأول، حيث **الله** هو الأنا الأزلي، لأننا لا يمكن أن نعرفه من علاقات من نوع الأنا والهو. والحوار مع **الله** وحي، وبه يكون تعيننا، لأنه في كل أنت إنساني يوجد دائما أنا أزلي، **والوحي** ليس شيئا حدث

فى الماضى وانتهى أمره، ولكنه حوار دائم يقوم فى كل آن ومكان، والنبوة لذلك مفتوحة لم تختتم، والوحى مستمر طالما الإنسان مستعد للتلقى، ولأن شعب إسرائيل مقدس، فالوحى معه مستمر من الأزل، وأمة إسرائيل لذلك أمة أزلية من الأنا الأزلى، وهذا الحوار الأزلى يشمل كل نواحى حياتها الاقتصادية والاجتماعية والقومية والفكرية، ولكن هذا التعبير يكون أقوى ما يمكن عندما يتكامل المجتمع اليهودى، أى عندما يكون الشعب على أرضه، بسبب الرابطة المقدسة التى تربط الشعب بأرضه، وهذه الأمة المقدسة لها لذلك دورها الفريد فى الحضارة العالمية، بسبب شخصيتها الفريدة وتاريخها المقدس، فما تتلقاه من وحى تقوم بترجمته إلى تاريخ، وتاريخها لذلك وحى منزل، ودلالة هذا التاريخ الأخلاقية من ثم مطلقة، فإرادتها من مشيئة الله، وقد شاء الله أن يعيد إليها الأرض، وليس أدل على وجود الله من تحقيق ما وعد به هذه الأمة، فقد وعدها الأرض وأوفى. وواضح أن بوبر قد خلط فلسفته الوجودية بالصهيونية والحصيدية، فجعل فلسفة الحوار إطاراً لأفكاره اليهودية، التى تقول بتداخل القومى والدينى، والزمنى والمقدس، وحلول الخالق فى المخلوق، واختلاط الوحى بالتاريخ، وجعل اليهود مركزاً للعالم والتاريخ، وقد بسط ذلك فى كتبه الأخرى «**الحصيدية والإنسان المعاصر**» (١٩٥٨) و «**أصل ومعنى الحصيدية**» (١٩٦٠) و «**مملكة الله**» (١٩٥٦) و «**معرفة الإنسان**» (١٩٦٥).



بوبر Popper

(١٨٣٨- ١٩٢١) يوسف بوبر، وكنيته ذو **البصر الحديد Lynkeus**، فقد كانت بعينيه حدة وغضب، نمسوى، فلسفته تبدو لأول وهلة كما لو كانت دفاعاً عن الفرد ضد الاضطهاد بكافة أشكاله، ولكنها فى الحقيقة دفاع عن اضطهاد اليهود فى المجتمعات المسيحية، ورغم أنه ضد التعصب، إلا أنه متعصب لبنى قومه، ويؤكد فكرة قيام دولة

لليهود فى فلسطين، ويزعم أنه ضد الدين لما له من آثار تربوية سيئة فى زعمه، وينسى أن اليهودية قوامها الدين. وهو يقول إن إيمانه باليهودية كقومية، ومطالبته بإنشاء وطن قومى لليهود يفسد مع ذلك دعواه بوحدة الأمة، التى يقول إن الدين يقصمها بإشاعته الفرقة وإفشائه العداء بين الطوائف. وكتبه فى معظمها تهجم على الدين: «**أوهام فيلسوف واقعى**» (١٨٩٩) و «**عن الدين**» (١٩٠٥)، و «**الفرد وتقويم حياة البشر**» (١٩١٠). وهو يريد حضارة خالية من الدين، والمجتمع الأمثل عنده مجتمع مادى يسعى لتوفير الضروريات لأفراده، وكتابه «**واجب توفير الغذاء**» (١٩١٢) هو أهم كتبه لذلك، أراد به أن ينبه الناس إلى ضرورة نقل الاهتمام من التربية الدينية أو الروحية إلى نوع من التربية يتحقق به للمجتمعات تدريب الناس على أن يكونوا عمالاً فى جيش هائل يسميه **جيش توفير الغذاء للجميع**. وهو يقول إن الدين ترف فكرى ووهم من الأوهام الكثيرة التى تحفل بها الفلسفة والثقافة. بل إنه أكبر هذه الأوهام وأخطرها، وهو الذى يحول بين المجتمع والتوفر على مشكلته الحقيقية، وهى توفير الحد الأدنى من العيش الكريم لكل فرد، بصرف النظر عن مواهبه ومؤهلاته. ويقترح بوبر لضمن **الحرية والكرامة** لكل الناس فرض مايسميه **التجنيد المدنى**، كمقابل للتجنيد الإجبارى، بهدف توفير الضروريات، والخدمة فيه إجبارية للنساء والرجال على السواء، ومدتها للنساء سبع سنوات، وللرجال اثنتا عشرة سنة، ويعمل الجميع خمساً وثلاثين ساعة أسبوعياً، واختصاص الدولة إنتاج وتوزيع الضروريات، بينما إنتاج الكماليات وتوزيعها من اختصاص المشروعات الخاصة، وبعد أن يقضى الفرد مدة خدمته تكون له حرية اختيار المهنة التى تناسبه ويحبها، أو الركون إلى الراحة بقية أيامه. والضروريات وهى المسكن والمأكل والملبس والعلاج والتعليم الأولى من نصيبه فى الحالتين. وواضح أن فلسفة بوبر **مسيحانية**، وإن كانت لا تقول بالمسيح أو المهدى المنتظر، ولكنها تبشر بالعصر المسيحانى. وهو يعارض الخدمة العسكرية فيما يزيد عن دفاع الدولة عن

نفسها، ويعارض أن يشهر الفرد سلاحه إلا دفاعاً عن نفسه. وحق الدفاع عن النفس مشروع فى الحالتين، ولكنه ينسى فى الحالتين أن دعوته إلى إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين معناه عدوان على سكان آمنين، وانتزاع لأراضٍ وبيوت من أهلها. وفلسفته لا تجيز العدوان، ولكن يبدو أن ما يحلله لقومه يحرمه على الآخرين. وهو التناقض الواضح المشهور بالتناقض بين النظرية والتطبيق، وسنجده مرة ثانية يعثر بهذا التناقض عندما يطالب بتطبيق المعاملة بالمثل على من يبيح استعباد الناس أو الإساءة إليهم من منطلق عنصرى، فيقول تُرَى ماذا يكون موقف مستعبد الناس لو أننا استعبدناه لفترة من الوقت؟ وبالمثل فنحن نقول وماذا يكون موقف بوبر لو أن فلسطينياً سطا على بيته، ونزا على أمرأته، أتراه كان سيوافق على مبدأ المعاملة بالمثل الذى أثار عليه ثائرة الكثيرين؟ وكان بوبر كثير الاحتجاج بمبدأ المعاملة بالمثل على **تريتشكه**، لأن الأخير كان فى زعمه من المعادين للسامية، وهى التهمة التى لم ينج منها عنده حتى **بسمارك**، وله فى ذلك كتاب صريح بهذا الاسم، والتى على أساسها هاجم **هيجل ونيتشه وكارلايل وسبنسر وأوزفالد**، بدعوى أن فلسفاتهم تجيز أحياناً التضحية بالفرد فى سبيل المثل والقضايا العليا، وطبقاً لما يسميه «**حساب القيمة**» تكون حياة الفرد الواحد مهما تدنّت مكانته الاجتماعية أثمن من ألف مُثُل وقضية عليا، وهى حجة مردودة عليه، وإلا فلماذا يجيز إنشاء الوطن القومى وهو يعلم ما سيسببه ذلك من مآس؟ وبوبر يقول إن حياة الإنسان قيمة ضرورية، والتقدم وما شابهه من مثل عليا قيمة كمالية، ولاينبغى أن تُطلَب القيم الكمالية على حساب الضرورية. وقد أعجبت حجته هذه اليهود، وكانوا يتذرعون بها ضد النازية، وكأن بوبر كان يقرأ الغيب ويتنبأ بقيام فلسفات تبيح التضحية باليهود، فأعدّ لهم الدفوع التى تدحض هذه الفلسفات، ولهذا السبب عينه أطلق **إينشتاين** على بوبر اسم **النبى**!



البيثيون Boethusians

أتباع **بيثوس** Boethus أو **بويثوس**، كان **وصادوق** تلميذين **لأنطيجونس** القائل «**لا** تكونوا كالعبيد يخدمون بأجر»، ففهما أنه **لا** أجر على الخير من الأعمال، ومن ثم ذهبا يبشران أنه **لا** بعث ولا حساب.



بولس Paul

المؤسس الحقيقى للمسيحية، اسمه العبرى **شاول**، وتسمّى باسم **بولس** فى سفر أعمال الرُسُل، وكان يلقب نفسه **ببولس الرسول**، وبهذا الاسم عرف عند الأمم. وهو **فريسى** من سبط بنيامين، ولد بطرسوس، وكانت مركزاً من مراكز الثقافة الكبرى، وتربّى فى أورشليم، وكان أستاذه فيها غمالائيل عضو السنهدريم. وقد عارض بولس المسيحية رغم أن تعاليم أستاذه كانت تطالب برفع القيود عن رسل المسيح والكفّ عن اضطهادهم، وحضر استشهاد **استفانس** ووافق على قتله (أعمال الرسل، الفصل السابع)، وكان شديد الإتلاف للكنيسة والإيذاء لمعتنقيها، حتى طلب من رئيس الكهنة أن يرسله إلى مجمع دمشق ليكشف أتباع هذه الطريقة ويسوقهم موثقين إلى أورشليم، ولكنه فى الطريق أصيب فى عينيه، ورأى رؤية أن المسيح يلومه على اضطهاده، فلما التقى فى دمشق **بحننيا** طبّبه باسم يسوع، وظل معه والتلاميذ الذين فى دمشق حتى امتلأ بتعاليم المسيح، وخرج يكرّز فى المجامع بيسوع أنه هو **ابن الله**، وحاول فى أورشليم أن يتصل بالرسل، ولكنهم أوجسوا منه خيفة، ولم يصدقوا إيمانه، وشهد له برنابا، وحدّثهم كيف أبصر الرب وكلّمه، وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع، ومن ذلك الوقت ظهرت رياسة بولس. وكانت له اجتهادات انشق بها عن الرسُل، ووصفهم بأنهم ناموسيون، وأطلق على تعاليمه اسم **إنجيل الأمم**، ونسب إلى المسيح إنجيلاً

قلبوه (**الرسالة إلى أهل غلاطية، الفصل الأول العبارة ٦**)، وقال عن الرسُل أنهم رسُل كذبة، وعَمَلَة خدّاعون، يغيرون هيئتهم إلى هيئة رسل المسيح (**الرسالة إلى أهل كورنثوس، الفصل الحادى عشر العبارة ١٣**)، وهو ما اعتبره كثير من المفسرين اعترافاً بوجود **تزييف** للأناجيل، ووجود دعاة صناعتهم **التحريف**. وطالب بولس المؤمنين بالتمثل بالمسيح، فلا يتزوجون إن أحبوا، واعتبر كل الأطعمة طاهرة، وكل خليقة الله جيدة، فألغى النجس والمحرم، وأباح شرب الخمر وأمر بها، وأفتى **بأنه لا لزوم** للختان، وأخذ فى التطواف فى آسيا وأوروبا، ينشىء الكنائس ويخط الرسائل، فكانت **رسائله الأربع عشرة** هى الرسائل التعليمية، بما اشتملت عليه من مبادىء فى الاعتقاد والشرائع العملية، وصار هو نفسه كل شىء فى المسيحية، بحيث صارت مطبوعة بطابعه ومنسوبة إليه. وكان متى علم أنه يكلم فريسيين يقول إنه فريسى، كما ورد قوله فصرت لليهود كيهودى لأربح اليهود، وللذين تحت الناموس كأنى بلا ناموس، مع أنى لست بلا ناموس (**الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، الفصل التاسع**)، ووصف البعض طريقته بأنها **نفاق**.

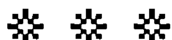
ويعجب الذين درسوا الديانات، وعرفوا أحوال رجالها وأدوارهم، من كيفية انتقال رجل من الكُفر بديانة إلى الاعتقاد الشديد بها طفرة من غير سابق تمهيد. وقد كان من الممكن أن يزول العجب لو كان الانتقال مقصوراً على مجرد الانتقال من الكفر إلى الإيمان، فإن لذلك أشباهاً ونظائر، ولكن العجب أن ينتقل شخص من مطلق الكفر إلى الرسالة فى الدين الذى كفر به وناوأه وعاداه، فإن ذلك ليس له نظير ولا مشابه، ولم يُعهَد ذلك فى الأنبياء والرسل، ولم يُعرَف فى التوراة رسول بُعِث من غير أن يكون فى حياته الأولى استعداد لتلقى الوحى، وصفاء نفس يجعله أهلاً للإلهام، ولا يجعل الاتهام والتكذيب يغلبان على رسالته. فإذا لم يكن للرسالة إرهاصات قبل تلقيها فلا أقل من أن لايكون قبلها ما ينافيها ويناقضها، ولذا وجد فى العصور المسيحية من

كانوا يثيرون مناقشات قوية حول أقوال بولس، منكرين لها أو مبطلين، فوصفته الفرقة الإبيونية بأنه مرتدّ، والفرقة المارسيونية لم تكن تعترف له إلا بعشر رسائل فقط من رسائله الأربع عشرة، وظلت رسالته إلى العبرانيين مشكوكاً فيها حتى سنة ٣٦٣، ففى الباب التاسع العبارة ١٩ ورد «لأن موسى لمّا تلا على مسامع الشعب جميع وصايا التوراة أخذ دم العجول والتيوس مع دماء وصوف قرمزى وزوفى ورشّ على السِفر عينه وعلى جميع الشعب، قائلاً هو ذا دم الوصية التى وصّاكم الله بها، وكذلك رشّ الدم على المسكن، وعلى جميع أدوات الخدمة»، وهو غلط من أوجه: الأول أنه ما كان دم العجول والتيوس بل كان دم **عجول** فقط، والثانى ما كان الدم فى هذه المرة مع ماء وصوف قرمزى وزوفى بل كان دما فقط، والثالث ما رشّ على الكتاب نفسه ولا على جميع آنية الخدمة، بل رش نصف الدم على **المذبح** ونصفه على **الشعب** كما هو مصرّح فى الباب الرابع والعشرين من سفر الخروج العبارة ٥-: وبعث فتيان بنى إسرائيل، فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح بسلامة من العجول للرب، فأخذ موسى نصف الدم وجعله فى طسوت، ورش النصف الآخر على المذبح، وأخذ كتاب الله فتلا على مسامع الشعب، فقالوا كل ما تكلّم الرب به نفعله ونأتمر به، فأخذ موسى الدم، ورشّه على الشعب، وقال هو ذا دم العهد الذى عاهدكم الرب به على جميع هذه الأقوال». وفى الرسالة الأولى إلى أهل كورنثس نقل بولس **الآية الرابعة** من الفصل الرابع والستين من نبوءة أشعيا «إنه منذ الدهر لم يسمعوا ولم يبلّغوا، ولم تر عين ما خلاك يا ألله ما تصنع للذين ينتظرونك» هكذا «ولكن كما كُتِب ما لم تره عين ولا سمعت به أذن ولا خطر على قلب بشر ما أعدّه الله للذين يحبونه»(٩/٢)، فإما أن اليهود قد حرّفوا نبوءة أشعيا عند هذا الموضع وأوردها بولس سليمة، وإما أن بولس قد انحرف بها عن المتن.

وقد قيل كذلك إن أقوال بولس قد شابتها تأثيرات من **الفلسفة اليونانية** وخاصة **الرواقية** التى عرفها فى باكورة حياته فى مسقط رأسه **طرسوس** وكانت مركزاً من

مراكزها، وأصبحت هذه التأثيرات فى كثير من تعبيراته التى أصبحت مبادىء مسيحية. وأهّلته معرفته وعارضته القوية أن يكون أكثر من سائر الرسل للمداخلة والتبشير. وقام مذهبه على فكرة **الخطيئة**: بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة دخل الموت، وبواحد سيكون الخلاص هو يسوع، وإذا كان بزلّة واحدة كان على جميع الناس القضاء، كذلك ببرّ واحد يكون لجميع الناس تبرير الحياة (**الرسالة إلى أهل رومية، الفصل الخامس**)، فالمسيح بذل نفسه لأجل خطايانا، ومات عنا (**الرسالة إلى أهل غلاطية، الفصل الأول**)، وإذا كان اليهود يتفاخرون بالشريعة التى هى الناموس، ويزعمون أن اللّه قد فضّلهم بها على العالمين، وميّزهم بعلامة الختان، فالناموس إنما أضيف بسبب المعاصى، والختان ينفع إذا عملوا بالناموس، لأنه ليس اليهودى هو من كان فى الظاهر، ولا الختان ما كان ظاهراً فى اللحم، بل اليهودى هو من كان فى الباطن، والختان هو ختان القلب بالروح لا بالحرف (**الرسالة إلى أهل رومية، الفصل الثانى**)، لأنّا نحسب أن الإنسان إنما يتبرر بالإيمان بدون إعمال الناموس، واللّه ليس إله اليهود فقط، بل هو إله الأمم أيضا، لأن اللّه واحد، ويبرّر الختان بالإيمان، والقلَف أيضا بالإيمان (**الفصل الرابع**). وإذن فناموس بولس ليس الشريعة المكتوبة ولكنه **ناموس البرّ**، أى المحبة، لأنه بالقلب يؤمن الإنسان بالبرّ، وبالفم يعترف للخلاص، والكل فى واحد، فإذا كان المسيح قد مات عن الجميع، فإنما كان ذلك لكى لا يحيا الأحياء لأنفسهم فيما بعد، بل للذى مات وقام لأجلهم (**الرسالة الأولى إلى أهل كورنثس، الفصل الخامس عشر**)، وهو المسيح الذى لنا فيه الفداء، بدمه مغفرة الخطايا، الذى هو صورة اللّه غير المنظور وبِكْر كل خلق، لأنه به خُلِق ما فى السموات وعلى الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، به وإليه خلق الجميع، وهو قبل الجميع، وبه يَثْبُت الجميع، لأنه فيه رَضِى الآب، ويصالح به الجميع لنفسه (**الرسالة إلى أهل كولسى، الفصل الأول**).

ومن رأى **سيجموند فرويد** عالم النفس اليهودى، أن شاول قد التمس **الإحساس بالذنب** المتأصل فى الشعب اليهودى، وبنى عليه مذهباً انفصل به عن **الديانة اليهودية**. وقد استطاع شاول أن يتتبع هذا الإحساس بالذنب إلى أصوله الأولى، وأطلق عليه اسم **الخطيئة الأصلية**، وكانت هذه الخطيئة هى جريمة التجديف والعصيان من قبل الشعب المختار، أى الأبناء فى حق الإله الأب، وما كان فى وسع الأبناء أن يكفّروا عن جريمتهم إلا بالموت، فالموت قد نَفَذَ إلى العالم من خلال هذه الخطيئة الأولى. وتناسى الأبناء الجُرم الذى أتوه فى حق الله الأب، ولم يبق لديهم منه إلا رغبتهم فى التكفير عنه، وظلت الرغبة تلاحقهم، فلما جاءتهم بشارة خلاصهم بفداء المسيح الإبن، رحبوا بها لأنها سبيلهم إلى التكفير، وكان لابد أن يكون المضحّى بنفسه الذى تحمّل ذنب العالم إبناً، لأن الخطيئة كانت فى حق الأب. وربما كان للتراث الشرقى والإغريقى أثره على تشكيل فكرة **الخلاص** هذه. ويبدو أن جوهر **الخلاص** هو ما أضافه بولس إلى مذهب المسيحية، فقد كان بولس إنساناً له موهبة الدين بأصدق ما فى هذه العبارة من معنى، وكانت آثار الماضى عالقة بأعماق نفسه، مستعدة للنفاذ عنوة إلى شعوره، فصار بولس محطِّم الديانة اليهودية بتطويره لها، ويرجع نجاحه من أساسه إلى أنه من خلال فكرة **الخلاص** استطاع أن يتجاوز الشعور بالذنب. ويرجع هذا النجاح كذلك إلى تخلّيه عن فكرة الشعب المختار، وعن الختان علامة أنه مختار،وبهذه الطريقة استطاع أن يجعل الديانة الجديدة مقبولة عالمياً، وربما كان دافعه إلى اتخاذ هذه الخطوة انصراف اليهود عن دعوته، ورغبته فى الانتقام من معتقداتهم بسبب المعارضة التى واجهوا بها ابتكاره **(موسى والتوحيد، الفصل الثانى ترجمة الدكتور عبد المنعم الحفنى)**.



بومجارت Baumgardt

(١٨٩٠-١٩٦٣) **داود بومجارت**، ألمانى كان صهيونياً من شبابه الباكر، وفى

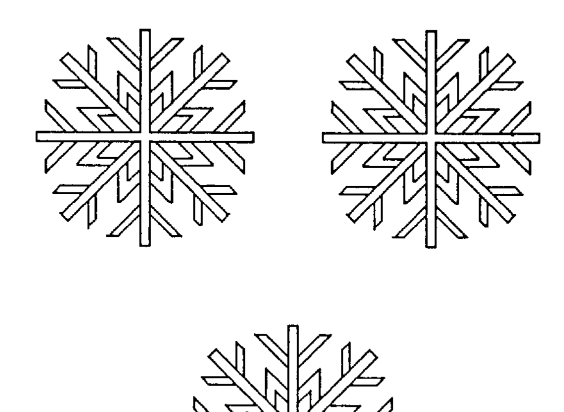
محاضراته فى جامعات ألمانيا وأسبانيا وانجلترا وأمريكا كان ينبه إلى أهمية الفلسفة اليهودية، وتأثير **ابن ميمون فى** الفلسفة الغربية، وعنده أن الفلسفة **أخلاقية** الطابع، وأن الفلسفة الغربية تفقد روحها بالخروج على الأخلاق، وانتقد **أخلاق كنط لأن** أساسها **الفطرة**، بينما هى عند بومجارت أساسها التنزيل، **والتنزيل اليهودى بالذات**، ومن ثم فقد أثنى على **هيردر** لأنه ردّ الأخلاق إلى وصايا موسى، وأرجع هذا الاتجاه عند هيردر إلى تأثير **سبينوزا**.



البيرير La Peyrere

(١٥٩٤-١٦٧٦) إسحق **بيريرا** أو **البيرير**، عُرف بكتابه «**ما قبل آدم**» (١٦٥٥)، نشره باللاتينية فى أمستردام على طريقة مفكرى اليهود فى ذلك العصر، ينقد فيه التوارة، مبيناً أوجه التضارب بين ما جاء بها من تواريخ، وما كشفت عنه الشواهد التاريخية والأنثروبولچية من وجود شعوب تسكن الأرض قبل التاريخ الذى ورد بها أن آدم كان أول إنسان عليها، ولكن التوراة أغفلت ذكرهم لأنها كانت تؤرخ لليهود وحدهم وتتوجه بالحديث إليهم، ومن ثم لا يجوز الاستناد إليها فى التاريخ للعالم، وكانت أقواله مثار جدل عنيف، وكانت إرهاصاً للكتابات النقدية اللاحقة للتوارة، والتى اشتهرت منها مباحث سبينوزا «**فى اللاهوت والسياسة**»، الأمر الذى دفع السلطات إلى اعتقاله فى بلچيكا، وإيداعه السجن لمدة ستة شهور، وحرق كتبه فى باريس، ولم يطلق سراحه إلا بعد إعلانه سحب أقواله وتوبته وقبوله دخول الدير مدى الحياة. وبيريرا رغم أنه فرنسى، ومن مواليد بوردو، إلا أنه من أصل برتغالى، وقد اعتنق أبوه المسيحية بتأثير اضطهاد السلطات، فلما استطاعا الهرب إلى فرنسا عادا إلى دينهما، وعالج بيريرا هذه الناحية فى كتابه الأول «**عودة اليهود**»(١٦٤٣)، طرح فيه مسألة اضطهادهم، وطالب بإعادتهم إلى وطنهم الأصلى فلسطين، ومن ثم تصح النبوءة التى تقرن عودة إسرائيل

برفع النقمة عن العالم وقيام العدل بين الناس.





التلمودية Talmudism

مذهب غالية الربّانية، يضفون القداسة على **التلمود**، وينزلونه من أنفسهم منزلةً أعلى من منزلة التوراة عند جمهور اليهود، وعندهم أنه **روح الشعب** التى أهّلته لتلقى الألواح فى سيناء، وهو جهد اليهود فى إقامة الدين المقابل للجهد الإلهى المتمثل فى تنزيل التوراة. والتلموديون هم شرّاح التلمود ومفسروه، وهم الفقهاء والعلماء الراسخون، وتفسيرهم وتأويلهم لمعانيه هو كشف للمراد بحسب المعنى الباطن، والتلمودية لذلك هم **باطنية اليهود** أو القباليون، وتأويلاتهم نبوة مفتوحة. ومنهم **نسيم بن يعقوب القيروانى** صاحب كتاب «**مفتاح مغاليق التلمود**» بالعربية، **وسليمان بن أدرت الأسبانى** (١٢٣٥ - ١٣١٠ م) الذى انبرى للردّ على دعاوى **ابن حزم** الأندلسى فى كتابه «**الفصل فى الملل والأهواء والنحل**» بأن التوراة قد أصابها التحريف.



التوراة Torah

بمعنى **التعليم** أو **الشريعة**، وأصلها فى العربية بمعنى **دلّ وهدى**. والمقصود بكلمة **توروت** فى سفر الخروج فرائض الله وشريعته، وتشتمل على الأحكام الموروثة والمعمول بها عرفا وعادةً من غير أن يكون لها أُصل مكتوب، وهى عندهم التوراة المُوصَى بها من غير تدوين، والأحكام المدوّنة المنزّلة وهى المسماة عندهم **أسفار موسى الخمسة**، واتخذت باليونانية اسم **بانتاتيوكس**، أى الكتاب ذو الأسفار الخمسة، لأنها تشتمل على خمسة كتب منسوبة إلى النبى موسى. وجرت العادة منذ الترجمة اليونانية المعروفة بالسبعينية أن يسمى كل سفر حسب محتواه، فسمّى الأول **سفر التكوين** لأنه يصف بدء العالم

والإنسانية ونشأة أمة إبراهيم، ودعى الثانى **سفر الخروج** لأنه يتحدث عن خروج إسرائيل من مصر، والثالث **سفر الأخبار** أو **اللاويين** لأنه يحتوى على طقوس الكهنة أبناء لاوى، وأطلق على الرابع اسم **سفر العدد** بسبب إحصاءات أولاد إسرائيل، وتنتهى المجموعة **بسفر تثنية الاشتراع** الذى يبدو كتكرار وتتمة لشريعة موسى. وهذه الأسفار الخمسة هى الأسفار المنزّلة المكتوبة التى نزلت على موسى فى رأى قدماء العبرانيين، ثم توسعوا فى مدلول اللفظة فيما بعد فأطلقوها على الأسفار التى يقال لها **العهد القديم**، وهى تسعة وثلاثون سفراً: التكوين، والخروج، واللاويون، والعدد، والتثنية، ويشوع، والقضاة، وراعوث، وصموئيل الأول، وصموئيل الثانى، والملوك الثانى، وأخبار الأيام الثانى، وعزرا، ونحميا، وأستير، وأيوب، والمزامير، والأمثال، والجامعة، ونشيد الأناشيد، وأشعيا، وإرميا، ومراثى إرميا، وحزقيال، ودانيال، وهوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوبديا، ويونان، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجى، وزكريا، وملاخى، واختصر العدد إلى ٢٢ سفراً فقط بعدد حروف الأبجدية العبرية.

ويسود الاعتقاد أن موسى عليه السلام لم يكتب كل التوارة، وأنه كان هناك ازدياد تدريجى فى الشرائع الموسوية سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية، ويظهر ذلك فى التضارب الواضح فى الروايات التاريخية، ويقولون إن أفضل تفسير للازدواج المتواتر والمراجعات والاختلافات بين نصوص التوارة هو القول بتمازج عدة تقاليد، فللأسفار الأربعة الأولى ثلاثة مصادر رئيسية هى: التقليد **اليهوى** ومصدره كما يسود الاعتقاد أسباط الجنوب، وقد سمى كذلك لأن الله يحمل فيه اسم يهوه، ثم التقليد **الألهيمى** الذى يظن أن مصدره أسباط الشمال ويحمل فيه اسم الله ألهيم، وأخيراً التقليد **الكهنوتى** الذى يتناول التاريخ المقدس والنصوص التشريعية من ناحية العبادة والكهنوت، بينما يشكل السفر الأخير تقليداً رابعاً هو التقليد **الاشتراعى**، وهو الذى

يوجز ويربط بموسى تعديلات الشريعة التى حصلت فى أرض كنعان منذ عهد يشوع بن نون حتى أيام ملوك إسرائيل الأخيرين.

وقيل إنه لابد لكون الكتاب سماوياً واجب التسليم أن يثبت أولا بالدليل التام أن هذا الكتاب كتب بواسطة نبى، ووصل إلينا بعد ذلك بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل، وأن الاستناد إلى شخص ذى إلهام بمجرد الظن والوهم لا يكفى فى إثبات أن الكتاب من تصنيف ذلك الشخص، وكذلك مجرد ادعاء فرقة أو فرق لا يكفى فيه. ولا سند لكون هذه التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام من تصنيفاته، وتواترها منقطع قبل زمان يوشع. والنسخة التى وجدت بعد ثمانى عشرة سنة من تولّيه لا اعتماد عليها، ومع كونها غير معتمدة فقد ضاعت أيضاً، غالباً قبل حادثة **بختنصر**، وفيها انعدمت التوارة وسائر كتب العهد القديم من الوجود كلية. ولما كتب عزرا هذه الكتب على زعمهم ضاعت نسخها وأكثر نقولها فى حادثة **أنتيوخس**. ثم يقولون إن السفر الأول والثانى من أخبار الأيام صنّفهما **عزرا** بإعانة **حجى وزكريا** الرسولين، ومع ذلك فقد تناقض كلام هؤلاء الأنبياء الثلاثة فى الباب السابع والثامن من السفر الأول فى بيان أولاد بنيامين، وكذا خالفوا فى هذا البيان هذه التوراة المشهورة، الأول فى الأسماء، والثانى فى العدد، حيث يفهم من الباب السابع أن أبناء بنيامين **ثلاثة**، ومن الباب الثامن أنهم **خمسة**، ومن التوراة أنهم **عشرة**. واتفق علماء أهل الكتاب أن ما وقع فى السفر الأول غلط، وبينوا سبب وقوع الغلط أن **عزرا** ما حصل له التمييز بين الأبناء وأبناء الأبناء، وأن أوراق النسب التى نقل عنها كانت ناقصة، وظاهر أن هؤلاء الأنبياء الثلاثة كانوا متبعين للتوراة، فلو كانت توراة موسى هى هذه التوارة التى بين أيدينا، لما خالفوها، ولما وقعوا فى الغلط، ولما أمكن لعزرا أن يترك التوارة ويعتمد على الأوراق الناقصة.وكذا لو كانت نسخة التوراة التى فى زمانه يعتقد بصحتها لما خالفها، فعلم أن هذه التوراة التى بأيدينا ليست هى التوراة التى صنّفها **موسى**، بل وليست التوراة التى كتبها **عزرا**

وحجى وزكريا، **لأنه لا** يعقل أن يكون الثلاثة من الأنبياء ويتردّوا **فى** هذه **الأخطاء**، **ولا** يكونون بمعصومين عن الخطأ فى التحرير والتبليغ، **فعُلِم** أن هذه التوراة المشهورة ليست هى التوراة الحقيقية.

وثمة مسألة أخرى، فالمقابلة بين البابين الخامس والأربعين والسادس والأربعين من كتاب **حزقيال**، والبابين الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من **سفر العدد** تُظهر التخالف الصريح **فى** الأحكام، ومن الطبيعى أن يوافق حزقيال التوراة، فلو كانت التوراة فى زمانه مثل هذه التوراة المشهورة لما خالفها **فى** الأحكام، **فعلم** يقينا أن تواترها قد انقطع، إذ لا يعقل أن يخالف الكتاب السماوى الذى يعتقد به.

وكذلك وقع فى التوراة فى مواضع عديدة أن الأبناء تؤخذ بذنوب الآباء إلى ثلاثة أجيال، ووقع فى **الآية العشرين** من الباب **الثامن عشر** من كتاب **حزقيال** أن النفس التى تخطىء فهى تموت، والابن لا يحمل إثم أبيه، والأب لا يحمل إثم الإبن، وعدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه، فعلم من هذه الآية مخالفتها الصريحة للتوراة، مما يدل على أن التحريف وقع إما فى كتاب حزقيال، أو فى التوراة، وأنه لا سند لصحة أيهما، فالمتمسك بصحة هذا ينقض ذلك، والعكس صحيح.

غير أن الشواهد تترى على أن التحريف قد وقع لهذه التوراة، بصرف النظر عن أنه قد وقع كذلك لكتاب حزقيال، والمعروف أن كاتب التوراة قد نسب الأقوال المنسوبة إلى الله تعالى بأن ذكر أن اللهّ تعالى قال، ونسب الأقوال المنسوبة إلى موسى بأن قال إن موسى عليه السلام قال، وعبّر عن موسى عليه السلام بصيغة المتكلم، **فعُلِم** أن كاتب التوراة غير موسى عليه السلام، وتشهد بذلك بعض الفقرات، كالآيات **الحادية والثلاثين** من الباب **السادس والثلاثين** من **سفر التكوين** حيث ورد فيها أن «هؤلاء الملوك الذين ملكوا أرض أدوم قبل أن يملك لبنى إسرائيل»، فهى تدل على أن المتكلم بها بعد زمان قامت فيه سلطة بنى إسرائيل، ولا يمكن لذلك أن يكون موسى عليه السلام. والآية

الرابعة عشرة من الباب الثالث من **سفر تثنية الاشتراع** التى تقول «فياثير بن منسا ورث كل أرض أرجوب إلى تخوم جشور».. تدل على أن كاتبها بعد زمن إقامة اليهود فى فلسطين. والآية **الرابعة عشرة** من الباب الثانى والعشرين من **سفر التكوين** «كما يقال فى هذا اليوم فى جبل الله يجب أن يتراءى الناس»، إذ لم يطلق على هذا الجبل أنه جبل **الله إلا** بعد بناء الهيكل الذى بناه سليمان فوقه، بعد أربعمائة سنة وخمسين من موت موسى عليه السلام، فعلم يقيناً من أمثال هذه الآيات أن موسى عليه السلام لم يكن كاتبها. ويقول علماؤهم رجماً بالغيب أنها من ملحقات نبى من الأنبياء، وهو قال مردود، لأنه ادعاء بلا برهان، لأنه ما كتب نبى من الأنبياء فى كتابه أنى ألحقت هذه الفقرة أو تلك فى هذا الباب أو ذلك من التوراة، ولا كتب أنه سمع أن غيره من الأنبياء قد ألحقها، ولم يثبت هذا الأمر بالدليل، ومجرد الظن لا يغنى، فما لم يقم الدليل على الإلحاق تكون هذه الفقرات والأبواب أدلة كاملة على أن هذا الكتاب ليس من تصنيف موسى، وأن مصنفات موسى عليه السلام قد انقطع تواترها وعدمت، وما دام لم يثبت السند من جانب اليهود، فليس علينا التسليم بالموجود منها بل يجوز لنا الرد والإنكار.

على أن **التحريف** يتناول كتب التوراة والعهد القديم كله من ناحيتى الشكل والموضوع، فمن ناحية الشكل لم يعثر من نسخ هذه الكتب إلا على ثلاث،**الأولى** عبرانية وهى المعتبرة عند اليهود وجمهور البروتسنت من المسيحيين، **والثانية** يونانية وهى التى كانت معتبرة عند المسيحيين حتى القرن الخامس عشر، وكانوا إلى هذه المدة يعتقدون تحريف النسخة العبرانية، **والثالثة** النسخة السامرية، وهى المعتبرة عند السامريين، وهى عبرانية أيضاً ولكنها تشمل على سبعة كتب فقط من العهد القديم، وهى كتب موسى الخمسة وكتاب يوشع وكتاب القضاة، لأن السامريين لا يسلمون ببقية الكتب من العهد القديم، ونسختهم تزيد على النسخة العبرانية فى بعض الفقرات والألفاظ، ويعتبرها كثير من المحققين أفضل من العبرانية، ويعتقدون أن اليهود حرّفوا العبرانية نكايةً

بالسامريين. وتتناقض النسخ الثلاث، الأمر الذى يجعل الآخذين بأى منها يقضى بتحريف الأخريين ومن ذلك أن الزمان من خلْق آدم إلى طوفان نوح وفق العبرانية ١٦٥٦ سنة، ووفق اليونانية ٢٢٦٢ سنة، ووفق السامرية ١٣٠٧ سنة، ومن أجل ذلك لم يعتمد **يوسيفوس** على أى من النسخ الثلاث. وكذلك فإن الزمان من الطوفان إلى ولادة إبراهيم عليه السلام وفق العبرانية ٢٩٢ سنة، ووفق اليونانية ١٠٧٢ سنة، ووفق السامرية ٩٤٢ سنة. ويميل المؤرخون إلى الأخذ بالنسخة السامرية، ويقولون إن اليهود قد حرّفوا النسخة العبرانية فى بيان زمن الآباء الذين قبل زمان الطوفان وبعده إلى زمن موسى، وفعلوا هذا لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة، ولعناد الدين المسيحى، وقضى علماء المسيحية بأن تحريف اليهود للتوارة كان فى سنة ١٣٠ ميلادية، ويميلون إلى النسخة السامرية، فمثلاً فى **الباب السابع والعشرين** من كتاب **تثنية الاشتراع**، تقول الآية **الرابعة من النسخة العبرانية** «فإذا عبرتم الأردن فانصبوا الحجارة التى أنا اليوم أوصيكم فى جبل عيبال»، وهى فى **النسخة السامرية** «فانصبوا الحجارة التى أنا أوصيكم فى جبل جرزيم». ويفهم من النسخة العبرانية أن موسى أمر ببناء الهيكل على جبل عيبال، ومن النسخة السامرية أنه أمر ببنائه على جبل جرزيم. ويحتدم الخلاف بين اليهود السامريين وبقية اليهود فى هذا الشأن وغيره، ويتهم كل منهما الآخر بتحريف التوراة فى هذا المقام. ويجزم علماء المسيحية بأن اليهود حرفوا لأجل عداوة السامريين، فجبل جرزيم له عيون وحدائق ونباتات كثيرة، بينما عيبال جبل يابس، لا شىء عليه من هذه الأشياء، ومن ثم يكون جرزيم أنسب لإسماع البركة، والثانى للعن كما يقولون.

وكذلك وقع التناقض بين النسختين **اليونانية والسامرية** والنسخة **العبرانية** حيث ورد فى **الباب التاسع والعشرين** من سفر التكوين،الآية **الثالثة**، لفظ قطعان غنم وماشية، والأنسب أن يقال رعاة وليس قطعاناً. وفى **الآية الثالثة** عشرة من **الباب الرابع والعشرين**

من **سفر صموئيل الثاني** لفظ سبع سنين، ووقع في الآية **الثانية عشرة** من الباب **الحادي والعشرين** من الكتاب الأول من **أخبار الأيام** لفظ ثلاث سنين، وأحدهما غلط يقينا.

وفي الآية **الخامسة والثلاثين** من الباب **التاسع** من الكتاب الأول من **أخبار الأيام في** النسخة **العبرانية** «وكان اسم أخته معكة»، وفي النسخة **اليونانية** وقع لفظ **الزوجة** بدلا من **الأخت**. وأخذ جمهور البروتستنت بالنسخة اليونانية وتركوا العبرانية، فالتحريف في العبرانية عندهم.

وفي الآية **الثانية** من الباب **الثاني والعشرين** من الكتاب الثاني من **أخبار الأيام** من النسخة **العبرانية** «وكان أحزيا ابن اثنتين وأربعين سنة»، ولا شك أنه غلط لأن أباه يهورام حين موته كان ابن أربعين، وتولى هو الملك بعد موت أبيه متصلا، فلو صحّ هذا يلزم أن يكون أكبر من أبيه بسنتين.

وفي الآية **السادسة والعشرين** من الباب **الثامن** من **سفر الملوك الثاني** «أنه كان في ذلك الوقت ابن اثنتين وعشرين سنة». ولا يمكن أن تتطابق العبارتان، ولا تصح عبارة النسخة **العبرانية** التي يظهر منها كون الابن أكبر من أبيه بسنتين. وتحاشت الترجمة **العربية** هذا الخطأ فجاء بها **اثنان وعشرون**.

وفي الآية **التاسعة عشرة** من الباب **الثامن والعشرين** من السفر **الثاني** من **أخبار الأيام** في النسخة **العبرانية** «الرب قد أذل يهودا بسبب أحاز ملك إسرائيل». ولفظ إسرائيل غلط يقينا، لأنه كان ملك يهودا وليس ملك إسرائيل، ووقع في **اليونانية** لفظ يهودا، فالتحريف في العبرانية.

وفي الآية **السادسة** من **الزبور الأربعين** «فتحت أذني»، ونقل **بولس** هذه الجملة في **كتابه إلى العبرانيين** في الآية **الخامسة** من الباب **العاشر** «قد هيأت لي جسدا» فإحدى العبارتين غلط ومحرّفة يقينا.

وفي الآية **الثامنة والعشرين** من **الزبور المائة والخامس** في **العبرانية** «هم ما عصوا

قوله»، وفى **اليونانية** «هم عصوا قوله»، ففى الأولى نفى، والثانية إثبات، فأحدهما غلط يقيناً.

وفى الآية **التاسعة** من الباب **الرابع والعشرين** من **سفر صموئيل الثانى** «بنو إسرائيل كانوا ثمانمائة ألف رجل شجاع، وبنو يهودا خمسمائة ألف رجل شجاع»، وفى الآية **الخامسة** من الباب **الحادى والعشرين** من **سفر الملوك الأول** «فبنو إسرائيل كانوا ألف ألف رجل شجاع، ويهودا كانوا أربعمائة ألف وسبعين ألف رجل شجاع». فإحدى العبارتين هنا محرفّة.

وورد فى الآية **الثامنة** من الباب **الخامس عشر** من سفر صموئيل الثانى لفظ **أرم**، والصحيح أنه **أدوم**. وفى الآية **السابعة** من الباب المذكور أن أبا سالوم قال للملك بعد أربعين سنة، ولفظ الأربعين غلط يقيناً، والصحيح لفظ الأربع.

وفى الآية **السادسة** من الباب **السابع** من **السفر الأول من أخبار الأيام** «بنو بنامين.. ثلاثة أشخاص»، وفى الباب **الثامن** من **السفر المذكور** ولد بنيامين خمسة، وفى الآية الحادى والعشرين من الباب **السادس والأربعين** من **سفر التكوين** بنو بنيامين عشرة، وفى الآيات الثلاث اختلاف فى الأسماء وفى العدد، ولا شك أن إحداها صادقة وتكذب الباقيتان.

وتتناقض الآية **التاسعة** من الباب **السادس والثلاثين** من **السفر الثانى من أخبار الأيام** حيث تقول «وكان يوياكين ابن ثمانى سنين حين ملك» والآية **الثامنة** من الباب **الرابع والعشرين** من سفر **الملوك الثانى** «وكان يوياكين ابن ثمانى عشرة سنة حين جلس على سرير الملك». وقد سارعت الترجمة العربية لتصحيح الخطأ.

وفى الآية **السابعة** عشرة من الزبور **الحادى والعشرين** على ما فى بعض النسخ، أو فى الآية **السادسة عشرة** من الزبور **الثانى والعشرين**، وقعت هذه العبارة فى النسخة العبرانية «وكلتا يدى مثل الأسد»، والكاثوليك والبروتستانت يتفقون على تحريفها

وينقلونها «وهم طعنوا يدىّ ورجلىّ».

ويورد **بولس** الآية **الرابعة** من الباب **الرابع والستين** من **كتاب أشعيا** «بل كما كتب أن الأشياء التى هيأها الله للذين يحبونه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولم يخطر بخاطر إنسان». وهى فى الأصل **العبرانى** «لأن الإنسان من القديم ما سمع وما وصل إلى أذن أحد، وما رأت عينا أحد، إلهاً غيرك يفعل لمنتظريه مثل هذا». وشتّان بين النصين. ويقول **هنرى واسكات** فى تفسيره للعهد القديم «الرأى الحسن أن المتن العبرى محرّف».... وهذه كلها بعض من التحريفات التى شملت ألفاظ التوراة، والخلافات فى إيرادها بين النسخ الثلاث المعتبرة عند أهل الكتاب.

أما **التحريف بالزيادة**، فقد علم أن ثمانية كتب من العهد القديم كانت مشكوكاً فى أمرها، غير مقبولة عند المسيحيين إلى ثلاثمئة وأربع وعشرين سنة، هى كتب أستير، وباروخ، وطوبيا، ويهوديت، والحكمة، والجامعة، والمقابيين (الأول والثانى). وعدّوها محرفة، وغير إلهامية، ثم استقر الرأى فى المجالس التى عقدت بعد ذلك إلى اعتبارها إلهاميةوواجبة التسليم، فظهر من هذا أنه لا اعتبار لإجماع أسلافهم، ومن ثم يجوز أن يكون إجماعهم كذلك خطأ طالما أن الإجماع الأول كان خطأ، فضلاً عن وجود زيادات ألحقت بالآيات، كالآية **الحادية والثلاثين** من الباب **السادس والثلاثين** من **سفر التكوين** «وهؤلاء الملوك الذين ملكوا فى الأرض أدوم قبل أن يملك لبنى إسرائيل». ويقول **آدم كلارك** فى تفسيره للعهد القديم إن هذه الآية لا يمكن أن تصدر عن موسى عليه السلام، لأنها تدل على أن المتكلم بها بعد زمانٍ قامت فيه سلطة بنى إسرائيل، أى فى عهد لاحق لزمان موسى، وكذلك الآيات التى بعدها إلى الآية **التاسعة والثلاثين**، والآية **الرابعة عشرة** من الباب **الثانى والعشرين**، والآية **السابعة** من الباب **الثالث عشر**، **والسادسة** من الباب **الثانى**، والآية **الرابعة عشرة** من الباب **الثالث** من **سفر الاشتراع**، **والثانية عشرة** من الباب **الثانى** من نفس السفر، وكذلك **الحادية عشرة** من الباب **الثالث والثانية** من

الباب **الثالث والعشرين**، والباب الرابع **والثلاثون** جميعه. ومن **سفر العدد**: الآية **الأربعون** من الباب **الثاني والثلاثين**، والآية **الثالثة والرابعة** عشرة من الباب الحادى **والعشرين**. ومن **سفر الخروج**: الآيات الخامسة **والثلاثون** من الباب **السادس عشر**، والثامنة **عشرة** من الباب **الثالث عشر**، **والسابعة والعشرون** من الباب **الخامس والثلاثين**، **والرابعة عشرة** من الباب **السابع والثلاثين**.. ومن **سفر يوشع**: ذيل الآية **التاسعة** من الباب **الرابع**، والآيات من **العاشرة** إلى **الخامسة عشرة** من الباب **الأول**، **والثالثة عشرة** من الباب **العاشر**، **والخامسة والعشرون** من الباب **الثالث عشر**. ومن **سفر القضاة**: الآيات من **العاشرة** إلى **الخامسة عشرة** من الباب **الأول**. ومن **سفر صموئيل الأول**: الآيات من **الثامنة** إلى **الواحدة والثلاثين**، والآية **الواحدة والأربعون**، ومن الآية **الرابعة والخمسين** إلى آخر الباب **السابع عشر**، والآيات **التاسعة والعاشرة والحادية عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة** حيث لا توجد فى اليونانية.

أما **التحريف بالنقصان** فيذكر مؤرخوهم أن الآية **الثانية عشرة** من الباب **الخامس عشر** من **سفر التكوين** «..أن نسلك سيكون ساكناً فى غير أرضهم، ويستعبدونهم ويضيقون عليهم **أربعمائة سنة**»، ثم الآية **الأربعون** من الباب **الثانى عشر** من **كتاب الخروج** «فكان جميع ما سكن بنو إسرائيل فى أرض مصر أربعمائة سنة **وثلاثين سنة**»، فبين الآيتين اختلاف، فإما أسقط من الأولى **لفظ ثلاثين**، وإما زيد فى الثانية، ومع قطع النظر عن هذا الاختلاف فإن مؤرخيهم مجمعون على أن هذه المدة كانت **مائتين وخمس عشرة سنة** فقط. ويقول **ابن حزم** فى شأن هذه الواقعة إنها فضيحة الدهر، فقد ذكر التوراة من قبل أن **قاهات بن لاوى** دخل مصر مع جده يعقوب، ومع أبيه لاوى، ومع سائر أعمامه وبنى أعمامه. وأن عمر قاهات بن لاوى المذكور كان مائة سنة وثلاث وثلاثين سنة، وأن عمران بن قاهات بن لاوى المذكور كان عمره مائة سنة وسبعاً وثلاثين سنة، وأن موسى بن عمران بن قاهات بن لاوى المذكور كان إذ خرج ببنى إسرائيل من

مصر ابن ثمانين سنة، فهبك أن قاهات دخل مصر ابن شهر أو أقل، وأن عمران ابنه ولد بعد موته، وأن موسى بن عمران ولد بعد موت أبيه، فليس يجتمع من كل ذلك إلا **ثلاثمائة عام وخمسون عام فقط،** فأين الثمانون عاماً الباقية من جملة **أربعمائة سنة وثلاثين سنة؟** فإن قالوا نضيف إلى ذلك مدة بقاء يوسف بمصر قبل دخول أبيه وإخوته، قلنا قد تبين من التوراة أنه كان إذ دخلها ابن **سبع عشرة سنة،** وأنه كان إذ دخلها أبوه وإخوته ابن **تسع وثلاثين سنة**، فإذن كان مقامه بمصر قبل أبيه وإخوته **اثنتين وعشرين سنة**، نضمها إلى **ثلثمائة سنة وخمسين سنة،** يقوم من الجميع بلا شك **ثلاثمائة واثنتان وسبعون سنة،** فأين الثماني والخمسون الباقية من **أربعمائة وثلاثين سنة؟**

ومن **التحريفات بالنقصان** كذلك في هذه النسخة **العبرانية** أن الآية **الثامنة** من الباب **الرابع من سفر التكوين** تقول «وقال قايين لهابيل أخيه، ولما صارا في الحقل قام قايين على هابيل أخيه فقتله»، وفي النسخة **السامرية واليونانية** والتراجم القديمة.. وقال قايين لهابيل أخيه تعال نخرج إلى الحقل، ولما صارا في الحقل...»، فهذه العبارة «تعال نخرج إلى الحقل» سقطت من **العبرانية.**

وكذلك سقطت من هذه النسخة **العبرانية لفظة** «وليلة» في الآية **السابعة عشرة** من الباب **السابع من سفر التكوين** «وصار الطوفان أربعين يوماً على الأرض» بدلاً من «أربعين يوماً وليلة».

وكذلك سقطت عبارة «وكان قبيحاً في نظره» من الآية **الثانية والعشرين** من الباب **الخامس والثلاثين من سفر التكوين،** حيث وردت «ولمّا سكن إسرائيل تلك الأرض، مضى روبيل وضاجع بلها سرية أبيه فسمع إسرائيل». **والنسخة اليونانية** تتمها بالعبارة السابقة.

وسقطت أيضاً «لِمَ سرقتم صواعي» من الآية **الخامسة** من الباب **الرابع والأربعين** من سفر **التكوين**، ولفظة «معكم» من الآية **الخامسة والعشرين** من الباب **الخمسين** من

سفر التكوين، وعبارة «وولدت أيضا غلاما ثانيا ودعا اسمه أليعازر، فقال من أجل أن إله أبى أعاننى وخلّصنى من سيف فرعون»، من الآية **الثانية والعشرين** من الباب **الثانى** من **سفر الخروج**، وعبارة «ومريم أختهما» من الآية **العشرين** من الباب **السادس** من **سفر الخروج**، وعبارة، «وإذ نفخوا مرة ثالثة برفع الخيام الغربية للارتحال، وإذ نفخوا مرة رابعة برفع الخيام الشمالية للارتحال» من الآية **السادسة** من الباب **العاشر** من **سفر العدد**..

وكذلك هناك نقص فى الآيات **الثالثة عشرة**، وأول الآية **الرابعة عشرة** من الباب **السادس عشر** من **كتاب القضاة**، والآية **الثالثة** إلا لفظ شكيناه، والآيات ٤، ٥، ٦، ٩، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤١ من الباب المذكور، والآية **السابعة عشرة** من الباب **الثانى والأربعين** من **كتاب أيوب**، والآية الثالثة من **الزبور الرابع عشر**، والآية **الخامسة** من الباب **الأربعين** من **كتاب أشعيا**.

ومن أجل كل ما سبق، وحيث أنه لم يثبت التواتر اللفظى لكتب العهد القديم، ولم يوجد سند متصل لها إلى مصنفيها، ثبتت جميع أنواع التحريف فيها، وثبت التحريف من اليهود لدفع الاعتراض وتأييد المسألة، فصارت هذه الكتب مشكوكا فيها عندنا، فلا يتم الاحتجاج ببعض آياتها علينا. ولا يستبعد التحريف فإن موسى عليه السلام لمّا استنسخ التوراة سلّمها إلى الأحبار، وأوصاهم بالمحافظة عليها، وبوضعها فى جنب صندوق الشهادة، وإخراجها إلى الناس بعد كل سبعة من السنين، فى يوم العيد، لأجل سماع بنى إسرائيل، فكانت النسخة موضوعة فى جنب الصندوق، وكانت الطبقة الأولى على وصية موسى عليه السلام، فلما انقرضت هذه الطبقة تغير حال بنى إسرائيل، فكانوا يرتدّون تارة ويُسلمون أخرى، وهكذا حالهم إلى أول حكم **داود**، وحَسُن حالهم خلال حكمه وصدْر ولاية **سليمان**، لكن لأنهم قاموا بالانقلابات ضاعت النسخة الموضوعة فى جنب الصندوق، ولا يُعلَم جزما متى ضاعت، ولما فتح **سليمان** الصندوق لم

يجد غير اللوحين المكتوب عليهما الوصايا العشرة فقط كما هو واضح من الآية **التاسعة من الباب الثامن من سفر الملوك الأول:** «ولم يكن فى التابوت إلا اللوحان الحجريان اللذان وضعهما موسى بحوريت،حيث عاهد الرب بنى إسرائيل وأخرجهم من مصر». ثم وقع الانقلاب العظيم فى آخر ولاية سليمان على ما تشهد به كتبهم،بأن ارتد سليمان فعبد الأصنام وبنى المعابد لها، وإذ صار مرتداً وثنياً وبعد موته وقع انقلاب أشد،بأن تفرق أسباط بنى إسرائيل،وصارت الدولة الواحدة دولتين، وصار يوربعام ملكاً على عشرة أسباط، وسمّيت دولته باسم إسرائيل، وصار رحبعام بن سليمان ملكاً على السبطين، وسميت دولته يهودا، وشاع الكفر لأن يوربعام عندما تولى ارتد، وارتدت الأسباط العشرة معه، ومن بقى منهم على ملة التوارة هاجر إلى يهودا، فهولاءالأسباط من هذا العهد إلى مائتين وخمسين سنة كانوا كافرين، عابدين للأصنام، ثم أبادهم الله بأن سلّط عليهم الأشوريين فأسروهم وفرقوهم فى الممالك، ومن بقى تزاوج مع الوثنيين، وسميت أولادهم السامريين ونهبت أورشليم وبيت المقدس مرتين، فلما ولى يوشيا لم ير، ولم يسمع بوجود نسخة للتوارة، ثم ادعى **حلقيا** الكاهن فى العام الثامن عشر من حكمه أنه عثر على نسخة منها فى بيت المقدس، ورغم الشكوك التى تحيط بظهورها، إلا أنه لم يعمل بها إلا لثلاث عشرة سنة فقط، وبعدها حكم المرتدون.ولم يعلم بأمرها، إلى أن أحرق **بختنصر** بيت الله وبيت الملك وجميع بيوت أورشليم، وأسر سائر الشعوب من بنى إسرائيل وسباهم، وفى هذه الحادثة انعدم التوارة، وكذا جميع كتب العهد القديم، فلما أعاد عزرا كتابتها وقعت الحادثة الثانية التى جاء ذكرها فى الباب الأول من الكتاب الأول للمقابيين،حيث فتح أنتيوكس أورشليم وأحرق جميع نسخ العهد القديم، وأمر أن من يوجد عنده نسخة أو يؤدى رسم الشريعة يقتل ، وكان تحقيق هذا الأمر فى كل شهر، وكانت هذه الحادثة قبل ميلاد المسيح بمائة وإحدى وستين سنة، وامتدت إلى ثلاث سنوات ونصف كما قال **يوسيفوس،** فانعدمت فى هذه الحادثة جميع النسخ التى

كتبها عزرا. وبعد ذلك وقعت حوادث مماثلة، منها حادثة **طيطوس** الرومى التى تحدث عنها يوسيفوس بالتفصيل، وفيها أسر الآلاف من اليهود وبيعوا، وهلك خلق كثير. ولذلك ظلت **النسخة اليونانية** للتوارة هى المعول عليها حيث كانت النسخ العبرانية نادرة، وقد لمس اليهود اختلاف النسخ المترجمة عن نسختهم، فقاموا بدورهم بإعدام الكثير منها، بالإضافة إلى أن أقدم نسخة من التوارة وصلتنا ترجع إلى المائة العاشرة فى رأى، وإلى المائة الحادية عشرة فى رأى. ولما طبعها «واندرهوت» بادعاء التصحيح الكامل، خالفها فى أربعة عشر ألف موضع، منها ما يزيد على ألفى موضع فى التوارة فقط. أما النسخة اليونانية فيوجد منها ثلاث، الأولى كودكس إسكندريانوس، والثانية كودكس والميكانوس، والثالثة كودكس إفريمى، ولا يوجد دليل على تاريخ كتابة أى منها، والظن أنها كتبت فى القرن الرابع أو الخامس أو السادس أو السابع أو الثامن أو العاشر، وتختلف فيما بينها اختلافاً شديداً، الأمر الذى يدل على كذب اثنتين منها إن كانت واحدة صادقة، وكذب الثالثة بدعوى صدق الاثنتين .

أما **التحريف من جهة الموضوع** فقد تناوله بإسهاب **ابن حزم** فى تحفته «**الفصل فى الملل والأهواء والنحل**». ومن هذا التحريف ما جاء فى سفر **التكوين** «وقال الله لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا» (الفصل الأول، العبارة ٢٦) فلم يقل كصورتنا وسكت، إذن لكان له وجه حسن ومعنى صحيح، وهو أن نضيف الصورة إلى الله إضافة الملك والخلق، كما نقول عن إنسان قبيح أو حسن الوجه هذه صورة الله، أى تصوير الله والصفة التى انفراد بملكها وخلقها، لكن قوله كمثالنا منع التأويلاوت وسد المخارج وقطع السبل، وأوجب شَبَه آدم لله، وهذا يُعلَم بطلانه ببديهة العقل، إذ الشبه والمثل معناهما واحد.

ومنه أيضاً «وقال الرب الإله هو ذا آدم قد صار كواحد منا يعرف الخير والشر، والآن لعله يمد يده فيأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل فيحيا إلى الدهر، فأخرجه

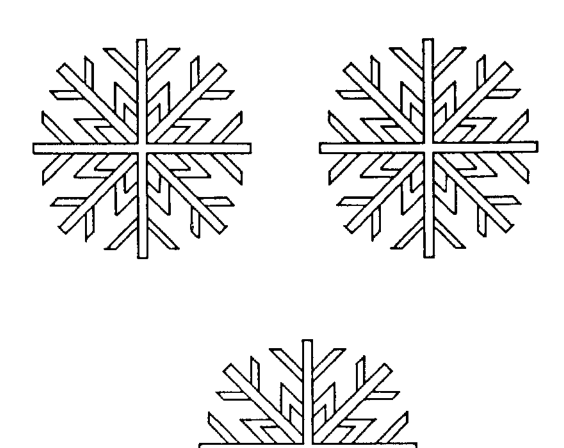
الرب الإله من جنة عدن» (التكوين، الفصل الثالث العبارة ٢٢)، وحكايتهم هذه عن الله أنه قال هذا آدم قد صار كواحد منا يوجب بالضرورة أنهم آلهة أكثر من واحد، وأدى هذا القول بالكثير من خواص اليهود إلى الاعتقاد أن الذى خلق آدم لم يكن إلا خلقاً خلقه الله قبل آدم، وأكل منها آدم فعرف الخير والشر، ثم أكل من شجرة الحياة فصار إلهاً من جملة الآلهة.

ومنه أيضاً أن الله تعالى وعد إبراهيم «لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات» (التكوين، الفصل الخامس عشر، العبارة ١٨) ، وهذا كذب، لأنه إن كان عنى بنى إسرائيل، وهكذا يزعمون، فما ملكوا قط من نهر مصر شبرا فما فوقه، وذلك من موقع النيل إلى قرب بيت المقدس، وفى هذه المسافة من الصحارى ثم رفح وغزة وعسقلان وجبال الشراة التى لم تزل تحاربهم طول مدة دولتهم، وتذيقهم الأمرين إلى انقضائها، ولا مملكوا قط من الفرات، بل بين آخر خور بنى إسرائيل إلى أقرب مكان من الفرات إليهم نحو تسعين فرسخاً، فيها قنسرين وحمص التى لم يقربوا منها قط،ثم دمشق وصور وصيدا التى لم يزل أهلها يحاربونهم ويسومونهم الخسف طوال مدة دولتهم بإقرارهم ونصوص كتبهم .

فإن قال قائل إنما عنى الله بهذا الوعد بنى إسماعيل عليه السلام، قلنا وهذا أيضاً خطأ، لأن هذا القدر المذكور ها هنا من الأرض أقل من جزء من مائة جزء مما ملّك الله بنى إسماعيل. وأين يقع ما بين النيل والفرات، من آخر الأندلس على ساحل المحيط وبلاد البربر كذلك، إلى آخر السند وكابل مما يلى بلاد الهند، ومن ساحل اليمن إلى ثغور أرمينية وأذربيجان ؟

ثم تقول التوراة «وتجلّى له الرب.. فرفع طرفه ونظر، فإذا ثلاثة رجال وقوف فى صورة رجل » ، ونفهم أن واحداً منهم هو الرب، وأن الرجلين المرافقين ملكان «فجاء

الملكان إلى سدوم عشاء..» (التكوين، الفصل التاسع عشر، العبارة الأولى)، ونزول اللّه بهذه الصورة تشخيص، قد استخدمه النصارى بعد ذلك واحتّجوا به على ألوهية المسيح.





الحصيدية Hasidism

مذهب فى الباطنية اليهودية، وهو غنوص لاشك فيه، وقيل صحيح الإسم **الحسيدية** بمعنى التقوية، لكنا نرى أنه **الحصيدية**، مشتق من **الحصيد** بالآرامية والعربية، وهو أسافل الزرع التى تبقى لا يتمكن منها المنجل، **والحصيديون** هم البقية الصالحة التى لم تتمكن منها ديانات ولا عادات الأغراب، ولم تصرفها عن عبادة الله على ملة اليهود. ويرد ذكرهم بهذا المعنى فى سفر **المقابيين الأول**، وإن كان مترجم التوراة قد ظنهم الحسيديين بمعنى المتقين، يقول التوراة: «حينئذ اجتمعت إليهم وانضم إليهم جميع الذين فرّوا من الشرّ فازدادوا بهم تعزيزا، وألّفوا جيشا وأوقعوا بالخطاة في غضبهم، وبرجال النفاق فى حتفهم، وفرّ الباقون إلى الأمم طالبين النجاة» (الفصل الثانى/ ٤٢ - ٤٤).

ويردّ المؤخورن نشأة فرقة الفريسيين إلى الحصيديين، والفريسيون صحيح اسمهم الفرسان (**أنظر الفريسيون**)، ولاشك أن هناك صلة بين أن يكون المرء فارسا، وأن يكون من ذوى البأس فى جيش عمله محاربة الخطاة والمنافقين، ولذلك لا يجد المؤرخون المحدثون أية صلة بين دعوة الحصيديين القدامى ودعوة الجدد، فالأولون محاربون والآخرون متصوفة، ولذلك يميلون إلى ترجمة الإسم الحصيدية بالتقوية، ويقولون بكتابته الحسيدية، بدلاً من الحصيدية، باعتبار أن الحصيدى هو المحارب، والحسيدى هو التقى الورع، لكنا نري لفظة حسيدية ليس لها إلا الأصل الأول، ولا بأس أن يكون المرء محاربا وتقيا، وهو ما يحمله تعبير **المجاهد** فى سبيل الله، وإنا لنفضل ترجمة الاسم لذلك **بالجهادية**، فهم الحصيديون بمعنى **المجاهدين**، وكانوا فى السابق مجاهدين فى الحرب، وهم الآن مجاهدون فى السلم، وكانت بدايتهم بداية حربية، ولكنهم فى الصيغة

المحدثة (ابتداءً من القرن الثامن عشر) فرقة من الصوفية وأصحاب طريقة وأهل سلوك.

ويبدو أن ظروف اليهود فى أوروبا الشرقية فى القرن الثامن عشر كانت مشابهة لظروفهم زمن المقابيين. ولما كانت الظروف المتشابهة كثيراً ما تخلق مذاهب متشابهة، فإن الحصيدية عاودت الظهور بعد نحو عشرين قرناً، ولم يكن من المعقول أن يكون الحصيديون الجدد محاربين من ذوى البأس كأسلافهم، فأوروبا الشرقية لم تكن فلسطين، والأرجح أن الوعى بضرورة الخلاص الذى استيقظ عند المحدثين اتجه وجهة روحية، فحيث يعز الخلاص المادى لايتبقى إلا الخلاص الروحى. ولم يكن **بعل شمطوب** (نحو ١٧٠٠ - ١٧٦٠) مؤسس المذهب، محارباً على طريقة الأولين، ولكنه كان أقرب إلى شخصية المسيح الدجّال، وكان يمارس الطب على طريقة المشعوذين، مدّعياً معرفة أسرار الإسم الأعظم أو اسم الله. وكان قبل ذلك يشتغل بتعليم الصبيان القراءة والكتابة ويدرّس لهم التوراة، غير أنه أكبّ على القبالة أو **فلسفة القبول** اليهودية، واستقى من جانبها العملى، ثم راح يبشر بطريقته حتى بلغ أصحابه نحواً من عشرة آلاف، وقيّض الله له واحداً من أتباعه هو **يعقوب بن يوسف**، فتوفر على تعاليمه يكتبها وينشرها. وكان شمطوب من المعجبين بإسحق لوريا (١٥٣٤ - ١٥٧٢)، **ولوريا** تلقى تعليمه بمصر، وكان يعلم بصفد بفلسطين. ومن الواضح أن لوريا تأثر بالثقافة الإسلامية رغم أنه يقول بوحدة الوجود، ولكن **وحدة الوجود** كانت دائماً من المفاهيم الأساسية فى الفلسفة اليهودية، وهى تؤكد باستمرار على وجود الله فى كل شىء، فى شكل مذهب حلولى متغلغل الجذور فى اليهودية، ولذلك فإن شمطوب دعا بدعوته، فقال إن العالم من فيوض الله، وهو موجود فى كل مخلوقاته من نبات وحيوان وجماد، ولم يكن فى القديم إلا الله، لكنه انسحب على نفسه، بمعنى أنه حجب بعض أنواره، فترك فراغاً حلّت فيه مخلوقاته، ولكن كما لم يكن ثمة وجود مع الله قبل خلق العالم، فكذلك ليس ثمة وجود مع الله بعد خلق العالم، فالله فى كل شىء، والعالم قد تخلّق منه تخلّق

الصَدَفَة من الحيوان، ومن ثم فليس ثمة إلا الله على الحقيقة، والعالم بمثابة الثوب له، والله فى كل شىء، حتى فيما يصدر عن الإنسان من أفعال، وفى الخير والشر، ومن ثم يصبح من غير المجدى محاولة تغيير الكون أو فهمه، وإنما تصبح الحياة المثالية هى التى تهدف إلى معرفة الله بأسمائه وصفاته، والتواصل به سبحانه بالذِكْر، وفيه تذوب ذات المريد فى مشاهدة الحق يتعلق القلب به، وفى استيلائه عليه، وعندئذ لايكون ثمة موجب للحزن أو الأسى، لأن من يرى الله فى الأشياء والمصائر والأقدار ويتحد به سبحانه، لن يعمر قلبه إلا نور الله، والحزن ينقشع بنور الله، وإذا نفذ الحزن إلى القلب وتمكّن منه فلا مكان للإيمان، لأن الحزن يأس، ولا يأس من رحمة الله، بل شوقٌ دائم لرحمته. وحتى الخطاة لاينبغى لهم أن يحزنوا، لأن الله موجود حتى فى الخطيئة، فما من سبيل للقضاء على الشهوة إلا باستنفادها، وما من علاج للعطش إلا بالشرب. وطريقة شمطوب يلخصها شعاره «**الهبوط من أجل الصعود**»، بمعنى أن الشرّ لا سبيل لمنازلته إلا بالمواجهة، وفى عقر داره وبأسلحته. وعلى الحصيدى أن يشتهى كل شىء، بما فى ذلك المرأة والطعام والشراب، لأنه من خلال النشوة التى تتحقق بالجسد تتحقق للروح نشوتها الإلهية، لأن اللّه موجود فى الطعام والشراب والجسد، وفى كل شىء مادى، والممارسات الجسدية عبادة للّه بالجسد تهيىء للمرتبة اللاحقة وهى عبادته بالروح، ولكن الطريق الروحى يحتاج لمساعدة الولىّ أو الصدّيق Zaddik.

والصدّيقية فلسفة ينقلها الحصيديون عن متصوفة المسلمين، غير أن الصدّيق عند المسلمين يأتى فى المرتبة بعد النبى، ولكنه فى الحصيدية يسبق النبى، ذلك لأن النبى لم تكن له إرادة النبوة، ولكن الصدّيق أراد الصدّيقية وبلغها بلطف من اللّه. وواضح أن فلسفة الصدّيقية تحريف لنفس الفلسفة عند بعض المتصوفة المسلمين، بل إنا لنجد هذا البعض قد انحرف بها انحرافاً مشابهاً، وقال بأقوال مماثلة، وجعل الولاية أرفع مرتبة من النبوة، وفى ذلك ضربوا المثل بالخضر الولىّ وموسى النبىّ عليهما السلام.

وتحفل كتب المسلمين بالفرق المتصوفة الإباحية كإباحية الحصيديين، وقالوا إذا

كانت السعادة والشقاوة قد كتبت علينا، والأعمال فى الأصل لا تراد إلا لاجتلاب السعادة ودفع الشقاوة، فالأولى أن تتوجه العبادة إلى مساعدة المقدور على الوقوع بترك النفوس على سجيتها، فلا نمنعها عن ملذوذ مقدور لها تحصيله. وقالوا نترك الأجسام لتلقى بالأنوار، فتصفو الأرواح وتحصل البركات. وقد قيل إن **فرويد** قد تأثر بهذا الطراز من الحصيدية عندما طرح نظرياته فى **الجنس**.

غير أن الأهم من كل ذلك فى الحصيدية قولها **بالحضرة الإلهية**، والصدّيق أو الولىّ دائماً فى الحضرة، ولكن المؤمنين عليهم أن يعملوا ليكونوا فيها، وعملهم هو الذكْر، وكان شعب إسرائيل عندما كان فى أرضه فى حضرة دائمة، لأن اللّه كان فى أرضه أيضاً، فلما نُفى الشعب نُفِى اللّه كذلك، واغترب اللّه والشعب، وكان على الإسرائيلى لكى يدخل فى الحضرة من جديد أن يعمل لها بالذكر، ولن تعود الحضرة إلى الشعب إلا بعودة الشعب إلى أرضه، وعندئذ يعود اللّه أيضاً من منفاه. ومعنى أن الإسرائيلى قد دخل الحضرة أن اللّه قد حلّ فيه، فصار كلامه مقدساً، والصدّيق لذلك كلامه كله مقدس، أى كلامه توراة..

وفى **الحصيدية المحدثة** عند **مارتن بوبر** (١٨٧٨ - ١٩٦٥) لايحلّ اللّه فى مخلوقاته ويؤثر فيها فحسب، ولكن مخلوقاته تؤثر فيه بدورها، وكل فعل من ثم له دلالة تتجاوز التاريخ إلى الكون كله مهما كان هذا الفعل. وواضح أن الحصيدية تساوى بين الحلال والحرام، والطاهر والنجس، وترفع الفروق بينها طالما أنها تضع اللّه فى كل شئ وفعل دون تمييز. وقد عاب عليها **المعارضون** mitnaggedim أنها تنقل الديانة من شريعة إلى طريقة، وأن **الفناء الصوفى** الذى يدخل فيه المريد لابد أن ينتهى بإسقاط التكاليف، وأن إسقاط التكاليف يُقسِم الديانة على نفسها فتصبح ثمة ديانة للعامة وأخرى للخاصة، وأن العزلة أو الخلوة الصوفية هى إبطال للعمل الاجتماعى وفصم للعرى الأسَرية.

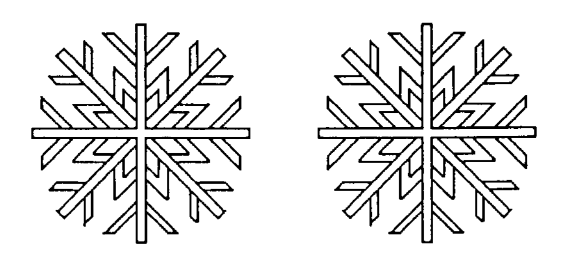
ولاشك أن الحصيدية مذهب فى **الفلسفة المسيحانية**، قيل إنها تَروج عندما تتأزم أوضاع اليهود فيهربون بها من الواقع التاريخى إلى حالة النشوة الصوفية. وقيل إن

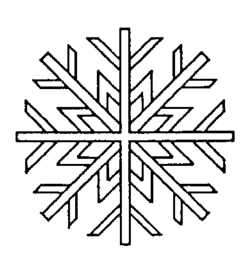
معتنقيها زادوا وكانوا دائماً فى اطراد، حتى طاولت الحصيدية اليهودية نفسها، فصارت ديانة داخل الديانة ecclesiola in ecclesia.



حى Hai

(٩٣٩- ١٠٣٨م) حىّ بن شيريرا جاعون عراقى من المتكلمين على مذهب المعتزلة، كان من بيت علم ودين، وكتب بالعربية وكان زعيم المدرسة فى بابل ومفتى الجالية اليهودية، ومن رأيه أن علم الله سابق، فهو لا يعرف مقدماً ما سوف يحدث فعلاً فحسب، بل ما كان يمكن أن يحدث إذا اختار الإنسان المريد احتمالاً آخر غير الذى عرض لاختياره، وفى عبارة خاصة به «إن علم الله يتناول احتمالات المستقبل».







دوران Duran

(المتوفى نحو ١٤١٤) **إسحق بن موسى**، المعروف بالإفودى Efodi، أو باسمه المسيحى **دوران بروفيات** Profiat، وكان قد أجبر فى بلده أسبانيا على اعتناق المسيحية مدة اثنتى عشرة سنة، وحرضه **قريشقش** على كتابة رسالتين ضد المسيحية وأغلاطها، وكتب شرحاً **لدلالة الحائرين للميمونى** يعيب عليه محاولة التوفيق بين الفلسفة والدين، والفلسفة التى يقصدها هى الأرسطية، والفلسفة الحقة فى نظره هى التى تستقى من التوراة، وهو الأصل عنده لكل تعليم ونظر، والفلسفة بهذا المعنى **خاصة شعب إسرائيل وحده.**



الدونمه Doenmeh

فرقة مسيحانية حلولية إباحية من المعطلة، ومعنى اسمهم بالتركية المرتدون، لأنهم شايعوا داعيتهم المدعو **شبتاى تسفى** على الإسلام الذى اعتنقه ظاهرياً أو كما نقول تقاةً، فلما تأكد للسلطات التركية نفاقهم لقّبوهم بالمرتدين، إما مرتدون عن اليهودية إلى الإسلام، وإما مرتدون عن الإسلام إلى اليهودية.

والدونمه **حلولية** يقولون إن اللّه قد حلّ فى داعيتهم، أو أنه ابنه، وأنه المهدى المنتظر الذى هو عندهم المسيح المخلّص، وبمجيئه تنتفى الخطيئة، ولا يصبح ثمة داع للشريعة، ويتوقف الشر، ويبطل الفساد والفناء والموت، ويعمّ السلام والعدل والرخاء الأرض، لأن المسيح يعيد الشعب إلى أرضه فيعود اللّه إلى سكنى داره، فيغتبط، وتفرح الأرض وتدرّ العسل واللبن، ولذلك فإن التوراة المعروفة بتوراة موسى لا تصلح فى العصر

السيحانى، لأن الأحداث تتجاوزها، فهذه توراة تقوم على تخويف الكفّار بالعقاب، وأساسها القول بخطيئة آدم، وجُلّها أوامر ونواه وزواجر، وأما التوراة الجديدة أو **التوراة الفيوضية** التى يفيض بها حديث **شبتاى**، فأساسها أن العصر الجديد هو عصر حاجات روحية وليست جسدية، ومن ثم يسمى شبتاى التوراة القديمة توارة الجسد أو **التوراة المادية**، بينما توراته هو أو كلامه فإن الخطاب فيها للأرواح والقلوب.

ومن الدونمه فريق رفض اعتناق الإسلام تقية، وظلوا على طهارتهم اليهودية، وهؤلاء هم **طائفة المؤمنين** Ma'aminim، يقولون **بثلاثة** آلهة فى إله واحد، ويسمون بالمثلّثين أو القائلين **بالتثليث**، فهناك **العلّة الأولى** أو الإله الأول أو إله العالمين، **والعلّة الثانية** رب إسرائيل، الخالق البديع المصوّر البارىء الحافظ، له الأسماء الحسنى، **والشخيناه** أو العنصر الإلهى الأنثوى، وهى الحضور الإلهى فى الشعب أو هى الشعب المقدس.

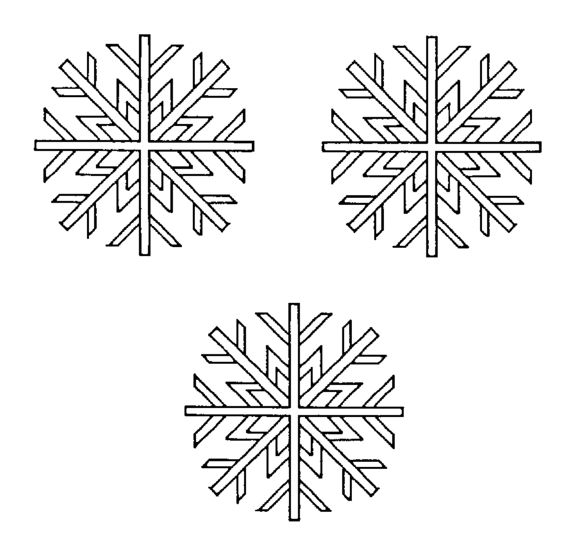
ومن سكن من المؤمنين فى أزمير لقّبوا **بالأزميرلية** Izmirlis أو Izmirim ، وهم الحرس القديم ، أو المؤمنون **السبّاقون** Cavalleros أو قبانچيلار Kapanjilar.

ولما مات شبتاى خلفه على الجماعة صهره المسمى **يعقوب فيلسوف**، وادعت أرملة شبتاى أن روح الداعى قد حلّت فيه، ومن ذهب منهم مذهبها وآمن بما تقول قيل عنهم **اليعقوبية** Ya'akoviyyim، وأما يعقوب فاتخذ لنفسه اسم **يعقوب القوريدو** Querido أو **يعقوب المحبوب**، لأن الداعى قد اختصه بحبه وسِرّه وحلّ فيه، ثم غلا فى التظاهر بالإسلام فقام والمؤمنون به بأداء الحج جماعة.

والدونمه الغالية هم شيعة **روسو المبارك** Baruchiah Russo، الملّقب **ببابا عثمان** ، واسمهم فى لغتهم **كونيوسوس** Konyosos ، وبالتركية **قاراقشلار**Karakashlar.

وكان الدونمه لهم **اسمان**: عبرى ومسلم، أو اسم الظاهر واسم الباطن. وهم **عدمية**: ينكرون البعث والحساب، **وإباحية**: نساؤهم على المشاع، ولهم احتفالات جنسية جماعية. وكان داعيتهم الأكبر يعتبر **الإسلام** أكبر أعدائه، ويقول إنه اعتنق الإسلام لتستخفى حقيقته على المسلمين، فينفذ إلى معسكرهم ويقوّض الإسلام من الداخل. وكان يقول إنه كلما غلا فى إظهار الإسلام كلما كان مطاع الكلمة بين المسلمين، وقد أفلح أتباعه فى التسلل إلى **حزب تركيا الفتاة** بأفكارهم، ومكّنوا له حتى خلص له الحكم، ففصلوا الدين عن الدولة، وأنهوا الخلافة العثمانية، يحسبون أنهم بذلك قد قضوا على الإسلام بالكلية فى كل الديار الإسلامية طالما قضوا عليه فى تركيا. وقيل إن **مصطفى كمال أتاتورك** نفسه كان من الدونمه، وكان فى حياته التجسيد الحى للسلوك الشباتى.

وتغلغل الدونمه فى الحياة الثقافية التركية، واتصلوا بالصوفية والدراويش، وعن طريقهم انتقل التأثير الصوفى الإسلامى إلى **الحصيديين** فى أوروبا الشرقية، وهى أكبر الفرق اليهودية بعد التلموديين. وطريقة الحصيديين ومصطلحاتهم تستمد من طريقة الدراويش فى الذِكْر الذى يصحبه الإنشاد والرقص والموسيقى، والحَضْرة عند الدراويش تشبه الحضرة الحصيدية.





باب الراء

الربانيون Rabbinites

أكبر فرق اليهود، والربّان هو الحَبْر، وهو أيضاً الحاخام. وكتاب الربّانية هو **التلمود**، يقولون إنه الشريعة غير المنزّلة، المكمِلة لشريعة موسى المحفوظة فى التوراة، وهو عبارة عن التفاسير والتعاليم والفتاوى والقصص التى تناقلها الربّانيون عن السلف ولم تزل تنمو مع الأيام.

وقالت **غالية الربّانيين**: إن التلمود أعلى منزلة من التوراة، وأن الله نفسه يستشير الربّانيين إذا حزبه أمر، وأنه فى إحدى المرات قد اشتد الخلاف بينه وبينهم، وارتضى الله حكَم أحدهم، فقضى بتخطئة الله عز وجل الذى لم يسعه إلا الإقرار بصواب الربّانيين.

والقرّاون فرقة تناقض الربّانيين، وتهاجم التلمود وتهدمه، وتفنّد تقاليده، وتكفّر الآخذين به، ولا تقر إلا بالتوراة مرجعاً وحيداً للعقيدة والشريعة.

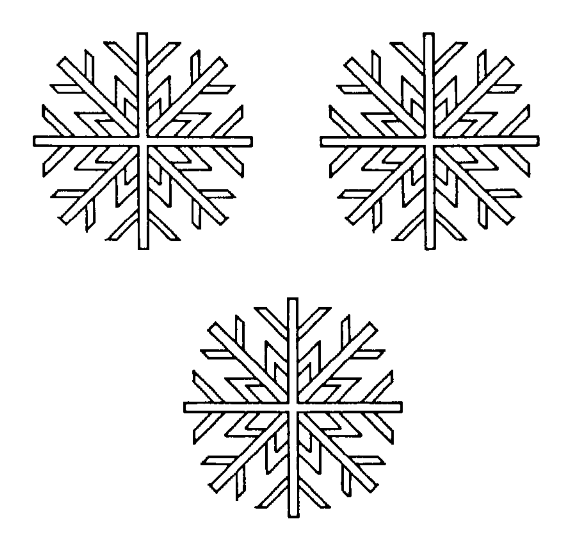
ويردّ الفلاسفة المسيحيون تعصب الربّانيين إلى الروح التى تسود **التوراة**، فالتوراة ما كان من المكن إلا أن تنتج الربّانية. و،الربّانيون بإلهام التوراة كتبوا التلمود، والتلمود هو الذى أفرخ كتاب الزُهار وفلسفات القباليين والحصيديين وانتهى بالصهيونية. والفكر **الصهيونى** فكر ربّانى الأصل، وقد جاء فى التلمود، كتاب الربّانيين، أن من لا يهاجر إلى أرض الميعاد كمن لا إله له. **والتلمود** هو أصل المغايرة التى جعلت اليهودى يزن بمعيارين بالنسبة لليهود وغير اليهود، وتسوده المعايير الأخلاقية المزدوجة، وبسبب هذه المغايرة اعتزل اليهودى الناس وسكن **الجيتو**، ونبذته المجتمعات التى تواجد فيها. وقيل فى الأخلاق اليهودية الربّانية إنها **أخلاق عبيد**، فيها الحقد المكبوت، وتحيُّن لحظة الانتقام، والمسايرة لحد التظاهر باعتناق أديان الأمم.



روزنـڤايج Rosenzweig

(١٨٨٦-١٩٢٩) **فرانز روزنزڤايج**، صـاحب كـتـاب «**نجمة الانـعتاق**» (١٩١٩)، يعدونه من المصنفات الكبرى فى الدعوة اليهودية، يقول إن **الحقيقة** متعددة الأوجه، وأن الفلسـفة تخطىء إذ تجعلها ذات وجه واحد، وكانت الديانات قبل اليهـودية تردها إلى أصول ثلاثة متباعدة هى الله والعالم والإنسان، تقاربت واتصلت فى اليهودية لأول مرة من خلال **الوحى**، فصنعت **مثلثاً** كالنجمة، وباتصالها يتحقق **الانعتاق**،والانعتاق ليس هو الخلاص **المسيحى**، لأن الخلاص المسيحى خلاص من الخطيئة، ولكن **الانعتاق** أبعد من ذلك، فهو العودة إلى الله والاتحاد به، **والوحى** هو الصلة التى ربطت بين الله وكل من العالم والإنسان، وهو التنزيل. ولمّا وعى الإنسان مضمون الوحى وهو **الوصايا**، وعرف أساسها وهو محبة الله للإنسان، بادل الله **المحبة**، وعمل بالوصايا. والوصايا ليست قوانين، لأن القوانين أساسها القسر، وليست مجرد مبادىء فلسفية يُتشدّق بها، ولكنها الحكمة الإلهية عاشت فى ضمير الإنسان كخبرة شخصية، ومن خلالها تواصل مع الله، وبها استطاع تغيير نفسه والمجتمع والطبيعة من حوله، وكان هدفه فى كل أفعاله التى تحققت أو أمِل أن تتحقق، أن يبلغ مملكة الله. **وشعب إسرائيل** هو شعب الله، لأنه منذ اللحظة الأولى التى خاطبه الله فيها وتجلى له قد دخل **مملكة الله**. وهو شعب مقدّس يعيش **الأبدية** بتقويمه الخاص، بينما الأمم تعيش فى **التاريخ** نحو الغاية نفسها،حيث يصُبّ الكل فى الله، وحيث يتجلّى الله بوصفه **الكل فى الكل**، والإسرائيليون سبقوا العالم إليها، وعرفوا الله قبل المسيحيين، وكلاهما يقول **بميثاق مع الله**، وكلاهما صادق من منظوره، ولا يمكن أن يتحول اليهودى إلى مسيحى، ولا المسيحى إلى يهودى، لأن **اليهودية سمة بيولوجية** يولد بها اليهودى وتظل معه، والمشكلة أن بعض المسيحيين قد عمى عن هذه الحقيقة فظن أنه بالاستطاعة تبشير اليهودى بالمسيحية،

وبعض اليهود قد استغرقتهم الحضارة الأوروبية، فتحوّلوا عن اليهودية إلى ثقافات الأمم التى يعيشون بينها. ووافق روزنزفايج **الصهيونية الثقافية** على ضرورة العمل على تخليص اليهود من آثار هذه الثقافات، وإعادة تربيتهم على التعاليم اليهودية، وأنشأ لذلك بمساعدة **مارتن بوبر وإدوارد شتراوس وإريك فروم وآخرين**، معهداً حراً بفرانكفورت لتدريس هذه التعاليم، ولكنه لم يتفق مع **الصهيونية السياسية** على أن تحقيق الخلاص النهائى لا يكون إلا بإنهاء الاغتراب والعودة إلى فلسطين.

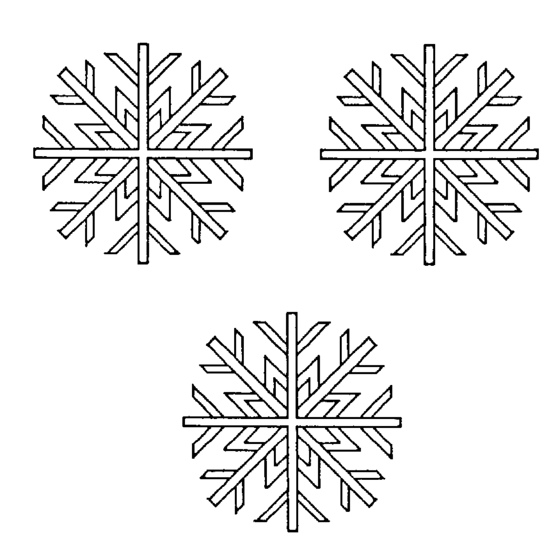




الزابى Aldabi

(نحو ١٣١٠-١٣٦٠) **مائير بن إسحق الزابى** أو **الذئب**، صاحب كتاب «**سبيل الإيمان**»، صنّفه على طريقة المسلمين، ويقتبس منهم كثيراً ولو أنه **لا** يذكر ذلك، وينبه إلى أنه يهدف إلى إثبات أن **الفلسفة الإغريقية**، وخاصة عند أفلاطون وأرسطو، فى حقيقتها يهودية، ولذلك يضمّن كتابه شذرات من هنا وهناك بلا رابط، يحاول أن يقارن بين أقوال اليونانيين كما هى واردة عند ابن ميمون، وابن جرشون، وابن باقودا، وابن صدّيق، وهليل بن شموئيل، والأقوال التى يظن أنها مقاربة لها فى التوراة والتلمود، وعند الأحبار.

وينقسم كتابه إلى **عشرة** فصول أو سُبُل، يعالج فيها النواحى التى يظن أن بإمكانه إثبات سبق اليهود الأمم إلى دراستها والتنظير لها.





السامريون Samaritans

فرقة يتقشفون فى **الطهارة** أكثر من تقشف سائر اليهود، أثبتوا نبوة **موسى وهارون ويوشع بن نون**، وأنكروا نبوة مَنْ بعدهم، شمعون وداود وسليمان وأشعيا واليسع وإلياس وعاموص وحبقوق وزكريا وإرميا وغيرهم، إلا نبياً واحداً، وقالوا إن التوراة ما بشّرت إلا بنبى واحد من بعد موسى، يصدّق ما بين يديه من التوراة، ويحكم بحكمها، ولا يخالفها البتة. والمرة الوحيدة التى وردت فيها كلمة **السامرية** فى العهد القديم فى سفر **الملوك الثانى**، الفصل **السابع عشر**، الآية٢٩، وتعنى السكان المتصلين بالمملكة الشمالية، وفى كتابات العبرانيين المتأخرة بعد السبى، ومعناها سكان إقليم السامرة وسط فلسطين.

وللسامرية **توراة** غير التوراة التى بأيدى سائر اليهود، ويزعمون أن نسختها ترجع إلى عام ٦٥٦م، ولدى بعضهم نسخة يقولون إنها ترجع إلى عام ١٣ بعد فتح كنعان، واختلاف نسختهم عن **النسخة العبرانية** فيما يقرب من **ستة آلاف** موضع كما يقول علماء اليهودية، فمثلاً تقول توراتهم إن جبل الرب هو **جبل جرزيم** بدلاً من **جبل عيبال**، ولذلك اعتبروا قِبلتهم جبل جرزيم، وقالوا إنه الطور الذى كلّم الله موسى عليه، فتحول داود إلى عيبال وبنى البيت ثمة، فخالف الأمر وظلم، والسامرة توجهوا إلى تلك القبلة دون سائر اليهود. ويتهم الطرفان الآخر بسوء النقل وتعمد التحريف، ولكن نص التوراة السامرية تتفق مع **الترجمة السبعينية** فى ألف وتسعمائة موضع.

وافترقت السامرة، كما جاء عند الشهر ستانى، إلى **دوستانية** وهم **الألفانية**، وإلى **كوستانية**. والدوستانية معناها الفرقة المتفرقة الكاذبة، والكوستانية معناها الجماعة

الصادقة، وهم يقرّون بالآخرة، والثواب والعقاب فيها، بينما تزعم الدوستانية أن الثواب والعقاب فى الدنيا، وبين الفريقين اختلاف فى الأحكام.



السانسيمونية Saint-Simonism

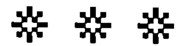
فلسفة **مسيحانية أممية** كالماسونية، صاحبها الأممى **كلود هنرى سان سيمون** (١٧٦٠-١٨٢٥)، إلاّ أن وصيّه **أوليند رودريجز** (١٧٩٥-١٨٥١) كان يهودياً، وكذلك كان إماما المحفل السانسيمونى: **بازار** (١٧٩١-١٨٣٢)، **وإيريفانتين** (١٧٩٦-١٨٦٤).

وكان للدعوة مجلس من **اثنى عشر** سبطاً من اليهود، أبرزهم بخلاف من ذكرنا: يوچين رودريجز، وإميل وإسحق بيرير، وليون اللاوى، وجوستاف إيختال، وچول كارڤالوا، وانضم لهم أيضاً من اليهود إدوارد جانز، وهاينه، وفارنهاجن، وموريتز ڤايت، ومن الأمميين: كارلايل، وميشليه، وكونت، وبيرليوز، وفرانز ليست، وچورچ صاند، وكلهم من كبار المفكرين والفلاسفة والشعراء والمؤرخين والموسيقيين.

ولا تقوم الدعوة على الاعتقاد بمسيح بقدر ما تقول **بعصر مسيحانى**، يجد فيه كل فرد فرصة العمل المناسب الميّسر له، ويُلغَى الميراث، وتزول الفوارق الطبقية، وتتساوى النساء بالرجال، وتوزع الأجور حسب العمل والكفاءة، وتنهض بأعباء الحكم مجموعة رجال المال والصيارفة، ورجال الصناعة والعلماء، وهم النخبة أو الصفوة فى كل المجتمعات، وعددهم **٧٢** كحكومة النبى داود.

وقد قيل إن الدعوة قُصِد بها أن تكون **ديانة علمانية** تحل محل المسيحية، ومن ثم أطلق عليها أصحابها اسم «**المسيحية الجديدة**»، وقيل إنها مؤامرة يهودية قُصِد بها تقويض الكنيسة من داخل المجتمعات المسيحية، بصرف الناس عنها إلى ديانة أخرى عصرية، وأن غايتها لذلك **لا** تختلف عن الدعوات اليهودية السابقة عليها كالشاباتية

والفرنكية، حيث هدفت الأولى إلى تقويض الإسلام، وقصدت الثانية إلى تقويض المسيحية.



السبئية Sabaism

هم أتباع **عبد الله** بن سبأ، يمنى ادّعى الإسلام فى السنة السابعة من خلافة عثمان، ليفتن المسلمين، وقال لعلىّ بن أبى طالب: «أنت إله حقاً». ونفاه علىّ إلى المدائن. وقال ابن سبأ: لم يمت علىّ، ولم يَقتل ابن ملجم إلا شيطاناً تصوّر فى صورة علىّ، وعلىّ فى السحاب، والرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه ينزل بعد هذا إلى الأرض ويملؤها عدلاً.

وقال: كما كذبت اليهود والنصارى فى دعواها قتْل عيسى، كذلك كذبت النواصب والخوارج فى دعواها قتل علىّ، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصاً مصلوباً شبّهوه بعيسى، وكذلك القائلون بقتل علىّ،رأوا قتيلاً يشبه علياً، فظنوا أنه علىّ، وعلىّ قد صعد إلى السماء، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه.

ويقول **الطبرى**: كان **عبد الله بن سبأ** يهودياً من أهل **صنعاء**، أمه سوداء. فأسلم زمن عثمان، ثم تنقّل فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذّب بأن محمداً يرجع! وقد قال الله عز وجل: «إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد» (القصص ٨٥)، ومحمد أحق بالرجوع من عيسى، فقبلوا ذلك عنه، ووضع لهم **الرجعة**، فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك أنه كان ألف نبى، ولكل نبى وصىّ، وكان علىّ وصىّ محمد. ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلىّ خاتم الأوصياء. ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ووثب علَىَ وصىّ رسول الله وتناول أمر الأمة. ثم قال لهم

بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصيّ رسول الله، فانهضوا فى هذا الأمر فحرّكوه، وابدأوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر.

وقيل إن ابن سبأ أو ابن السوداء كان فى الأصل يهودياً من أهل **الحيرة** فأظهر الإسلام، وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة، فذكر لهم أنه وجد فى التوراة أن لكل نبى وصياً، وأن علياً رضى الله عنه وصيّ محمد صلّى الله وعليه وسلم، وأنه خير الأوصياء، كما أن محمداً خير الأنبياء. فلما سمع ذلك منه شيعة علىّ قالوا له إنه من محبيك، فرفع علىّ قدره، وأجلسه تحت درجة منبرة، ثم بلغه غلوه فيه فهمّ بقتله، فنهاه **ابن عباس** عن ذلك، وقال له إنْ قتلته اختلف عليك أصحابك، وأنت عازم على العود إلى قتال أهل الشام، وتحتاج إلى مداراة أصحابك. فلما خشى من قتله نفاه إلى المدائن، فافتتن به الرعاع بعد قتل علىّ رضى الله عنه، وقال لهم ابن السوداء: والله لينبعن لعلىّ فى مسجد الكوفة عينان تفيض إحداهما عسلاً والأخرى سمناً، ويغترف منها شيعته.

ويقال لابن السوداء رداً على مزاعمه: ليس علىّ عندك وعند الذين تميل إليهم من اليهود أعظم رتبة من موسى وهارون ويوشع بن نون، وقد صحّ موت هؤلاء الثلاثة ولم ينبع لهم فى الأرض عسل ولا سمن، سوى ينبوع الماء العذب من الحجر الصلد لموسى وقومه فى التيه، فما الذى عصم علياً من الموت وقد مات ابنه الحسين وأصحابه، بلاءً وعطشاً، ولم ينبع لهم ماء، فضلاً عن عسل وسمن؟

وقال المحققون: إن ابن السوداء كان علَىَ هوىَ دين اليهود، وأراد أن يفسد علَىَ المسلمين دينهم بتاويلاته فى علىّ وأولاده، لكى يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى فى عيسى عليه السلام، وانتسب إلى **الرافضة** حين وجدهم أعرق أهل الأهواء فى الكُفر، ودلّس ضلالته فى تأويلاته.

وذكر **المقريزى فى الخطط**: أن ابن السوداء، وابن سبأ شخص واحد، والأوصاف التى يُنعت بها كل علَمَ من هذين هى الأوصاف التى يُنعت بها الآخر.

وذكر **الطبرى**: أن ابن سبأ قد بثّ دعاته، وكاتب من كان قد استفسد من الأمصار، وكاتبوه، ودعوا فى السّر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتُب يضعونها فى عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب كل أهل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرأ أولئك فى أمصارهم، وهؤلاء فى أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسرّون غير ما يبدون، فيقول أهل كل مصر إنا لفى عافية مما فيه الناس. وجاء معه محمد وطلحة من هذا المكان، فأتوا عثمان فقالوا يا أمير المؤمنين، أيأتيك عن الناس الذى يأتينا؟ قال لا والله، ما جاءنى إلا السلامة. قالوا فإنا قد أتانا-وأخبروه بالذى أسقطوا إليهم. قال فأنتم شركائى وشهود المؤمنين، فأشيروا علىّ. قالوا نشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم. فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة، وأرسل عمّار بن ياسر إلى مصر، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام، وفرّق رجالاً سواهم، فرجعوا جميعاً قبل عمار، فقالوا أيها الناس ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين، ولا عوامهم. وقالوا جميعاً الأمر أمر المسلمين، إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم، واستبطأ الناس عماراً حتى ظنوا أنه اغتيل، فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح يخبرهم أن عماراً قد استماله قوم بمصر، وقد انقطعوا إليه، منهم عبد الله بن السوداء، وخالد بن مُلجَم، وسُودان بن حُمران، وكنانة بن بشر.

وفى أخبار سنة ٣٠ يذكر **الطبرى**: أن ابن السوداء ورد الشام ولقى **أبا ذر**، وأنه هو

الذى بثّ فى نفسه فكرة أن المال مال المسلمين، وحرّكه إلى الدعوة إلى إشراك الفقراء فى أموال الأغنياء. وفى هذا الموضوع أيضاً ورد أن **أبا الدرداء** حين جاءه ابن السوداء قال له من أنت؟ أظنك والله يهودياً!

وفى أخبار سنة ٣٣ أن ابن السوداء ذهب إلى البصرة واجتمع بواليها عبد الله بن عامر الذى سأله من أنت؟ فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب رغب فى الإسلام ورغب فى جوارك، فقال ما يبلُغن ذلك. أخرج عنى! فخرج حتى أتى الكوفة فأُخرِج منها، فاستقر بمصر. وفى أخبار سنة ٣٦ يخرج عبد الله بن السوداء مع بن أبى طالب على رأس العمور.

وقرن المستشرق **فلهوزن** بين السبئية والرافضة، باعتبار السبئية الاسم الأقدم للرافضة، وقال إن السبئية تستمد فكرتها من **اليهودية**، لأن الأخيرة هى التى تقول بأن لموسى خليفة هو يوشع، وأن لكل نبى خليفة يعيش إلى جانبه أثناء حياته ويخلفه بعد مماته، وقد قال السبئية بأن علياً هو خليفة محمد، غير أن اليهود يطلقون اسم النبى أيضاً على الخليفة، بينما يطلق عليه السبئية اسم الوصىّ أو المهدى أو الإمام.

وقال المستشرق **جولدتسيهر**: إن فكرة **الرجعة** التى روّج لها ابن سبأ **يهودية مسيحية**، فعند اليهود والنصارى أن النبى إيليا قد رُفع إلى السماء، وأنه لابد أن يعود إلى الأرض فى آخر الزمان لإقامة دعائم الحق والعدل، ومن ثم كان إيليا هو النموذج الأول للإمام علىّ المختفى الذى قال به ابن سبأ، والذى سيعود يوماً ليهدى الناس وينقذ العالم.

ومن رأى المستشرق **فريد لاندر** أن فكرة **المهدية يهودية** الأصل ما فى ذلك شك، ولكن فكرة الموت الظاهرى للإمام ورجعته فى آخر الزمان قولٌ تدعيه **المانوية** وليس اليهودية.



سبينوزا Spinoza

(١٦٣٢-١٦٧٧م) أعظم من تصدى لقومه بالنقد فى أشهر كتبه «**البحث اللاهوتى**

السياسى» (سنة ١٦٧٠) مبيناً تهافت أسطورة الشعب المختار، فليس معنى أن اللّه قد فضّل العبرانيين فأعطاهم الشريعة وخاطبهم وكشف لهم عن نفسه كما لم يحدث لأمة أخرى، أنه استبعد الأمم الأخرى من علمه ورحمته، بل إن العبرانيين بالرغم مما أعطاهم الله لم يكونوا أصفياء فيما يتعلق بالحياة الحقة، ولذلك لم يقصر النبوة عليهم كما يزعمون، بل جعلها فى كافة الأمم، وهو ما يشهد به كتابهم نفسه، فكانت لكل الشعوب أنبياؤهم، ولم يعتن العبرانيون بتسجيلهم وتدوين قصصهم لأنهم لم يسجلوا فى كتبهم إلا شئونهم الخاصة، حتى جعلوها كتباً فى تاريخهم الوطنى. ولم يكن اختيار الله لشعب إسرائيل إلا لظروف تاريخية، أى أنها ظروف طارئة، فالتشريع يعنى نظاماً اجتماعياً ودولة، ولم يخضع اليهود للتشريع إلا أثناء قيام دولتهم، ولهذا السبب أختارهم الله كما اختار الكنعانيين من قبلهم، فلما سعى الكنعانيون وراء الشهوات ولم يطبقوا الشريعة تحوّل الله عنهم إلى مَنْ يطبقها، ولقد حذّر موسى العبرانيين من أن يرتكبوا المحرمات كما فعل الكنعانيون، وإلا قضوا على دولتهم، فلما تنكروا للشريعة، وهى ميثاق اللّه الأبدى، انهارت دولتهم، ولم يعد لهم الحق بأن يتيهوا بأنهم شعب اللّه المختار.

وحمل سبينوزا على التوراة، محللاً أسفارها، ومبيناً نصيب كل منها من الصحة التاريخية، ومؤكداً أن الذى كتبها إنسان **آخر** عاش بعد موسى بمدة طويلة، فلو كان **موسى** الذى كتبها لما تحدّث عن نفسه بضمير الغائب، وموسى لم يكتب سفر **التثنية** لأنه لم يعبر نهر الأردن، وبعض الأماكن سميت بأسماء مختلفة عما كانت عليه فى عصر موسى، والرواية مستمرة فى الزمان حتى بعد موت موسى، وكان موسى مكتوباً على حائط المعبد الذى لم يتجاوز اثنى عشر حجراً، أى أن السفر كان أصغر بكثير مما لدينا الآن، وكان موسى يقرأ سفر **العهد** على الشعب، وهو السفر الذى أملاه اللّه عليه فى جلسة قصيرة، مما يدل على أن ما كتبه موسى أقل بكثير مما لدينا

الآن. ثم شرح هذا السفر الأول، ودوّن شرحه فى سفر شريعة الله، ثم أضاف عليه يشوع شرحاً آخر، وقد ضاع هذا السفر الذى يجمع بين سفر موسى وسفر يشوع. أما السفر الأصلى فقد أُدخِل فى الأسفار الخمسة التى لدينا الآن، ولا يمكن التمييز بينهما.

ولم يكتب **يشوع** السِفر المسمى باسمه، بل كتبه إنسان آخر أراد كتابة سيرته وإثبات فضله وشهرته، وتمُتّ الرواية إلى ما بعد موته بقرون عدة، ويوجد جزء من هذه الرواية فى سفر **القضاة**، مما يدل على أنه كانت هناك روايات من قبل ضمت إلى العهد القديم باعتباره تاريخاً وطنياً لبنى إسرائيل أو سجلاً قومياً لهم.

ولا يظن أحد أن القضاة أنفسهم هم الذين كتبوا سفرهم، لأن مقدمة الإصحاح الحادى والعشرين تدل على كاتباً واحداً قد كتبه.

ولم يكتب **صموئيل** سفره، أن الرواية تمتد إلى ما بعد موته بقرون عديدة، ولم يكتب **الملوك** سِفرهم، بل أُخِذ السفر من كُتُب حكْم سليمان، وأخبار ملوك يهودا، وأخبار ملوك إسرائيل، وهى تروى قصصاً قديمة سابقة على عصر كاتب السفر، وقد كتب هذه الأسفار كلها مؤلف واحد أراد أن يقص تاريخ العبرانيين عند نشأتهم حتى تخريب المدينة الأول، ويتضح هذا من تتابع الروايات والربط بينها، ويظن سبيوزا أنه **عزرا**، لأن الروايات كلها تنتهى قبله، ويذكر عزرا فى السفر الذى يحمل اسمه أنه قد وهب حياته لتنقية الشريعة، وهذا ما يفسر لنا سرّ الإضافات على سفر التثنية كما لاحظ ابن عزرا، واختلاف صيغة الوصايا العشر فى التثنية عنها فى الخروج، وكذلك التغييرات التى طرأت على النص الأصلى.

وقد سميت الأسفار بأسماء الأنبياء، لا لأنهم كتبوها، بل لأنها تدور حولهم، فالأسفار **الخمسة** تدور حول موسى ثم نسبت إليه، والسفر **السادس** يدور حول يشوع فنسب إلى يشوع، ولم يكن عزرا هو من أعطى هذه الأسفار صيغتها النهائية، بل

اقتصر عمله على جمع الروايات من كتب أخرى، ونسخها ونقلها دون ترتيب أو تحقيق، مما يفسر وجود نفس الروايات بألفاظ مختلفة فى عدد من الأسفار، كما تثبت ألفاظ الرواية أنها كانت مكتوبة بعد أن حدثت الوقائع بزمن طويل، وأن العبرانيين الأوائل كانوا يجهلون لغتهم، وكان كل راوٍ مفسر حسب هواه، وهناك أخطاء كثيرة يدّعى المفسرون المتحذلقون أنها أسرار إلهية، فيؤولون النقاط والحروف والعلاقات، حتى المسافات البيضاء التى يتركها النساخ، وهذا كله ادعاء كاذب يناقض العقل فلا توجد أسرار كما تدّعى القبالة.

أما **التعليقات الهامشية** فهى صيغ مشكوك فيها، أراد الناسخ وضعها فى الهوامش لقراءات محتملة إذا التبست عليه الحروف، ولم يضعها الأنبياء أو الرواة كما يدّعى الفريسيون. فإذا فحصنا باقى أسفار الكتاب نجد أن سفر **أخبار الأيام** قد كتب بعد موت عزرا بمدة طويلة، وربما بعد إعادة بناء المعبد، ونعجب من إدخال هذا السفر فى الكتاب المقدس، واستبعاد سِفر الحكمة وسِفر طوبيا وغيرهما بحجة أنها منتحلة. وكذلك جُمِع **سفر المزامير** بعد بناء المعبد.

وأُخذت أسفار الأنبياء من كتب أخرى، وتتبع ترتيباً زمنياً مخالفاً لترتيب ظهور الأنبياء زمنياً، أو لترتيب ظهور كتاباتهم وأحاديثهم، كما أنها لا تحتوى على كل الأنبياء بل على بعض منهم، ولا يحتوى كل سفر على كل النبوة بل على أجزاء منها، فمع أن **سفر أشعيا** أسطورة إلا أنه ناقص، وتستمر نبوة أشعيا حتى بعد انتهاء السفر. **وسفر إرميا** خليط من نصوص بلا ترتيب ودون مراعاة للأزمنة، وبعض إصحاحاته من **سفر باروخ**، مما يدل على أنه لم يكن هناك فصل بين أسفار الأنبياء، كما يدل على وجود مصادر أخرى تتضمن روايات توضع فى هذا السفر أو ذاك، وهو ما يفسر تكرار النصوص فى الأسفار المختلفة. أماّ **سفر باروخ** فيقال إن إرميا نفسه هو الذى أملاه عليه. ولا يذكر سفر باروخ إلا جزءاً من نبوة باروخ وتدل الإصحاحات الأولى من

سفر **حزقيال** على أنه مجرد شذرات. أما **سفر هوشع** فقد كتِب بعد موت هوشع، ولا يذكر السفر إلا جزءاً من نبوته مع أن هوشع عاش نحواً من أربعة وثمانين عاماً. ولم يذكر **سفر يونان** إلا نبوته للنينويين مع أنه قد تنبأ أيضاً للإسرائيليين. أما **سفر أيوب** فيظن البعض أن موسى مؤلفه، وأن القصة مَثَل يُضرَب، وهذا رأى **موسى بن ميمون**. ويرى **ابن عزرا** أن القصة تُرجِمت إلى العبرية من لغة أخرى. ويفترض سبينوزا أن أيوب كان وثنياً.

وكتب **دانيال** سفره ابتداء من الإصحاح الثامن، أما الإصحاحات السبعة الأولى فمجهولة المؤلف، وربما كتبت باللغة الكلدانية. ويأتى **سفر عزرا** بعد سفر دانيال، ومن الأرجح أن كاتبيهما واحد. ويرتبط **سفر أستير** الأول بسفر عزرا، ويدل على ذلك طريقة الربط بينهما، وهو آخر غير الذى كتبه مردخاى، فقد فقد هذا السفر الأخير على ما يظن ابن عزرا، ومؤلفه هو نفس كاتب أسفار دانيال وعزرا ونحميا المسمى سفر عزرا الثانى. وإذن فمؤلف الأسفار الأربعة **دانيال وعزرا وأستير ونحميا** واحد، ومن المحتمل أنها من وضع الصدوقيين وهو ما يفسر رفض الفريسيين لها، وتحتوى على بعض الأساطير الموضوعة عن عمد، وقد تكون الغاية منها البرهنة على تحقيق نبوة دانيال ولكنها مملوءة بالأخطاء، ونقلت النُسَخ من أصول غير صحيحة وغير موثوق بها. وكذلك أخِذ **سفر المقابيين** الأول من أخبار ملوك اليهود التى عنى المؤرخون بتدوينها، وهى مذكورة فى سفر الملوك الأول، وأخبار الأمراء والأحبار مذكورة فى سفر نحميا وفى سفر المقابيين الأول.

ولم يحدث تقنين لأسفار العهد القديم قبل عصر المقابيين، وهم الذين وضعوا الأقوال فى الصلاة، ويشير الفريسيون إلى اجتماعهم لأخذ قرار التقنين عليها بما يتفق مع عقائدهم.

وكان واضحا أن **سبينوزا** مطلّع على ديانته، عارفٌ بوجوه التقصير فيها، والواقع

أنه نشأ فى بيت دينى، فأبواه، رغم جنسيته الهولندية، من يهود المارانو البرتغاليين، وهم طائفة اضطرت إلى اعتناق المسيحية تقيةً، فلما سنحت لأفرادها فرصة الهجرة بدينهم عادوا إلى يهوديتهم. ولقد تلقى سبينوزا تعليماً دينياً ولكنه اتجه إلى دراسة الفلسفة، وتأثر بالتراث اليهودى خاصة عند ابن جرشون وابن ميمون وسعدى الفيومى وقريشقش، ولم تعجبه التفسيرات التى خالطتها الأفلاطونية المحدثة وعابها بشدة، واتجه اتجاهاً عقلياً علمياً، وحاول تطبيق منهج ديكارت فى مجال الدين من غير التوصل إلى نتائج ديكارت، وبينما انتهى ديكارت إلى إثبات وجود الله، فإن سبينوزا يستخدم المصطلح دون مضمونه التقليدى، فيساوى بين الله والطبيعة، وكان حريصاً على استخدام مجموعة من التعبيرات التقليدية مثل إطاعة الأوامر الإلهية والحب الإلهى وتقوى الله، إلخ، ولكنه يستخدمها بمعان جديدة فى تركيبات توحى بأنها مازالت محتفظة بمدلولاتها القديمة، وهو ما يسمونه عنده **منهجه الهندسى القائم على طريقة المعادلات فى التعبير**، بأن يغلف المعانى الجديدة فى ألفاظ مألوفة لها فى أذهان الناس ارتباطات انفعالية قوية، والواقع أنها ليست أسلوباً مستحدثاً كما يزعمون، **ولكنها طريقة اليهود من القباليين**، وترجع إلى ظاهرة التخفى فى التعبير عن الآراء، وهنا نلمس تأثير انتماءاته اليهودية، ولئن بدا متحرراً وعلمانياً إلا أنه ما يزال يفكر كيهودى، وسبينوزا وإن طرح عن نفسه الأسطورة الدينية، إلا أنه استطاع أن يجلو الفكرة الأساسية فى اليهودية، وهى فكرة **اللامتناهى**، ولكنه عنده هو الجسمى المادى، وهو ليس سوى **الطبيعة**، ذلك لأن هوية الله مع الطبيعة تلغى فكرة الله ولا تستبقى سوى الطبيعة، ومذهبه بذلك يعد «**أفجر إلحاد عرفه العالم**» كما شاء لمؤرخه **كوليروس** أن يصفه، غير أن أسلوب التخفى الذى استخدمه استطاع أن يخدع الكثيرين ومنهم هيجل نفسه، فحسب من كثرة ترديد لفظ الله أن سبينوزا من المؤمنين، وأن مذهبه هو **لا كونية** أو **لا طبيعية**، بمعنى أن الكون فيه لا وجود له فى ذاته، لأن كل

ما يوجد فى الكون إنما يوجد فى اللّه، ومن ثم يكون اتهام سبينوزا بالإلحاد مخالفاً للحقيقة، **«فلدى سبينوزا من اللّه أكثر مما ينبغى»**، ولكن الواقع أن سبينوزا كان ملحداً، وإلا فلماذا اعترض على فكرة **حرية الإرادة**؟ ولماذا سعى إلى القضاء على **ثنائية النفس والجسم**؟ ولماذا أكد الحتمية وسيادة العلّية وحمل بقوة على كل تفسير من خلال فكرة العَرَضية أو الاتفاق؟ ولماذا حارب فكرة **الغائية**؟ ولا يمكن أن يُظَن أن مذهب سبينوزا وقد وحّد فيه بين اللّه والطبيعة هو مذهب فى **وحدة الوجود**، ولكنه بتعبيره **مذهب واحدى** monistic يقول إن هذا العالم هو كل ما فى الوجود، ويركز جهود الإنسان فى معرفة هذا العالم الطبيعى دون غيره. واستمد سبينوزا واحديته من إدراكه للضرورة الشاملة المتحكمة فى الكون، والتى تستبعد القول بأى كائن يعلو على الطبيعة، أو أية غاية تتجاوز نطاقها. ومعنى الضرورة أن الظواهر إذا ما نظر إليها فى ذاتها دون إقحامٍ لعلل خارجية فيها، تكون منظمة خاضعة لقوانين مستمدة منها ومعبرة عنها، ولا تحدث الظواهر الفردية اتفاقاً بل ينبغى أن تكون لها علّة تفسرها، وأنه حتى فى الحالات التى لا يستطيع فيها العلم أن يحدد هذه العلة، لأن تطوره لم يصل إلى ذلك بعد، ينبغى من حيث المبدأ أن نعترف بضرورة وجود هذه العلة والقانون الذى يحكم العلاقة بين الظواهر وعللها.

ويعرض سبينوزا لمشكلة **الضرورة والحتمية** فى **«الرسالة القصيرة»** من خلال مصطلح العصور الوسطى فيقول: هل يستطيع اللّه أن يفعل غير ما فعل؟ ويرد على السؤال بنفس لغة المدرسيين بأنه ليس من الكمال الإلهى أن يفعل الله غير ما فعل، وأنه حتى لو أحدث تغييراً فيما ظل يسير عليه لما كان هذا دليلاً على المزيد من القدرة. وينتهى من ذلك إلى أن اللّه كان لابد أن يفعل مافعل وأن الحرية الاعتباطية لا يمكن أن تكون من صفات اللّه، ويؤكد ضرورة أحداث الطبيعة نافياً عنها كل القيم العرضية. غير أنه يفرّق بين **الطبيعة الطابعة** natura naturans **والطبيعة المطبوعة** natura natu-

rata» فيقول «إن الطبيعة الطابعة هى ما يوجد فى ذاته وما يتصور بذاته، أعنى بها الله بقدر ما يعدّ علّة حرة. والطبيعة المطبوعة هى كل ما يتلو من ضرورة طبيعة الله أو أى صفة من صفاته بقدر ما تعدّ أشياء توجد فى الله ولا يمكن أن توجد أو تُتصور من دونه». ويعنى سبينوزا بذلك أن **الطبيعة الطابعة** هى نظام الأشياء الشامل من حيث أنه وجود ضرورى ولا يمكن أن يُتصور بغيره، لأن شيئاً لا يخرج عنه، كما أن العلّية فيه باطنة. أما **الطبيعة المطبوعة** فهى الجزئيات أو مكونات العالم من حيث هى تعبير جزئى عن الصفات الشاملة للجوهر. وإذا كان هناك شىء هو علة ذاته أى لم ينتج عن علة خارج ذاته، فهذا الشىء هو مجموع الطبيعة الذى لا يمكن تصوره إلا موجوداً. وفى الطبيعة تكون العلية داخلية بحق، فهذا المجموع الكلى للأشياء ينطوى فى ذاته على كل ما يمكن أن يطرأ على الأشياء من تغيرات، وفى قوانينه الأزلية توجد بالقوة بذور كل تغير أو حادث ممكن فى العالم، وهو ذاته قديم لا يمكن أن يكون من صنع حقيقة خارجة عنه. وسبينوزا بذلك من **الدهريين أو الطبيعيين**، ولذلك حاولوا اغتياله، وطردته طائفته وأصدرت عليه حكماً بالحرمان (١٦٥٦)، مع أن فلسفته فى جملتها تتفق والتراث اليهودى، وكما يقول **فرويدنتال** مؤرخه «إن نظرة سبينوزا إلى الطبيعة كانت مماثلة لنظرة اليهود إلى إلههم، فالطبيعة المؤلهة كانت كإله اليهود أشمل وأكمل موضوع لحبنا، وهى الموضوع الذى نهب له أنفسنا بكل ما نملك، وفى ذلك تكون الطاعة الحقيقية لله، وكذلك خلاصنا وسعادتنا الأزلية»، أو كما يقول **بروشار** ناقده «إن إله سبينوزا هو الإله اليهودى يهوا بعد إدخال تحسينات عليه»، وهذه التحسينات هى جواز المرور الذى من خلاله استطاع سبينوزا أن يمرر يهوديته إلى العالم، واستطاع أن يجعل بها من اليهودية **فلسفة عالمية**، وكما يقول ناقده **جرونسكى** «إن كتابه **«الأخلاق»** توراة جديدة تصلح للناس جميعاً»، ولذلك فإن سبينوزا عندما نبذه قومه غيّر صيغة اسمه من **باروخ** إلى **بندكت** Benedict وهى المقابل اللاتينى لباروخ العبرية، بل

وكانت اللغة التى آثر أن يكتب بها مؤلفاته هى **اللاتينية**، فكأنه استبدل القومى بالعالمى، وكانت نزعته عالمية، فلمّا تأكدت مكانته من هذا السبيل واختلف المفسرون بشأن فلسفته، عمد اليهود إلى إعادة ضمّه حتى أن **بن جوريون** كتب يقول: إن طرد أحبار أمستردام فى القرن السابع عشر لسبينوزا لا يمكن أن يحرم الأمة اليهودية من أعظم مفكريها وأكثرهم أصالة».



سعدى Saadiah

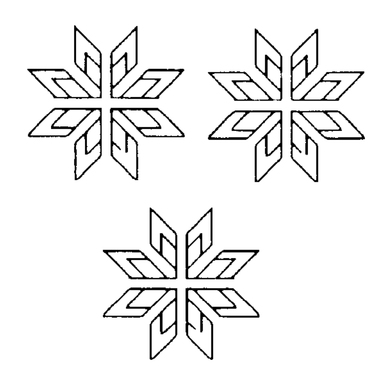
(٨٨٢- ٩٤٢م) **سعاديا** أو بالأحرى **سعدى بن يوسف الفيومى**، مصرى ولد بالفيوم من أعمال الصعيد، وثقافته عربية، وكتابه الرئيسى «**الأمانات والاعتقادات**» ألّفه بالعربية، ويبدو فيه شديد التأثر بالمدرسة **الكلامية** عند المعتزلة، وهو ينحو نحوهم فى تفسير التوراة، وهناك تشابه كبير بين تفكيره وفلسفة **محمد بن زكريا الرازى**، ويستخدم سعدى حججه ليبرر بها شرعية النبوة ووحدانية الله، ويذهب مذهبه فى تفسير الوحى، ولايرى تعارضاً بين الدين والعقل، ويقيم تأويلاته على التفكير العقلى، ولذلك جاء تفسيره العربى للتوراة به بعض التكلف، فقد أراد أن يدافع عن العقيدة اليهودية، ويقوى بمذهبه جانب التنزيه فيها، ويخفف من غلواء التجسيم والتشبيه فى التوراة، وتطلّب منه ذلك أن يستعين بأدوات التفكير والمعرفة فى وقته وهى **الفلسفة الإسلامية**، المتأثرة إلى حد كبير بالفلسفة **الأرسطية** ذات الصفة **الأفلاطونية** عند العرب، وقد نجح سعدى بهذه الطريقة فى التوفيق بين معطيات التنزيل ومذاهب التأويل العقلى دون صدام عنيف ولا تحريف خطير.



السموءل Samau'al

السموءل بن يهوذا المغربى الحكيم، قال القفطى إنه من الأندلس، ومات بالمراغة قريباً من سنة سبعين وخمسمائة، قرأ فنون الحكمة، وقام بالعلوم الرياضية وأحكم

أصولها وفوائدها ونوادرها، وكان عددياً هندسياً هيئياً، وله فى ذلك مصنفات، وأسلم فحَسُن إسلامه، وصنّف كتاب «**بذل المجهود فى إفحام اليهود**» فى إظهار معايب اليهود وكذب دعاويهم فى التوراة، ومواضع الدليل على تبديلها، وأحكم ما جمعه فى ذلك، وتصدى له بالرد **ابن كمونة** فى كتابه «**تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث**».





الشبتيون Shabbetaians

فرقة من **الحلولية المبطلة**، عطّلوا الشرائع وأباحوا المحرمات بدعوى أن الداعى **شبتاى تسفى** Shabbetai Tzevi (١٦٢٦- ١٦٧٦) هو المهدى المنتظر الذى هو عندهم المسيح، وأن نزوله إلى الأرض يعنى رفع الخطيئة والقضاء على الشر، فلا تعود ثمة حاجة إلى الشريعة ولا يكون هناك محرّم ومباح.

وشبتاى **تركى أزميرى** قيل إنه كان يشكو أمراضاً عصبية وتنتابه حالات من الهوس والاكتئاب، وأنه كان يتزوج ويطلق دون أن يقرب النساء، وأنه لم يبق على ذمته منهن إلا بغياً طار صيتها فى البغاء. وقيل إنه حدد الثامن عشر من يونيو عام ١٦٦٦ تاريخاً لبداية **العصر المسيحانى** حيث يعم العدل والسلام البشر أجمعين بعودة شعب إسرائيل إلى الأرض. ولمّا قبضت عليه السلطات التركية بتهمة تعكير الأمن واستحداث فتنة دينية ارتضى الإسلام ديناً وتسمّى باسم **عزيز محمد أفندى**، وبذلك استّن لشيعته سنة **التقية**، وبرّرها لهم المنظّر للمذهب الشباتى المدعو **ناثان الغزاوى**، فقال إن القبالة تدعو إلى محاربة الشر، ولو اقتضى ذلك من المخلّص أن يرتدى مسوحه، لينفذ إلى معسكره وينازله بسلاحه فيقضى عليه فى عُقر داره. وقال شبتاى إنه لم يعتنق الإسلام إلا لهذه الغاية، **والإسلام** عنده هو التوراة التى يقبلها نفاقاً، فى مقابل التوراة الحقيقية التى يقبلها صدقاً، ومع ذلك فهو قد نسخ هذه التوراة الأخيرة بتعاليمه التى ناقض بها الناموس، وأملى عى مريديه كتاباً بعنوان **«سرّ العقيدة الصحيحة»**، شرح فيها أصول دعوته كما استخلصها من كتاب الباطنية المسمى **«الزهار»**، وقال إنها الإيمان **بإلهين**، واحد للعالمين وآخر لليهود، والاعتقاد **بالشخيناه** Shekhinah، وهى حضور اللهّ أو حلوله فى الشعب، ويزيد فيقول إن رب العالمين هو العلّة الأولى، ومنه كان

إله إسرائيل العلّة الثانية، وبنعمته أى إله إسرائيل كان الوجود والموجودات، فاضا عنه بما يسمى عندهم «الزمزمة Zimzum» أى انكماش الإله على نفسه، وبذلك سمح بفراغ شغلته المخلوقات.

ولما مات شبتاى ادّعى **ناثان الغزاوى** أنه لم يقض كالناس ولكنه رُفِع، وقد ساح فى الفضاء وانتشر مع الضياء العلوى. ولناثان كتاب فى المذهب هو «**سفر البرية**» يقول فيه **بالفيض**، ويزيد نظرية الإلهين فيقول إنهما إله واحد لكنه مركب من **نقيضين**، فهو نور، ولكن من نوره العامل ومنه العاطل، **والعامل** فعّال أبدع المخلوقات، والعاطل هو مبدأ السكون، وهو ينفذ إلى المخلوقات فيقضى عليها بالسكون أى بالموت، فهو عنصر الشر، وهو لا يصنعه لأنه محب للشر، ولكن لأنه مبدأ الموت، ولن يتوقف فعله إلا بنزول المسيح فيرتفع الفناء.

وقد خلفه على المذهب المدعو **كاردوزو**، وكان على عداء مع الفلسفة والفلاسفة، وكان على رأى القائلين إن الفلسفة ضد الدين، وزاد العلّة الأولى توضيحاً فقال إنها **العقل** إله الفلاسفة، والذى يتعبده وثنى، ووصف العلّة الثانية بأنها إيمانية، وهى الإله الحق، إله **الأنبياء** من الأسلاف، وإله الشعب، ونبّه إلى الخلط الذى يتردّى فيه فلاسفة من اليهود كسعدى الفيومى والميمونى.

وغلاة الشبتية هم **الدونمه**، وفرقتهم بتركيا تَدّعى الإسلام، ومنهم طائفة تسمى **الباروخية**، تنسب إلى **باروخيا روسو** أو **المبارك روسو**، قال بألوهية شبتاى، ثم قالت شيعته بألوهيته هو نفسه.

وقد قيل إن **الشبتية** مذهب أريد به أصلاً تقويض الإسلام كما يقول صاحبه، أو تقويض كل الديانات الكتابية وإقامة **ديانة علمانية**، وأنها أساس الدعوات اللاحقة **كالفرنكية** التى هدفت إلى تقويض النصرانية من الداخل كذلك، **والماسونية**، وقيل إن

الدونمه كانوا وراء حركة **مصطفى كمال أتاتورك** الذى فصل الدين عن الدولة وأنهى الخلافة الإسلامية فى تركيا.



شتانهايم Steinheim

(١٧٨٩ - ١٨٦٦) **سليمان شتانهايم**، ألمانى، يقابِل بين الوحى والعقل، ويفصل الدين عن الفلسفة، ويعّرف **الفلسفة** بأنها مبحث أحوال الوجود على مقتضى العقول، بينما **الدين** تنزيل يُوحِى به رب العالمين، وهو واحد أحد، وكل ذلك ضد العقل الذى لا يقر بإمكان الخلْق من العدم. ويقول شتانهايم **بالضرورة، والحقيقة** عنده مزدوجة، ومن ثم كان البحث فى الله على مذهب القدماء أوْلى بالمباحث الدينية من الفلسفة، لأنه البحث فى الكلام على قواعد **الشرع**، وليس على مقتضى العقل.



شستوف Shestov

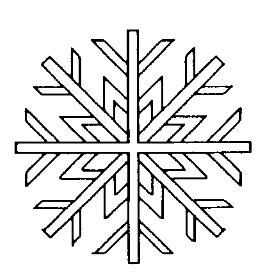
(١٨٦٦ - ١٩٣٨) **لاوى شستوف**، الاسم القلمى **للاوى إسحق، وجودى** روسى من كييف، رفض **الشيوعية** وهاجر إلى باريس (١٩٢٢)، ووجوديته **يهودية الطابع** وضد الوجودية المسيحية التى يمثلها **كارل ياسبرز**. وهو لا يُرجع الفرق بين اليهودية والمسيحية إلى الفرق بين العهدين القديم والحديث أو التوحيد والشرك، ولكنه الخلاف فى الطريق المؤدى إلى الخلاص، وهو، أى طريق الخلاص، فى اليهودية **الوحى**، وفى المسيحية **التأمل**، والوحى يرمز إليه **بالقُدس**، والتأمل العقلى **بأثينا**، والإنسان أكبر من أن يكون طريقه للخلاص طريق التأمل العقلى، ولقد فشل الطريق الأثينى حتى الآن، ومن أجل ذلك فشستوف ضد **المسيحية لأنها** أثينية الطابع، وضد كل **الفلاسفة** من اليهود والمسيحيين الذين يصبغون الدين أو الفلسفة بالصبغة العقلية، وهو ضد **فيلون** الفليسوف اليهودى، كما هو ضد **الأكوينى** الفليسوف المسيحى، وضد **هوسرل**

الفيلسوف اليهودى مؤسس فلسفة الظواهر، **لأنه** أراد تحويل الفلسفة إلى علم، وفى رأيه أن الفلسفة يجب أن تتوجه أساساً إلى البحث عن إجابات لما يعسر على العقل أن يجد له إجابة، وهى أسئلة تتجاوز الإجابة عليها قدرات العقل، وتمثلها صرخات **النبى أيوب** التى كان يودعها عذاباته المنطلقة من أعماق تجربته المباشرة كإنسان، **ولم يكن خلاص أيوب بالعقل، ولكنه كان بالإيمان**، وطريق الخلاص عند شستوف **تجربة وجودية إيمانية**، تستهدى التوراة، وتستهدى تجربة أبطاله الإيمانيين، وتقتدى بالنبيين **إبراهيم وأيوب**.



الشماسون Sampsaeans

بتشديد الميم، طائفة انفرعت عن فرقة **الكسائيين**، قيل لم يكن أصلهم من اليهود ولكنهم تهوّدوا بمشايعة **الكسائى**، ولكن الكسائيين نفروا منهم لأنهم لم يكونوا يهوداً، وقيل بل لأنهم فى الأصل لم يكونوا يهوداً فقد ترفعوا على اليهود، وأطلقوا على أنفسهم اسم الشمّاسين أى **الشموس الزاهرة**، لأنهم تبوأوا الصدارة عند الكسائيين، وقيل كانوا يؤمنون بإله واحد، وأنه من الماء جعل الله كل الأشياء الحية.





باب الصاد

الصدوقيون Sadducees

نسبة إلى **صدوق** أو **صادق** أو **الصادق** رئيس الكهنة أيام داود وسليمان. وفى عائلته حفظت رئاسة الكهنوت حتى عصر المقابيين، فسمى خلفاؤه وأنصاره صدوقيين، أو بمعنى أصح الصادقين، وكانوا ضد تقليد الآباء، على عكس الفريسيين خصومهم، ومالوا إلى **الفلسفة اليونانية** وخاصة فلسفة أرسطو، وكانوا **عقلانيين وظاهريين**، فقالوا بحرية الإرادة، والقدرة على عمل الخير ومدافعة الشر، وأنكروا وجود الملائكة والروح، ورفضوا الإقرار بالقيامة والثواب فى الجسد، بدعوى أن النفس تموت مع الجسد وأن النص التوراتى يخلو من أى إشارة إلى معاد وحساب. وكانت الصدوقية فى جزيرة العرب قبل بعثة الرسول بجهة اليمن، وكانوا يقولون من بين سائر يهود الجزيرة أن **عزير** ابن الله. واسم عزيْر اختصار لاسم عزريا، ومعناه بالعبرية «من أعانه يهوه»، وربما لم يكن اسمه على الحقيقة ولكنه أُعطى له بالنظر إلى أفضاله التى صنعها لليهود، فقد صالحهم على الفرس، وأعادهم إلى القدس حوالى سنة ٤٥٨ ق.م، وأعاد بناء الهيكل، وقرأ ناموس موسى، وأسس النظم المتأخرة، ومن أجل ذلك كان عندهم الصادق، وهو الذى جمع أسفار الكتاب المقدس ونظّمها، واستحضر الأحرف الآرامية المربعة الشكل، وهو أول كاتب عندهم، وأوصى بتنقية الدم اليهودى، فلا عجب أن جعلوه أول رئيس لهم، وبوأوه مكاناً علياً حتى قالوا فيه إنه ابن الله. وقصة حياة عزرا مستفيضة فى سفرى عزرا ونحميا.



الصديقية Zaddikism

(أنظر الحسيدية والقبالة).



الصهيونية Zionism

عقيدة ومنهج عمل، تستند إلى التوراة، وتقوم على القول بأفضلية اليهود على العالمين، بدعوى تعهدٍ قطعه الله على نفسه لنبيه إبراهيم، حيث أمره الله بالتوجه من أرضه في بلاد ما بين النهرين إلى أرض كنعان لتكون له أرضاً: «إنطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك إلى الأرض التي أريك» **(سفر التكوين، الفصل الثاني عشر)**، «وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك مدى أجيالهم، عهد الدهر، لأكون لك ولنسلك من بعدك، وأعطيك أرض غُربتك لك ولنسلك من بعدك، جميع أرض إلهاً كنعان، ملكاً مؤبداً، وأكون لهم إلها. وقال الله لإبراهيم: وأنت فاحفظ عهدي، أنت ونسلك من بعدك مدى أجيالهم. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك: يُختَتن كل ذَكَر منكم» **(الفصل السابع عشر).**

وتقوم الصهيونية على الاعتقاد بأن إبراهيم ونسله من بعده قد اختّصوا الله بعبادتهم، فاختّصهم الله بعهده، وهو عهد علامته **الختان**، حصره اليهود في اللحم، وفسّروه بأنه عقد من طرف واحد، قد دخله الله فألزمه للأبد، واختار فيه اليهود لرسالته الخُلقية، تتحقق بهم سيطرة القانون الأخلاقي المطلق في العالم، وهم طبقاً لهذا التبرير **شعب الله المختار**، لأنهم باختصاصهم قد صاروا أمة تقوم على التوراة، والتوراة هي القانون الخُلُقي المطلق. ومن ثم فهم يُضربون مثلاً للكمال الخُلُقي في العالم.

والردّ عليهم: أنهم بالرغم من تشدّقهم بعبادة الله، وأنهم قد اختصّوا بهذه العبادة حتى استحقوا أن يختصّهم بعهده، فإنهم كانوا أكثر الشعوب تمرداً عليه وكفراً به، وقد جاء فى **سفر يشوع** «أخشوا الرب واعبدوه بكمال وأمانة، وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم فى عبر النهر وفى مصر واعبدوا الرب». وجاء فى **سفر القضاة** «فسكن بنو إسرائيل فى وسط الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفريزيين والحويين واليبوسيين، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء، وأعطوا بناتهم لبنيهم، وعبدوا **آلهتهم**، فعمل بنو إسرائيل الشرّ فى عينىّ الرب، ونسوا الرب إلههم وعبدوا **البعليم والعشتاروت**» (الفصل الثالث ٥-٨). وجاء فى **نبوءة إرميا** «بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا، وبعدد شوارع أورشليم وضعتم مذابح للخزى ومذابح للتبخير للبعل» (الفصل الحادى عشر ١٠-١٣). وقال الله على لسان **إرميا** «كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتونى يا بيت إسرائيل» (الفصل الثالث ٢٠)، «لأنهم من الصغير إلى الكبير، كل واحد مولع بالربح، من النبى إلى الكاهن، ولم يخزوا خزياً ولم يعرفوا الخجل، غاظونى بأصنامهم» (الفصل الثامن ١٩)، ومن ثم فإن اليهود يكونون قد **نقضوا العهد** فلم يعبدوا الله وحده، ولم يقوموا بواجب **الالتزام الخلقى العام** الذى هو التوراة، وهما الشرطان اللذان يتم بإنجازهما وفاء الله بهذا العهد المزعوم، وبناءً عليه يُنقَض الاختيار، إذ أنهم أشركوا ولم يمتثلوا للقانون.

غير أن فلاسفة الصهيونية يدّعون أن هذا الاختيار من قِبَل الله لليهود غير قابل للنقض، سواء التزموا بعبادته وحده ونهضوا بأعباء القانون الخلقى، أو لم يفعلوا كل ذلك أو بعضاً منه، لأن الله هو القائل «ليس لأجل برّك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم، بل لكى يفى الرب بالكلام الذى أقسم عليه لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب، فاعلم أنه ليس لأجل برّك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها» (**سفر التكوين** ٩) ، ومن ثم فإن هذا الاختيار لم يكن له سبب سوى أن الله هو الذى

أراده، فهو متعصب لليهود، وهو يحب هذا الشعب رغم «صلابة رقبته».

ويقر هؤلاء الفلاسفة **بالعنصرية** فى التوراة، وينسب غيرهم إلى هذه العنصرية عزلة **اليهود** فى المجتمعات التى عاشوا فيها، وعدم توافقهم الذى تتسم به **الشخصية اليهودية**، ويردّونه إلى هذا التعليل: أن اليهودى لايمكن أن يكون نفسه إلا فى أرضه فلسطين، وأنه لا يمكن أن يعبد الله إلا عليها، وقد ورد فى المزامير على لسان النبى داود «الرب قد اختار صهيون، اشتهاها مسكناً له، هذه هى راحتى إلى الأبد، ها هنا أسكن لأنى أشتهيها، طعامها أباركه بركة. مساكنها أشبعها خبزاً، كهنتها ألبس خلاصاً، واتقياؤها يهتفون هتافاً، هناك أنبت قرناً لداود، رتبت سراجاً لمسيحى» (١٣١: ١٣-١٧)، وفلسطين إذن مقدسة لأنها **مسكن الله**، ولا يجوز أن يُعبَد يهوه إلا فيها، وفلسطين هذه المقصودة هى الأرض التى عليها قامت مملكة داود، ومملكة داود لذلك هى مشيئة الله فى أرضه، وهى مملكته التى اختارها مقراً ومعبداً، والتطلع لقيامها من جديد عند هؤلاء الفلاسفة هو تطلع إلى تحقيق **مشيئة الله**، وهو لذلك تعبُّد.

والصهيونى عندما يقرأ تاريخ هذا الشعب فى الكتاب المقدس لا يقرأ مجرد التاريخ. ولكنه يعايش فلسفته، ويتدين بهذه القراءة ويصلّى، فالصلاة ليست سوى معاناة لأعمق المشاعر الدينية. وهذه القراءة هى أعماق الصهيونى، لأنها تربط بين معصية أورشليم وظلمها، والتنبؤ بأن العدو سيدمرها لهذا السبب ويبيد شعبها، ما عدا قلة صالحة، بها يبقى الشعب ويستمر، وبين البشارة بأن يهوه سيرسل فى القريب من أجل هذه البقية الصالحة مخلّصا من بيت داود، صفيّة الثانى بعد إبراهيم، يقوم بالمعجزة فيعيد اليهود إلى فلسطين، ويسترجع مجد دولة داود.

وينهض البناء **الفلسفى للصهيونية** على هذا التعصب للعنصر اليهودى، وعلى تفسير **معصية أورشليم** بأنها التحول عن يهوه ومبادىء مملكة داود، وهو الشىء الذى يستحق عقاب يهوه، ولكنه مع ذلك لن ينسى شعبه. وهو يلوم هذا الشعب ويؤنبه، ولكنه

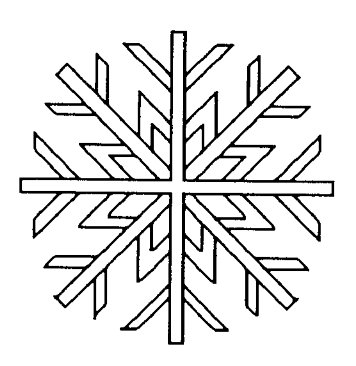
لا يقضى عليه نهائياً. **وأحداث التاريخ** يراها الصهيونى لهذا السبب لا كأحداث تاريخ لها مسبباتها ونتائجها التاريخية، ولكن كأحداث غيبية إلهية، كجزاء وعقاب، لأن اليهودى الذى لم يمتثل لأمر يهوه هو هذا اليهودى الذى خان عنصريته، فاختلط بالأمم وصاهرها وأخذ بثقافتها، فاستحق لذلك العقاب. ولكن إذا كانت الأغلبية قد أخطأت فهناك البقية الصالحة التى تحدثنا عنها. **ونظرية البقية الصالحة** مقولة إسلامية الأصل، أخذها اليهود عن المفكرين المسلمين، كنظريات أخرى كثيرة، ووظفوها سياسياً لخدمة قضية الصهيونية، مثل **نظرية الثقَلين، ونظرية الدورات التاريخية، ونظرية عالم اليسار أو أهل اليسار إلخ** (أنظر القبالة والحصيدية)، فقد ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم «إن الله ليُصلِح بصلاح الرجل المسلم ولدَه، وولد ولده، وأهل دويرته، ودويرات حوله، ولا يزالون فى حفظ الله عز وجل ما دام فيهم»، وقال «لا يزال فيكم سبعة، بهم تُنصَرون، وبهم تُمطَرون، وبهم تُرزَقون، حتى يأتى أمر الله»، وقال «الأبدال فى أمتى ثلاثون، بهم تُرزَقون، وبهم تُمطَرون، وبهم تنتصرون».

وتقول **النظرية اليهودية** أنه مهما تحوّل الشعب اليهودى عن يهوديته، ومهما عصى أوامر يهوه، وخالف فى طقوسه وعاداته ما رسمه له كهنة داود، فإن **بقية** منه لن تتحول وتنحرف وتضل، بل ستبقى على عنصريتها، وستكون أداة تمكين العنصرية واستمرارها، وطالما هناك هذه البقية الصالحة المتعصبة فالهلاك الكلى ليس ضرورياً، والخلاص للجميع ممكن على يد بطل من هذه البقية الصالحة، أو من خيارها آل داود، وهو الماسيح أو الماشيح المخلّص أو **المهدى المنتظر**، والفلسفة الماسيحانية أو الماشيحانية أو **نظرية المهدى المنتظر** هى حركة ترقّب مجيء هذا المخلّص الذى يعيد اليهود إلى فلسطين كإعادة زرع النبتة فى أرضها، ويسترجع دولة داود المِثال الذى يجب أن يُرجَى تحقيقه ليعّم العدل العالم، فيرضَى اللّه، فتثمر الأرض لبناً وعسلاً.

والصهيونية هى إذن **فلسفة الرجعة اليهودية**، تستقى من الدين اليهودى بوصفه **دين المنفيين**، فقد نشأ فى المنفى واختُص باليهود كمنفيين، واختُصوا به. **والصهيونية هى الاعتقاد: أولاً**: بأن الله قد اختار العنصر العبرى باختياره إبراهيم ليكون منه شعب الله، **وثانيا**: بأنه قد أعطى ميثاقه لهذا العنصر، وهو ليس عقدا بل عهدا لأنه من جانب واحد، وهو عهدٌ أزلى لا يُنقَض، **وثالثا**: أنه تنفيذا لهذا الميثاق أخرج الله العنصر العبرى من مصر وأنقذه من فرعون، وأهلك أهل فلسطين من أجله، وأسكنهم أرضهم وملّكها لهم، **ورابعا**: أنه قد اختار داود ليحقق به هذا العهد بإنشاء دولة داود، وقد جدّد له هذا العهد بأن هذه **الدولة الإلهية** لن تزول، وبذلك جعل الله للعنصر المختار ملكا (بضم الميم) وأرضا ودولة، هى هذا الملك وهذه الأرض وهذه الدولة، **وخامسا**: أن هذا العنصر العبرى قد انحرف وضلّ عن الطريق، فأفلت منه المُلك، وآل للأمم، ولكن هذا المُلك لله أولا وأخيرا، ولقد قضى الله منذ الأزل أنه من نصيب شعبه، ومن ثم فلا خوف من ضياعه، **وسادسا**: أن هذا العنصر العبرى سيظل لذلك يتطلع أن يعيد الله هذا المُلك لهذا الشعب كما قضى فى كتابه، وسيكون تطّلع هذا الشعب لاسترجاع هذا المُلك بكل عقله وقلبه. **وسابعا**: أنه لا يشك للحظة أنه سيستعيده، وهو لابد مسترجعه، لأنه لم ينحرف كله. فهناك بقية منه صالحة، وبها يصدق وعد يهوه بأن ملك العنصر العبرى، الذى هو مُلك الله، لن يزول. **وثامنا**: أنه يتبقى أن يترجم الشعب هذا الأمل إلى حقيقة، بالإرادة الفعّالة والعمل الإيجابى المخطط.

والصهيونية: هى هذه المقولات **السبع** الأولى العقائدية، والمقولة **الثامنة** العملية التى تستهدف تحويل ما فى العقل والقلب إلى واقع تاريخى. وليس **الله** فى الصهيونية، طبقا لما سبق، إلا إلها قد استعبده اليهود لأهدافهم السياسية، وهو إله مُستعبَد يعمل

لخيرهم وحدهم وإنْ كان هذا الخير لا يتأتى إلا بإلحاق الأذى بالشعوب الأخرى، حتى وإن ثبت أنها شعوب تؤمن بالله الواحد وتعمل بشريعته. **والصهيونية من ثم هي حركة هذا الإله اليهودي في التاريخ العالمي.**





عقنين Aknin

(نحو ١١٥٠ - ١٢٢٠) **يوسف بن يهوذا بن يعقوب بن عقنين**، من دائرة الثقافة الإسلامية، ولد ببرشلونة الأندلس، وأقام بفاس المغرب، وفيها التقى بموسى بن ميمون فى رحلته من الأندلس إلى مصر، وهو غير يوسف بن يهوذا **بن شمعون** المشهور بيوسف **بن عقنين** تلميذ موسى بن ميمون.

ومعظم مؤلفات ابن عقنين بالعربية، وله «**رسالة الإبانة فى أصول الديانة**» فى الجبر والقدر، و «**طب النفوس السليمة ومعالجة النفوس الأليمة**» فى الحكمة العربية، ويحفل بالأمثال والاقتباسات العربية من فلاسفة العرب، و «**انكشاف الأسرار وظهور الأنوار**» يفلسف به نشيد الأنشاد على طريقة أهل الباطن، ويقول إنه أشواق النفس العاقلة إلى العقل الكلى للرجوع إليه والاتحاد به، وهو ما يزعم أنه أول **تفسير باطنى** للنشيد، وإنْ كان موسى بن ميمون قد ذهب إلى شىء منه فى مصنفاته.



العنانية Ananites

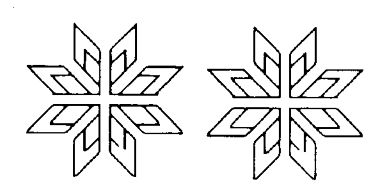
أصحاب **عانان بن داود**، قيل هم أصل **القرّاءين**، وُجِدوا بالعراق ومصر والشام، وكان ظهورهم بالأندلس. وتسميهم اليهود **العراس والمس** كما جاء عند الشهرستانى، وهم يخالفونهم فلا يتعدون شرائع التوراة وما جاء فى كتب الأنبياء، ويتبرءون من قول الربّانيين ويكذبونهم، ويصدقون عيسى فى مواعظه وإشاراته كولىّ من العارفين والمستجيبين لموسى.



العيسوية Isawites

نُسِبوا، على ماجاء عند الشهرستانى، إلى **أبى عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهانى**، وقيل إن اسمه **عوفيد ألوهيم**، أى **عابد الله**، وكان فى زمن المنصور، وابتدأ دعوته من زمن آخر ملوك بنى أمية مروان بن محمد، فاتّبعه بشرٌ كثير من اليهود، وادّعوا له آيات ومعجزات، ولمّا حارب أصحاب المنصور بالرِّىّ قُتِل، وقُتِل أصحابه.

وزعم أبو عيسى أنه **نبى**، وأنه رسول المسيح المنتظر. وزعم أن للمسيح **خمسة** من الرسل يأتون قبله واحداً بعد واحدا. وزعم أن الله تعالى **كلّمه**، وكلّفه أن يخلّص بنى إسرائيل من أيدى أمم العاصين والملوك الظالمين. وزعم أن **المسيح** أفضل ولد آدم، وأنه أعلى منزلة من الأنبياء الماضين، وإذ هو رسوله فهو أفضل الكل أيضا، وكان يوجب تصديق المسيح، ويعظّم دعوة الداعى، ويزعم أيضا أن الداعى هو المسيح. وحرّم في كتابه **الذبائح** كلها، ونهى عن أكل كل ذى روح على الإطلاق، طيراً كان أو بهيمة، وأوجب **عشر** صلوات، وأمر أصحابه بإقامتها، ونَكَر أوقاتها، وخالف اليهود فى كثير من أحكام الشريعة المذكورة فى التوراة. وقيل إنه أقرّ بنبوة عيسى بن مريم ومحمد صلّى الله عليه وسلم، وأقرّ بأن **عيسى** بعثه الله عز وجل **إلى بنى إسرائيل** على ماجاء بالأناجيل، وأنه أحد أنبياء بنى إسرائيل، وأن **محمدا** صلّى الله عليه وسلم نبى أرسله الله تعالى بشرائع القرآن إلى **بنى إسماعيل** وإلى سائر العرب، كما كان **أيوب** نبياً فى بنى عيص، وكما كان **بلعام** نبياً فى بنى مواب بإقرارٍ من جميع فرق اليهود.





ڤتجنشتاين Wittgenstein

(١٨٩١-١٩٥١) **لودڤيج يوسف يوحنا ڤتجنشتاين**، يروّج النقّاد اليهود لفلسفته بدعوى أنها **نقطة تحول** فى تاريخ الفلسفة المعاصرة، وأنه بكتابه «**الرسالة المنطقية الفلسفية**» (١٩٢١) قد نقل البحث فى الفلسفة من مشكلاتها إلى البحث فى **لغتها**، على زعم أن هذه المشكلات لم تنجم إلا بسبب اختلاف الفلاسفة حول معنى الألفاظ الواحدة التى يستخدمونها. وتقوم فلسفته على فكرة أن العالم يتألف من وقائع يمكن أن تنحلّ إلى ما هو أبسط منها ويسميها **وقائع ذرية**، تقابلها قضايا بسيطة أو أولية تنحلّ إليها لغة حياتنا اليومية، والعبارات الكلية هى تعميم للعبارات الجزئية بواسطة علاقات منطقية، وهكذا فإن عبارة «كل إنسان فانٍ» تعتبر مطابقة لعبارةٍ مثل عبارة «زيد فانٍ» أو «عمرو فانٍ» وهلماجرا، فالقضايا المنطقية إذن هى تحصيل حاصل ولا تعنى شيئاً جديداً، فهى قضايا فارغة ولا يمكنها بأى حال من الأحوال أن تمدنا بأية معرفة عن الواقع، ولذا فإن الفلسفة لا تصلح لأن تكون نظرية فى المعرفة، إذ أنها لا تعدو أن تكون مجرد ضرب من ضروب النشاط الفكرى، وهكذا فإن إدراك **الواقع الحسى** هو مهمة تناط بعلوم الطبيعة وحدها.

وحدث ڤتجنشتاين كذلك فى **اصطلاحية اللغة**، وقال باستحالة دراسة الاصطلاحات اللغوية فى حدّ ذاتها، وبالتالى فإنه يستحيل إقامة تحليل منطقى نحوِى، غير أنه ما دامت جميع القضايا الفلسفية تنتهى فى آخر المطاف إلى هذا الضرب من ضروب التحليل، فإنه يجدر اعتبار تلك القضايا جميعها **قضايا وهمية** ليس هناك من أمل فى إيجاد حلول لها.

وختم ڤتجنشتاين مؤلفه قائلاً إنه حتى آراءه التى ضمنها كتابه **تعتبر** هى الأخرى لغواً خالياً من كل معنى، معقباً على ذلك بالعبارة التهكمية التالية «**على المرء ألا يخوض فيما لا علم له به**»، فكأنه **لا أدرى**، ومن ثم فقد رأى البعض فيما ذهب إليه **تخريباً للفلسفة**، يذكرنا **ببروتوكولات حكماء صهيون** والمؤامرة على الثقافة العالمية، وكان المفروض أن يتوقف هو نفسه عن الاشتغال بالفلسفة طالما أنه قد توصل إلى هذه النتيجة، ولكنه استمر فى تأملاته، وانتهى لأول مرة فى تاريخ الفكر إلى تخطئة نفسه فى معظم ما ذهب إليه، وكتب « **المباحث الفلسفية** » (١٩٤٥) ناقض فيه نفسه وتخلّى عن نظريته الأساسية التي تسمى **الذرية المنطقية**، والتى كان قد استعارها من **برتراند رسل** أستاذه، فلما أسقط هذه النظرية سقطت بالتالى ككلٍ أفكاره المترتبة عليها، وأهمها **طريقته فى التحليل** وهى إسهامه الحقيقى، والتى قيل إنها **الإسهام الحقيقى للفلسفة اليهودية فى كل تاريخها** ، فهى فلسفة تحليلية الطابع، وتعتمد طريقته فى التحليل على ردّ ما هو مركّب إلى عناصره الأولية أو وحداته البسيطة التى لا تنحلّ إلى ما هو أبسط منها. وسقطت **نظريته التصويرية للغة** التى كانت تفرق بين القضايا ذات المعنى والقضايا التى لا معنى لها، بتحقيقها على الواقع الخارجى، فإذا كانت رسماً للوقائع الموجودة فى الواقع الخارجى فهى ذات معنى، وإلا فهى لغو. وطالما كانت القضايا ذات المعنى رسماً للوجود الخارجى فإن حدود الواقع الذى ندركه هى حدود اللغة التى نعبر بها عن قضايا هذا الواقع، وهو ما يعرف بنظريته **الأناوحدية** التى تقصر المعرفة على ما يقع فى نطاق الخبرة الشخصية لكل فرد، فكل ما أعرفه أو أدركه هو ما يوجد أيضا بالإضافة إلى وجودى، وهو اتجاه يتعارض مع وضعية ڤتجنشتاين المزعومة، فما يقع فى خبرتى هو ما يوجد، وما يتجاوز هذه الخبرة غير موجود ، والعالم بذلك يضيق ويقتصر على ما يدركه كل فرد ويستطيع التعبير عنه باللغة!!!

ورغم أن ڤتجنشتاين ضد الميتافيزيقا ويعتبر قضاياها خالية من المعنى، واصطنع لنفسه منهجا ينأى به فى زعمه عن التردّى فى أخطائها، إلا أنه كان **ميتافيزيقياً** رغماً عنه فى أخذه **بالنظرية الذرية**، وذلك لأنها نظرية لا تجريبية وهو يقول بالتجريبية. ويقول ڤتجنشتاين بأن العالم ينحلّ إلى وقائع وليس أشياء، وهو افتراض لا يوجد ما يبرره، ومع ذلك أقام عليه نسقاً فلسفياً كاملاً يعيد فى أذهاننا أقوال **أحبار اليهود فى التلمود**، وتصنيف أرسطو للماهيات، وفكرة الجواهر فى الميتافيزيقا، فكأنه أخذ من التراث الفلسفى مايناسب **التراث اليهودى**، وقدّمه فى صيغة عصرية انتهى بها إلى ما يشبه حكمة أيوب « **الكل قبض ريح** ». وأيضاً فإن مناقشته للمنطق تكشف عن **واقعية ميتافيزيقية**، حيث يجعل المنطق أساس استخدام اللغة. واللغة تصويراً للوقائع الخارجية، ومن ثم يقيم الواقع الخارجى على أساس من المنطق بحيث يكون المنطق باطناً للواقع الخارجى، وتتكشف الميتافيزيقا نتيجة لمباطنة المنطق للواقع وللغة فى فكرة الصورة المنطقية، فلكى تكون القضية رسماً للواقعة الخارجية لابد أن تكون بِنْيتها المنطقية متفقة مع بنية هذه الواقعة نفسها.

وتذكرنا **فكرته الصوفية** بمذهب **وحدة الوجود** عند سبينوزا . فالعالم عنده **كلّ واحد** وإن كان من الممكن أن ينحلّ إلى أجزاء صغيرة هى وقائعه ، أى أن العالم وإن كان يتكون من هذه الوقائع إلا أنه هو نفسه شىء آخر أكثر من مجموع هذه الأجزاء، ومن ثم يكون الوجود عنده كلياً، وحيث أن اللغة لا تتناول إلا الوقائع، فإنها من ثم لا تستطيع أن تتحدث عنه وإلا لتجاوزنا حدود اللغة، وإذن فما لا يمكن التعبير عنه موجود ويُظهر نفسه ، وهو **الجانب الصوفى** ، والشعور بالعالم ككل هو هذا **الشعور الصوفى**. وكل هذه الأفكار السابقة ترتبت على قوله **بالذرية**، فلما تهافتت هذه، تهافتت بدورها كل النتائج المترتبة عليها، ولم يبق من كل ڤتجنشتاين الذى روّجوا له بأنه نقطة تحوّل فى فلسفة العصر، إلا قوله بالتحليل، وحتى هذا التحليل اتجه هذه المرة إلى

البحث فى اللغة لمعرفة طريقة استخدام الألفاظ وسياقات هذا الاستخدام التى تكون فيها ذات معنى، وهو إسهام يرى البعض أن قَصْر البحث الفلسفى عليه هو خنق للفلسفة.

ولقد قيل إن تأثير ڤتجنشتاين كان من خلال **جماعة ڤيينا** أصحاب الفلسفة **الوضعية المنطقية**، وهى تجمّع يهودى قد يختلف أعضاؤه حول أشياء ولكنهم متفقون جميعاً على القضاء على الميتافيزيقا بدعوى العلمية، وهذه الجماعة هى التى لاحقت حكومات أوروبا أفرادها لخطورة دعواها الإلحادية، وبسبب هذه الدعوى قُتل رئيسها **شليك** ، وهاجر ڤتجنشتاين من النمسا موطنه إلى كيمبردج (١٩٢٩)، وتجنّس بالجنسية البريطانية (١٩٣٠)، ولكن انتماءه لم يكن أبداً لأى من النمسا أو بريطانيا، فكان يوغل فى الهجرة إلى جبال الدنمرك أو قرى أيرلنده، ليعيش **الجيتو** اليهودى فى نفسه، زاهداً وحيداً، ولم يكن غريبًا منه أن يكتب عنوان «**الرسالة المنطقية الفلسفية** **Tractatus Logico- philosophicus**» باللاتينية، وهى اللغة التى لا جنسية لها، على غرار ما فعل سبينوزا.

ويُطلَق على أتباع ڤتجنشتاين اسم **الفلاسفة العلاجيين**: وهم مجموعة من المفكرين الذين ينظرون إلى الفلسفة على أنها ضرب من العلاج المنطقى للقضايا الوهمية، قائلين بضرورة إضفاء الصيغة الوضعية الصارمة على هذا المنهج. واسمهم يذكرنا بفرقة **الأسينيين اليهودية**، ومعنى اسمهم هذا هو أيضاً **العلاجيون**، وكانت حياتهم كحياة ڤتجنشتاين، فيها النسك، بل إنها كانت موغلة فى النسك، وكأنه كان **تابعًا** من أتباعها، أو من المريدين والسالكين على طريقتها وإن نأى الزمن بينهما.



الفرنكيون Frankists

فرقة **حلولية** قالوا **يعقوب فرانك** (١٧٢٦- ١٧٩١) أو **فرينك** بمعنى السفاردى، **هو المهدى المنتظر**، الذى هو عندهم **المسيح المخلّص**، وأن روح النبى يعقوب قد حلّت فيه ليكمل عمله وعمل الأنبياء، إبراهيم، وإسحق، وشبتاى تسفى، وباروخيا روسى. وقد توجه فرانك بدعوته «**للمؤمنين**» أتباع شبتاى تسفى. وفرقته **مبطلة وإباحية**، فقد قال إنه ضد التلمود وأبطل توراة موسى، **لأنه** بمجىء المسيح المخلّص ترتفع الخطيئة وتسقط الشريعة التى تستلزمها، ومن ثم تُستباح المحرّمات، ونساء **الفرنكية** لذلك على المشاع. وهم **عدميون** ينكرون البعث والحساب، **لأنه** لا حساب مع سقوط الشريعة. وبمجىء فرانك سيبدأ **العصر المسيحانى** الميمون، وهو سيقوم برحلة الخلاص إلى **أدوم**، وأدوم هى رمز **الفطرة**، ومسكن **عيسو** شقيق النبى **يعقوب**، وديانته **الفطرة**، بعكس يعقوب الذى يقول بالشريعة، وكان يعقوب قد وعد شقيقه أن يذهب معه إلى أدوم ليستأنفا الحياة معاً، ندماً على ما اقترفه فى حق أخيه عندما سرق منه بركة أبيهما إسحق، ولكنه لم يقم بالرحلة، وفرانك وصحابته سيقومون بها، ليعبدوا الله على الفطرة، **والفطرة** عندهم هى أن لا تكون هناك شريعة. وقد كان عيسو صياداً يعيش ليومه ويأخذ الحياة بقوة، وكان يحب **اللون الأحمر**، ومن أجل ذلك فاللون الأحمر هو لون الفرنكية المفضل، والله عندهم **ثلاثة فى واحد** كما عند النصارى، وفرانك قد ادّعى النصرانية كسلفة شبتاى تسفى الذى ادّعى الإسلام، ليقوضا الإسلام والنصرانية من داخل المجتمعات المسلمة والنصرانية، **لأنه** فى العصر المسيحانى لا ينبغى أن توجد إلا ديانة واحدة.

وفرانك يقول **بالعذراء** كما عند النصارى، ويسميها **البتول**، ويقصد بها **الشخيناه** اليهودية : العنصر الإلهى الأنثوى فى اليهودية، وهى **الحضور الإلهى** فى شعب إسرائيل، أو هى شعب إسرائيل وقد حلّ فيه إله إسرائيل. وإله إسرائيل هو **العلّة**

الثانية، وهو الخالق المصوّر البارى الذى اختصه شعب إسرائيل بالعبادة فاختصهم بأن كان إلههم وحدهم، وأمّا العلّة الأولى فهو الربّ الذى خرجت منه العلّة الثانية، ومن العلتين والشخيناه أو البتول يكون **الله.**

والفرنكية يوغلون فى **الإباحية،** فإن زوجة فرانك عندما كبرت وأضربت عن الجماع أطلق عليها اسم **الجفراء** gevirah، وللفظة العبرية نفس المعنى فى العربية، ولذلك جعلها كالبتول وقال بعبادتها. ولما ماتت جعل ابنته فى مكانها، فكانت تقيم حفلات للجماع، الأمر الذى دفع بعض أتباعه إلى الوشاية به لدى السلطات فقبضوا عليه، رغم أنه كان يوصيهم بالصمت، وكان يقول إن الصمت له عبء ثقيل على المؤمنين، فأن تعرف أنك على حق وغيرك على باطل، ولا تستطيع أن تجهر بعقيدتك، فهذا هو **الاستشهاد وهو جوهر الإيمان.**



فرويد Freud

سيجموند فرويد (١٨٥٦- ١٩٣٩) نمسوى، مؤسس **التحليل النفسى،** وصفه إريك **فروم** بأنه **حركة شبه دينية،** قائمة على النظرية السيكولوچية، مستكملَة بعلاج نفسى، حاول به فرويد تأسيس أخلاق متحررة ودين دنيوى، هو فى جوهره **الدين اليهودى،** فمفهومه عن **التسامح** يقوم على فكرة أن الصفوة، مقابل العامة، تستطيع عن طريق عدم إشباع الرغبات الغريزية، وعن طريق حرمان الذات، أن توفر رأس المال النفسى من أجل تحقيق الإنجازات الثقافية، وكما أن الثروة هى نتاج التوفير، فإن الثقافة أيضاً هى نتاج الكفّ الغريزى، وهى **نظرية يهودية مادية** تعلّمها من التوراة، مثلما تعلّم أن الإنسان «**حيوان عدوانى**» وهى سمة تُفضى إلى سمة أخرى هى نزعة التنافس، وكما يقول يتعرض المجتمع المتحضر دائماً لخطر التفكك من خلال عدوانية

الإنسـان الأوليـة، وتتمـثل هذه فى عدم المسـاواة الاقتـصـادية، والإنسـان بإلغائه الملكية الخـاصة ينقص من حب البشـر للعدوانية إحدى أدواته، وهـى أداة قوية بلا شك، ولكنها ليسـت على أى حال أقوى أدواتـه، فما هو أقوى مصـدر للتنافس الإنسانـى، أو بالأحرى للتنافس الذكورى؟ إنها رغبة الذكور فى استمالة جميع النسـاء المرغوبات، وهـى أصلاً المنافسة بين الآباء والأبناء من أجل الأم، ثم هى المنافسة بين الأبناء من أجل كل النساء الممكن استمـالتهن. «فمع افتراض أن الحقوق الشـخصية فى الأشياء المادية قد تزول، فسوف تبقى الامتيازات والعلاقات الجنسية التى يجب أن تثير أقوى الضغائن وأشد العـداوات بين الرجال والنسـاء، الذين يفـترض أنهم مـتسـاوون. والإنسـان هو أسـاسـاً شـخص مـعـزول ومكتفٍ بذاته، وطالما أنه يـحتـاج إلى سلع مـعـينة فـعليـه أن يذهب إلى السـوق، وأن يلتقى بالأفـراد الآخرين الذين يـحتـاجـون إلى مـا عليـه أن يبيـعـه، والذين عليـهم أن يبيـعـوا له مـا يـحتـاج إليـه. وهذه المقـايضـة المربحـة المتـبـادلة تشكل مـاهيـة التمـاسك الاجتمـاعى». وهى على أى حـال، وبمصـطلحـات الفكرتين، وجهة نظر يهودية، فـالإنسـان طبـقاً لنظريتـه ليس فى أسـاسـه سـوى آلة يسـوقـها اللبيـدو، تنظم نفسـهـا بالحاجة إلى تقليل التوتر المؤلم إلى أقل درجة ممكنة، وتقليل التوتر هذا يشكل طبيعة اللذة، ولكى يمكن الوصـول إلى هذا الإشبـاع يـحتـاج الرجـال والنسـاء إلى بعـضـهم البعض، وينخـرطون فى إشباع متبادل لاحتياجاتهم اللبيدية، وهذا يشكل اهتمامهم ببعـضـهم البـعض، ولكنهم يظلون أسـاسـاً كـائنات مـعـزولة، تمامـاً كمـا يـفـعل البـائع والمشـترى فـى السـوق. وعلى حين ينجـذبون إلى بعـضـهم البعض بالحاجة إلى إشبـاع رغباتهم الغريزية، فإنهم لا يتجاوزون إطلاقاً انفصاليتهم الرئيسية، فالإنسان عند فرويد كما عند معظم المفكرين اليهود، ليس إلا **حيواناً اجتماعياً** يشـعر بضرورة الإشبـاع المتبادل لاحتياجاته، وليس به حـاجة أولية لأن يتصل بالآخرين.وهذا الوصف للعلاقة بين

صورة فرويد للإنسان، وصورة الإنسان فى التوراة، لا تكون كاملة بدون أن نذكر مفهوماً جوهرياً فى نظرية فرويد، ألا وهو **الجانب الاقتصادى للبيدو**، فاللبيدو عنده دائماً ثابت يمكن أن ينفق بهذه الطريقة أو بتلك، لكنه خاضع لقانون المادة «ما يفقد لا يمكن تعويضه»، ويكمن هذا المعنى وراء مفاهيم مثل النرجسية، حيث أن المسألة هى إما إرسال اللبيدو إلى الخارج، أو أخذه ثانية إلى الأنا. وهذا المعنى كامن أيضاً وراء مفهوم البواعث التدميرية الموجهة إما نحو الآخرين أو نحو الذات، وكامن كذلك فى مفهوم فرويد عن استحالة المحبة الأخوية، واستحالة تطبيق المثل الأخلاقى الذى يقول أحبب جارك كما تحب نفسك، لأنى عندما أمنح حبى للمحيطين بى فإنهم سيقدرونه كامتياز اختصصتهم به، ومن غير الإنصاف أن أضع غريباً فى مستوى واحد معهم، ولكن إذا كان علىّ أن أحبه ذلك النوع من الحب العام، فلن يناله من حبى بعد توزيعه على سكان الأرض إلا النزر اليسير، وسيكون من المستحيل أن أعطيه الكثير بالقدر الذى يمليه العقل، وفرويد فى ذلك يتحدث عن الحب **كيهودى** يتحدث عن الملكية أو رأس المال، ويستخدم الحجة نفسها ضد **الاشتراكية**: إذا قسم كل الرأسماليين أموالهم على الفقراء، فلن ينال كل إنسان سوى النزر اليسير. والصورة العامة للإنسان فى التوراة تنزع إلى البرهنة على أن الرأسمالية المعاصرة هى خير جواب على وجود الإنسان، لأنها تشبع بواعثه المغروسة فى طبيعته. وفرويد كمنظّر لم يتجاوز الفكر اليهودى بل أصّله، وأعطى فكرة عن المفاهيم اليهودية السائدة فى المجتمعات التى تجعل من التوراة أساساً فكرياً لها، بأن بيّن كيف أن هذه المفاهيم مغروسة فى الطبيعة الخالصة للبيدو وعملياته، وهذا هو معنى القول الذى نسمعه يتردد كثيراً: **أن الأساس الأيديولوچى للفكر الأوروبى يهودى**.

ومفهوم فرويد عن **الإنسان الجنسى** **homo sexualis** كان تعميقاً ونسخة مكبرة من المفهوم المادى الاقتصادى عن الإنسان، ولذلك نرى فرويد عندما تعلن الحرب

العالمية يتحمس لها وكأنه شاب فى العشرين فى حين أنه كان وقتها فى الثامنة والخمسين، وواضح أن الحرب أيقظت فيه الولع بالعسكرية الإسرائيلية، التى تطلق على الربّ اسم ربّ الجنود، بل إنه وقتها لم يستطع أن يفكر فى شئ آخر غير الحرب، كما يقول مؤرخه **إرنست جونز**، وأمضى وقته يناقش أحداثها مع أخيه **ألكسندر**، معلناً أنه لأول مرة طوال ثلاثين سنة يشعر بالفخر كنمسوى، فلقد أعطى النمسا كل الليبدو الذى عنده، كما قال، وكتب مقارناً أحداث الحرب بالحرب التى خاضتها حركته فى التحليل النفسى، ولكن تجربة الحرب العالمية كانت مع ذلك صدمة سرعان ما أفاق منها على اضطهاد اليهود، فرأى أن الوضع الأسلم لليهود إنما هو فى السلم، وكتب إلى إينشتاين يشاوره فى عمل شئ يمنع الحروب المستقبلة، وتحدّث عن نفسه وعن إينشتاين على أنهما من أنصار السلام، وقال إن الإنسان مستعد بطبعه للانخراط فى الحرب بفعل **غريزة الموت** التى عنده، ولكنه مع نمو الحضارة وازدياد الخوف من الدمار قد أمكن أن يتسامى بنزعاته التدميرية، وأن ينهى كل أسباب اللجوء إلى العدوان المؤدى إلى حروب أخرى. ولكنه فى الوقت نفسه يعلن فى خطابه إلى إينشتاين عن موقف سياسى فى أقصى يمين الليبرالية، عبّر عنه كذلك فى كتاب «**مستقبل وهم**»، فقد صنّف الناس تصنيف التوراة لهم، وأكد أن الناس غير متساويين فى النواحى التكوينية التى لا تتغير، وأنهم ينقسمون إلى قادة وأتباع، وأن الأتباع هم الغالبية، وفى حاجة دائماً إلى سلطة تتخذ لهم القرارات ويخضعون لها بشكل مطلق تقريباً، والأمل الوحيد هو أن تتكون هذه الصفوة من الناس الذين يشكلون أرستقراطية قادرة على استخدام عقولها دون خوف من خوض معركة الحقيقة، وسيكونون «**مجتمعاً من الناس قد جعلوا حياتهم الغريزية تابعة لديكتاتورية العقل**».

وهكذا نتبين أن المجتمع الطوباوى عنده هو **المجتمع الدينى** الذى يقوم على **ديكتاتورية الصفوة**، وفى مجال التحليل النفسى ظل يحدوه الأمل أن تستطيع

الصفوة وحدها من المحللين النفسيين أن توجه وتدبر أمور الجماهير الكسالى، مما يدلنا على أن حركة التحليل النفسى التى قادها هى حركة شبه سياسية، أطلق عليها چونز مؤرخه اسم حركة التحرير النفسى، وقال عنها فرويد فى خطاب إلى يونج إنه خطرت له فكرة أن يجمع مؤيديه فى جماعة أكبر تعمل من أجل فكرة عملية، وفكر فى أن تكون رابطة الأخوة الدولية لفلسفة الأخلاق والثقافة هى الإطار الذى يستطيع أن ينتظم فيه ومؤيدوه، ولكن سرعان ما حلّت فكرة الرابطة الدولية للتحليل النفسى محلّ الرابطة الدولية سالفة الذكر، ولذلك قامت هذه الرابطة على روح مختلفة تماماً عما هو معتاد بالنسبة لنظرية علمية، واقتضى الأمر أن تنظّم بشكل ديكتاتورى، واعترف فرنشيزى لفرويد بأن فكرته عن المحلل النفسى تقترب من فكرة الفيلسوف الحاكم عند أفلاطون (خطاب إلى فرويد فى ٥ فبراير سنة ١٩١٠). ورد فرويد بأن نفس الفكرة خطرت له، وخطا فرنشيزى خطوة فاقترح تشكيل رابطة دولية لها جمعيات فرعية فى مختلف البلاد، وطالب بضرورة إخضاع كل البحوث المكتوبة والمحاضرات الخاصة بأى محلل نفسى للموافقة أولاً، وهو اقتراح يفصح عن روح الحركة. وكان للمؤتمر الثانى للتحليل النفسى كل العلامات المميزة لمؤتمر سياسى. ويقول چونز: إن الجدل الذى ثار بعد بحث فرنشيزى كان لاذعاً حتى أنه كان لابد من تأجيله إلى اليوم التالى». وازدادت الأمور سوءاً عندما جرى اقتراح بإعطاء منصبىّ الرئاسة والسكرتارية لمحللين سويسريين، فقد كان معنى ذلك أنهم يتجاهلون الخدمات الطويلة من جانب علماء النفس فى ڤيينا، والحقيقة أن الاقتراح كان يتجاهلهم لأنهم كلهم كانوا من اليهود، ولكن فرويد كان يعتقد أن إشراك محللى سويسره، وهم من المسيحيين، معناه إنشاء أساس أعرض للعمل عما يمكن أن يقدمه يهود ڤيينا، وأن من الضرورى إقناع زملائه يهود ڤيينا بذلك. فلما سمع أن عدداً كبيراً منهم كانوا يعقدون اجتماعاً للاحتجاج فى غرفةٍ بفندق **شتيكل** ذهب ليلحق بهم، وناشدهم بحرارة أن يشايعوه، وركز على العداوة

الشرسة التى تحيط بهم، والحاجة إلى تأييد خارجى لمواجهة هذه العداوة ضد اليهود، ثم طوح بمعطفه فى حركة مسرحية وأعلن: إن أعدائى سيرغبون فى أن يرونى أموت فقراً، ولسوف يطعنونى من الخلف»، ويقول **إريك فروم** معلقاً: وإنك لترى هنا الحركة المسرحية، بل والهستيرية نوعاً ما، التى يمكن أن يلجأ إليها الزعيم السياسى، لإرغام أتباعه على قبول فكرة ما. والفكرة التى كان فرويد يريد منهم قبولها هى أن يكون التحليل النفسى حركة عالمية»، ومن ثم فقد استطاع كما أراد نقل الزعامة من أيدى يهود ڤيينا إلى أيدى السويسريين غير اليهود، وكان على **يونج** المسيحى أن يصبح **بولس** الديانة الجديدة. غير أن فرويد اتخذ أيضاً خطوات سياسية لتهدئة زعماء التمرد، فأعلن استقالته من رئاسة الجمعية حيث حلّ محله **أدلر**، ووافق على تأسيس مجلة جديدة لموازنة رئاسة يونج، يرأسها معاً **أدلر وشتيكل**، وبذلك ضمن أن تكون **الواجهة مسيحية والمضمون يهودياً**. ومن هذا الوصف يمكن بسهولة استخلاص أن الباعث وراء فرويد وفرنشيزى والآخرين لم يكن سوى الانتصار لفكرة أن المجموعة التى تقود **حركة شبه دينية**، تكون لها معتقدات واجتماعات سرية، وتهاجم وتهادن، أكثر من أن يكون لها موقف العلماء المعنيين ببحث موضوعهم. وحتى عندما انشقت الجماعة على نفسها ليكون المنشقون رؤساء بدلاً من أتباع، ظل المنشقون مع ذلك ملتفين حول تأليه زعيمهم والاعتقاد فيه، وكان من أثر إحكام القطيعة مع يونج، تأسيس لجنة دولية سرية من **سبعة** أفراد تضم فرويد، مهمتها أن تراقب وأن تؤثر فى مجرى الحركة، وكانت فكرة فرنشيزى أن يقوم فرويد بتعيين عدد من المحللين يحللهم فرويد شخصياً تحليلاً تاماً، فى المراكز أو البلدان المختلفة، واقترح چونز بدلاً من ذلك تشكيل جماعة صغيرة من المحللين الموثوق بهم كنوع من **الحرس القديم** يلتف حول فرويد. وأقر الاقتراح بسرعة **رانك وأبراهام**، وطالب **فرنشيزى** فيما بعد بالاحتراز من **چونز**، وقال لفرويد: يجب أن تضع **چونز** دائماً تحت أنظارك، وأن تقطع عليه خط

الرجــعــة»، ولـم يكـن ذلك إلا لأن **چونز كـان العضـو الوحيـد المسـيحى فى جماعة فـيينا**، والجماعة تقوم أصلاً على أعضاء من اليهود بأفكار يهودية سياسية، وقد قال فرويد: لقد أَسَرت خيالى فوراً فكرتك عن إنشاء مجلس سرى يتألف من خيرة رجالنا وأوثقهم لكى يرعوا التطور اللاحق للتحليل النفسى، ويدافعوا عن القضية ضد الأشخاص والأحداث عندما **لا** أعود موجوداً. وأستطيع أن أتجرأ فأقول إن الحياة والموت سيكونان أسهل بالنسبة لى إذا عرفت أن هناك مثل هذه الرابطة لكى ترعى إبداعى، وينبغى أن تكون هذه اللجنة أولاً وقبل كل شىء سرية تماماً فى وجودها وفى أعمالها، ومهما يحمل إلينا الزمن القادم فإن الرئيس القادم لحركة التحليل النفسى يجب أن يخرج من هذة الدائرة الصغيرة المنتقاة من الأعضاء الذين **لا** أزال مستعداً للثقة فيهم، برغم خيبة أملى الأخيرة مع الناس» (خطاب إلى **چونز** فى أول أغسطس سنة ١٩١٢). وعندما تشكّلت اللجنة كان أعضاؤها **سبعة من اليهود إلا چونز**، وإن كان هو نفسه بتعاطفه وميوله قد صار منهم. وأهداهم فرويد **سبعة** فصوص إغريقية، تحقق بها حلم الخواتم **السبعة** التى تحدث عنها **ساخس** فى كتابه. وسار التطور اللاحق لحركة التحليل النفسى فى المسار الذى أملته الحودات. وكشف فرويد فى دراسته « **حول تاريخ حركة التحليل النفسى**» عن الروح **شبه السياسية** للحركة، وسرد الانتصارات المختلفة للحركة فى عدة بلدان، وقال معلقاً على انتصارها فى أمريكا «إن مراكز الثقافة القديمة حيث ظهرت أكبر مقاومة لحركة التحليل النفسى، يجب أن تكون هى الساحة التى تجرى عليها المعركة الحاسمة النهائية لتلك الحركة». وكتب عن نضاله مع خصومه أنه لم يخطر بباله أن يبدى استصغاراً لشأنهم بسبب خصومتهم له، وأنه يعرف أنه من بين غير الخصوم يوجد المنافقون الذين يظهرون لحركته خلاف ما يبطنون، وأن الحركة لذلك تحتاج إلى **زعيم**، ولكن ينبغى أن نعرف أن أى إنسان يكون من نصيبه رعاية التحليل النفسى ستنصب له الفخاخ، ولكن واجب

الزعيم دائماً أن ينفض عن الحركة الافتراءات التى تلصق بها.. وبذلك يكون قد تم لفرويد إقامة **تنظيم دولى** له فروع فى عدة بلدان، وله قواعد صارمة يلتزم بها كل من يعد نفسه ليكون محللاً نفسياً، وحتى **اللغة** التى استخدمها فرويد كان لها الطابع شبه السياسى، فهو يتحدث عن مؤتمر سنة ١٩١٠ بوصفه «**ينهى طفولة حركتنا**» (خطاب إلى فرنشيزى فى ٣ إبرايل سنه ١٩١٠)، ويقول عن يونج «لقد دعوته فى الوقت المناسب للعودة إلى العُصاب فهو الوطن الأم الذى به تتعزز سيطرتنا على كل شىء، وكل إنسان». وكثيراً ما تحدث فرويد عن مجالات التحليل النفسى بوصفها **مستعمرات**، وهى لغة بانى **الإمبراطوريات** أو **الزعيم السياسى** الذى يعمل من أجل مثل أعلى. وكان مثله الأعلى منهجاً للعلاج النفسى ونظرية **سيكولوچية** للاشعور والكبت والمقاومة والتحوّل وتفسير الأحلام، ولكن النواة لهذا كله قد عبر عنها فرويد فى كتابه «**الأنا والهو**»: إن تطور الأنا يتقدم من إدراك الغرائز إلى السيطرة عليها، ومن الانصياع لها إلى كبحها، والأنا الأعلى، وهو فى جانب منه تكوين من رد الفعل ضد العمليات الغريزية فى الهو، يشارك فى هذا التحقيق، **والتحليل النفسى** هو الوسيلة المقدّر لها أن تكون أداة **الانتصار على الهو بالعقل**» وهذا الهدف له جذوره فى الدين اليهودى، فهو ديانة **أخلاقية** أكثر منها ديانة بعث وحساب، ويتمثل هذا الهدف فى فلسفة التنوير وديانة العقل، واتخذ عند فرويد شكل **الديانة العلمانية** أو **الأيديولوچية**، بمعنى وجهة **النظر الشاملة** أو **العالمية**، فإذا كانت الديانات الأخرى والأيديولوچيات تعرض لأزمة الإنسان فى كل آن دون التعرض لأسبابها، فإن حركة التحليل النفسى تزعم لنفسها اكتشاف **مصادر الأزمة** فى الاشتياقات الليبيدية والميكانيزمات المعقدة لكبتها والتسامى بها، وفى تشكّلاتها المرضية. وكما أن ماركس، وهو يهودى كذلك، قد وجد الأساس العلمى للاشتراكية فى مقابل ما يسميه **بالاشتراكية الخيالية**، فإن فرويد قد وضع بدوره **أساساً علمياً لهدف أخلاقى قديم**،

ومن ثم تقدم متخطباً الأخلاقيات الخيالية للديانات الكتابية بأخلاق موضوعية لديانة علمانية هي الديانة اليهودية في شكلها الأخلاقي دون مضمونها الميتافيزيقي. ولما لم يكن لديه إيمان لا بالشعوب ولا بالإنسان المتوسط، فإنه وضع لهذه الأخلاقيات العلمية الجديدة هدفاً بالا يحققها سوى **الصفوة**. وحركة التحليل النفسي هي حركة **الطليعة** النشطة التي على عاتقها تقع هذه المسئولية، ولئن كانت صغيرة إلا أن تنظيمها الحسن سيؤدي بها إلى انتصار **المثال الخلقي اليهودي**.



الفريسيون Pharisees

الفريسي كلمة آرامية من **فَرّس** أي صار ذا رأي وعلم بالأمور، فهو **فارس** أي عالم بالأمر، وهم **فوارس**. وقيل من **فرس** بمعنى انفصل واعتزل، وهم **الفوارس** بمعنى **المعتزلة**، لأنهم فارقوا الجماعة ولم يكونوا على رأس جمهور الأحبار، وقيل أصلهم جماعة **الحصيديين** المذكورين في أسفار المقابيين، والذين اشتركوا في الثورة المقابية على **أنطيوخوس أبيفانيس** (١٧٥-١٦٣ق. م).

وقيل إنهم ظهروا باسمهم **الفريسيين** في عهد **يوحنا هركانوس** (١٣٥- ١٠٥ ق.م)، وخالفوا الصدوقيين فقالوا بوجود شريعة غير مدونة لا تقل إلزاماً عن الشريعة المدونة، وكانوا بذلك أساس فرقة **الربّانيين** التي جعلت للتلمود أو الشريعة الشفوية مكانة أعلى من مكانة التوارة «**الشريعة المكتوبة**»، واتجهوا إلى تأصيل هذه الشريعة وطبع الحياة اليومية بها، وأنكرنا على الصدوقيين تفسيراتهم الهيلينية التي يمكن وصفها بأنها أولى محاولات **التنوير** في اليهودية.

وكانوا **كتبة** بمعنى فقهاء معلمين، لديهم العلم السَلَفى الذى هو الشريعة الشفوية، واختلفوا مع الصدوقيين المعُطِّلة الذين قالوا بأن الله قد توقف عن الفعل فى اليوم السابع، أى أنه خلق ما نعرف وما لا نعرف فى ستة أيام ثم استراح أى توقف عن أن يريد أو يشاء، بينما الإنسان يريد ويشاء باستمرار، وقالوا بفناء النفس مع فناء الجسد ومن ثم فلا قيامة ولا حساب، وإنما الثواب والعقاب فى الدنيا حيث محصلة الخير هى الخير وبالعكس. وعارضهم الفريسيون بدعوى أن **فعل الله** لا ينقطع، **والحرية** خاصة الإنسان، لكن **الإرادة** لله، وقد أراد الله للإنسان أن يكون حراً ليوفيه الحساب يوم القيامة، **والمعاد** عند الفريسيين بالروح والجسد معاً وإلا فلا معنى للحساب. ويبدو أن الفريسيين أو الفوارس انقسموا على أنفسهم فكان منهم **جناح شماى** المتشدد، **وجناح هليل** المعتدل، ويبدو أنهم فى أول عهدهم تملقوا الشعب ومالأوه ضد السلطة، ولكنهم فى تشددهم أو فى اعتدالهم حَمّلوا الناس أثقال اجتهاداتهم، وكانوا يحفلون بالعرضى دون الجوهر، وغالوا فحصروا الصلاح فى طاعة الناموس، فكان تدينهم ظاهرياً، وسمّاهم **يوحنا** المعمدان أو المغتسل **أولاد الأفاعى**، ووبّخهم المسيح واتهمهم بالرياء.



فلقارى Falaquera

(نحو ١٢٢٥ – ١٢٩٥) **شمطوب فَلقّارى**، أسبانى، صاحب **«دليل الدليل»** يشرح به كتاب **دلالة الحائرين للميمونى**، ونال به استحسان علماء اليهود عامة، وله ترجمات لكتابَى الفارابى **إحصاء العلوم، والجمع بين رأيى الحكيمين أفلاطون وأرسطو، ورسالة ابن سينا فى النفس، ورسائل إخوان الصفاء.**



فورمستشر Formstecher

(١٨٠٨ - ١٨٨٩) **سليمان فورمستشر**، ألمانى،حاول إعادة طرح المفاهيم اليهودية بلغة الفلسفة المعاصرة عند **شيلنج وهيجل**، وفى كتابه الرئيسى «**ديانة الفكر** Religion des Geistes» (١٨٤١) يقول مثلهما إن الله يتجلى فى الطبيعة وفى الفكر، ويبنى على ذلك أن هناك ديانتين فى المقابل هما **ديانة الطبيعة** وهى وثنية، الله فيها هو مبدأ طبيعى، وتحفل الطبيعة بهذه المبادىء أو القوى الإلهية، أو أن الله هو روح تشيع فى العالم، **وديانة الفكر** التى تدرك أن الله يتجاوز الطبيعة، وأنه الحقيقة المطلقة ومصدر القيم. ويقصد بالفكر ما يقصد إليه **هيجل**، فهو التحقق التاريخى الشعورى للمطلق. وإذا كانت الديانة عموماً هى طموح الإنسان لأن يكون له عالمه من القيم، فديانة الفكر هى طموحه لتجسيد المثال الأخلاقى المطلق. **واليهودية** على زعم فورمستشر قد حاولت دائماً أن تلتزم هذا الطموح، وهى دعوى تناقض أسفار التوراة التى تؤكد أن اليهود جافوا التوحيد، وأنهم أساس التشبيه والتجسيم، ولا تتفق مع الأخلاق المزدوجة عند **التالموديين**، وفورمستشر منهم. وهو يقول إن الله فى الديانات التوحيدية موجود أسمى لا يتصوره العقل كإله الفلاسفة، ويتجاوز الطبيعة، وإدراكنا له لا يكون إلا بالوحى، ولا يتكشف معنى التوحيد والوحى إلا من خلال التقدّم التدريجى للفكر، واليهودية هى مظهر هذا التكشف، فبها بدأ **التوحيد**، ولمّا انتشر اليهود فى العالم شاع بهم التوحيد ونفذ إلى الوثنية من خلال **المسيحية والإسلام**، ولكن توحيد المسيحية والإسلام مادى، **والمادية** فيهما من الأساس، لأنهما ديانتان **أمميتان**، بينما اليهودية خصيصة شعب اختص الله بعبادته فاختاره الله ليكون شعبه، أى اختصه بالوحى والنبوة، وليكون التجسيد للمثال الأخلاقى الإلهى فى التاريخ، ولذلك لم تكن اليهودية تبشيرية، إلا أن **رسالتها الأممية** تحققت رغم ذلك من خلال المسيحية والإسلام، فهما **النسخة الأممية** لليهودية، ومع أن التوحيد فيهما يختلط بالوثنية،

وتمتزج المادية فيهما بالروحية، إلا أن تاريخ الفكر البشرى والتقدم الثقافى والنمو الروحى للبشرية لينبىء عن إمكان تجاوز هذا الجزء المادى فى هاتين الديانتين أو الحضارتين إلى روحانية اليهودية التى بها كانت البداية وستكون النهاية.

ولعمرى إنه لقول ليس بمستغرب من حَبْر من الغلاة، ويبين بجلاء عن **تحريف** متعمد للتاريخ ولدروسه، هو فيما يبدو سمة من السمات البارزة للفلسفة اليهودية بعامة، ويدحض ما يقوله إجماع مؤرخى الفلسفة على **مادية اليهود وفكرهم**، فليس صحيحاً أن اليهودية موحدة أو أن التوحيد اليهودى هو أساس التوحيد الإسلامى، لأنه لا يوجد أصلاً توحيد فى اليهودية، فهى بما تؤكده أسفار التوراة جميعها، حتى مزامير داود، **مذهب حلولى (أنظر مادتى توراة ويهودية)**، والحلولية شِرْك صريح، وكان أمراً طبيعياً أن تقول المسيحية أن المسيح هو ابن الله، ولولا أن التلموديين أكبر الفرق اليهودية قالت إن عزير هو ابن الله، وداود هو ابن الله، ما كان من الممكن أن يقول المسيحيون إن عيسى ابن الله. والمسيحية التاريخية كما نعرف فرقة يهودية، وكان القول بالمسيحية لأن دعوى **المسيح المخلص أو المهدى المنتظر** مقولة أساسية فى اليهودية، وفرق الشباتية والدونمه والفرنكية تزعم أن هذا المسيح هو ابن الله، وقالوا بالتثليث أو الله فى ثلاثة آلهة، منها **الشخيناه** المقابل لمريم العذراء فى المسيحية، وكان الفريسيون مبطلة ينكرون البعث والحساب، والقرّاءون نسخوا التالمود واتهموا الربانيين بالتحريف فى التوراة، والفرقة الحصيدية حلولية، وكذلك الجماعة الصهيونية أو الصهاينة آخر ما استحدثته الطائفية عندهم من الفِرَق.



فيل Weil

(١٩٠٩ - ١٩٤٣) **سيمون فيل**، فرنسية، هجرت تدريس الفلسفة إلى **التصوف**، وعاشت بين العمال حتى قيل إنها ماتت من الجوع، ولها **شطحات** كادعائها مشاهدة

المسيح وحلوله فيها، ولكنها لم تتحول إلى المسيحية، بدعوى أن تاريخ الكنيسة لا يشرِّف المسيحية، ومع ذلك لم تبق على يهوديتها، بحجة أن **اليهود أقسى شعوب الأرض**، وأنها تعرف ذلك من التوراة والتلمود، وهما كتابان ينضحان بالعنصرية وكراهية اليهود لغيرهم وحقدهم عليهم، وتفاسير الأحبار معظمها نفاق، وأساسها التعالى عن إحساسٍ بالنقص الشديد والدونية، وهذه التفاسير نفسها هى التى ألَّبت عليهم العالم المسيحى بالذات (محاكم التفتيش وغيرها).



فيلون Philo

(٢٠ق.م - ٤٠م) **فيلون السكندرى**، أكبر ممثل للفكر اليهودى المثقف باليونانية فى عصره، ولا نعرف شيئاً عن حياته سوى أنه من مواليد الإسكندرية، وبها عاش وتعلم، ودراسته يونانية كلها، ويُشَك فى أنه كان يعرف العبرية، وكان وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية وخصوصاً عند أفلاطون، وكانت أسرته من أكثر الأسر ثراء فى الإسكندرية، وكان يهود الإسكندرية بشكل عام أكثر اليهود تأثراً بالثقافة الهيلينية، وكانوا يؤلفون جالية من التجار والمثقفين بهذه الثقافة حتى أنهم ما كانوا يقرأون التوراة إلا فى نسختها اليونانية المعروفة بالسبعينية، وكان منهم الذين بلغ بهم التأثر بهذه الثقافة إلى حد نبذ التراث اليهودى والشريعة الإسرائيلية، ومنهم من التزم العقيدة، ولكنه تحلل من الشريعة بالتأويل، وهؤلاء ألفّوا باليونانية، ومنهم **فيلون** الذى يعتبر أشهرهم، وكان كثير الاعتزاز بيهوديته حتى أنه عرف بين المثقفين **بفيلون اليهودى**، وذُكِر عنه أن طائفته أرسلته إلى الإمبراطور **كاليجولا فى** روما ليشكو إليه سوء معاملة الحاكم الرومانى على مصر لأهل ملّته (٤٠م).

وقد تصدى فيلون لشرح التوراة باليونانية، يقصد أن يبين للمفكرين بها، أى باليونانية، أن فى كتاب اليهود فلسفة أقدم وأسمى من فلسفتهم، ولذلك كان يدمج

شرحه بالفلسفة، ويقارب بين بعض أقوال الفلاسفة وبعض أقوال الأنبياء، ويشرح التوراة شرحاً رمزياً على غرار شرح الفيثاغوريين والأفلاطونيين والرواقيين لقصص الميثولوجيا، فيقول إن التوراة فى جملتها تاريخ بنى إسرائيل، تصيبهم النِعَم إذا راعوا الشريعة، وتلحقهم النِقَم إذا عصوها وتخلوا عنها، وهى تمثل قصة النفس مع الله، تدنو النفس من الله بقدر ابتعادها عن الشهوة فتصيب رضاه، وتبتعد منه بقدر انغماسها فى الشهوة، فينزل بها سخطه.

وذهب فيلون إلى **تأويل سفر التكوين** بأن الله خلق **العقل الخالص** فى عالم المُثُل وهو الإنسان المعقول، ثم صنع على مثال هذا العقل عقلاً أقرب إلى الأرض، هو آدم، وأعطاه الحس، وهو **حواء**، معونة ضرورية له، فطاوع العقل الحس، وانقاد للذة، وهى **الحية** التى وسوست لحواء، فولدت النفس فى ذاتها الكبرياء، وهو **قابيل**، وجميع الشرور، وانتفى منها الخير، وهو **هابيل**، ومات موتاً خلُقياً. وأوّل **البحر الأحمر وعبوره** بأنه الحياة الحسية والنفس وقد انتصرت عليها واجتازتها، **وزواج إبراهيم عليه السلام بسارة** بأنه رمز لاتحاد الإنسان الصالح بالفضيلة.

ويصطنع فيلون كذلك **الترميز العددى** المشهور عند الفيثاغوريين، فيقول إن الواحد غير منقسم، فهو صورة العلة الأولى، وموجد النفس والحياة، ولكن الاثنين منقسم، فهو مبدأ الشقاق وأخو الشر. واتجاهه العام فى شرحه للشريعة هو وضع المعنى الخلُقى بإزاء المعنى الحرفى، أو نقل الثانى إلى الأول أحياناً، فيرى فى الطقوس الدينية علامات على الشروط الخلقية اللازمة للعبادة، وفى تحريم الحيوانات النجسة قمعاً للشهوات الرديئة، ومثل هذا النقل ينزع عن الشريعة صفتها الظاهرية أو المدنية، ويحولها إلى قانون باطن.

واستبعد فيلون من اليهودية كل طموح سياسى، وقال إن **اليهودى يهودى ديناً لا جنسية**، ويجب عليه أن يكون مواطناً فى البلد الذى يقيم فيه، ونقل الوعود الإلهية

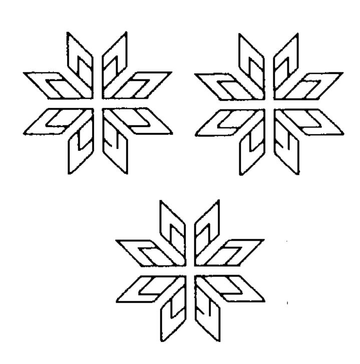
الواردة فى التوراة لإبراهيم ونسله من بعده، بخيرات دنيوية ومستقبل سعيد لشعب إسرائيل، إلى وعود بخيرات روحية للنفس الصالحة، وبسيادة الشريعة على العالم، وحتى التئام شمل اليهود فى بلد واحد بعد توبتهم، يؤوله بمعنى اجتماع الفضائل فى النفس وتناسقها بعد ما تحدثه الرذيلة من تشتت. والمسيح عنده بمثابة **الملك الفيلسوف** عند الأفلاطونيين والرواقيين، يفرض سلطانه بصفاته الخُلُقية ليس غير.

وتصوُّر فيلون للوجود مزيج من العقيدة اليهودية والفلسفة اليونانية. فالله مفارق للعالم، خالقٌ له، معنىٌ به، لا يدركه العقل، وكل ما ورد فى التوراة من تشبيه يجب تأويله بحسب هذا الاعتبار، **فالله ليس إله إسرائيل فحسب**، وإنما هو الموجود حقاً، والعلّة الأولى، وأبو العالم، ونفسه، وروحه، وليس معنى أنه إله إبراهيم وإسحق ويعقوب أنه إله هؤلاء الثلاثة وحدهم، وإنما هو إله العالم كله. وأوّل فيلون إبراهيم بأنه العِلم، وإسحق بأنه الطبيعة، ويعقوب بأنه الزهد، والأسماء الثلاثة هى المصادر الثلاثة لمعرفة الله. ويسمى فيلون الله على منوال إبراهيم عليه السلام، فهو شمس الشمس، أو علّة الشمس، أو الشمس المعقولة للشمس المحسوسة، أخذاً عن أفلاطون. ويتابع أفلاطون فى قوله إن الله صنع العالم لمحض خيريته. ويجاوز جميع فلاسفة اليونان فيقول لو أراد الله أن يدين الناس بلا رحمة لقضى عليهم بالهلاك، لأن أحداً منهم لا يستطيع بنفسه أن يقوم بدوره كاملاً فى هذا السباق دون معونة من الله، وذلك هو عدل الله ورحمته، وهو لذلك يجمع الرحمة إلى العدل، لكى يعين الناس، وهو لا يرحم بعد الإدانة، ولكنه يدين بعد الرحمة، لأن الرحمة عنده سابقة على العدل.

وعلّية الله عند فيلون نوعان، مطلقة ونسبية، فأما **المطلقة** فهو أنه الخالق من العدم، حيث أن الأرواح خلو من المادة، ولَدها الله كما يلد العقل أفكاره، وأما **النسبية** فهو أنه الصانع الذى خلق الأشياء ولم تكن من قبل، فالعالم المحسوس نتيجة تنظيم الله لمادة سابقة، أو نتيجة فعل وسطاء بين الله والمادة كما يقول أفلاطون، ويعلل ذلك بأن الخلق

صادر عن قدرة اللّه وخيريته، فلا يخلق اللّه من الموجودات إلا ما كان كفيلاً بقبول هذه الخيرية، وهو قد خلق الإنسان فتكفل بجزئه النُطْقى، ووكل إلى وسطائه صنع الجزء الفانى منه، وعلى ذلك جاء الإنسان مزيجاً من الخير والشر، واللّه منزّه عن الشر، ومبدأ الشر موجود فى غيره. وليس الشر إلا الشر الخُلُقى، ولذلك فبقية المخلوقات من صنع اللّه لذا لا تعرف هذا الشر.

ومن الناحية الروحية علّية اللّه **مباشرة وغير مباشرة**، ولا بد من الوسطاء أيضاً بين اللّه العلىّ والإنسان العاجز، حيث أن النفس ليس بوسعها بلوغ المرتبة الإلهية كما تهوىَ ودفعة واحدة، ولكن لابد لها من التدرج فى الصعود، ولذا قال الفلاسفة **بالوسطاء** وسمّوهم آلهة وأبطالاً، ولكن موسى سمّاهم **ملائكة**، بمعنى أنهم رسل يبلّغون أوامر اللّه إلى الأبناء، ويحملون صلوات الأبناء إلى اللّه، ويتقدمهم **اللوغوس**، أو الكلمة، وهو آدم الأول، أى مثال الإنسان أو **الإنسان الأعلى**، ابن اللّه البكر، علّمه الله كل الأسماء، ولكنه لما هبط إلى الأرض أصابه النسيان، فتتنازِعُه نفسه إلى **المعرفة**، والمعرفة درجات، أبسطها النظر إلى مصنوعات اللّه، وأوسطها ترقّى سلم الوسطاء، وأعلاها إدراك كلمة اللّه، وأكملها إدراك اللّه ذاته. ولابد للصعود من التطهر من المحسوسات بالزهد، ويبدأ الصعود بالشك فى العلم الحسى، وإذ يشعر الإنسان بعجزه لا يعود له سوى اللّه والاتجاه إليه.





قابلان Kaplan

(١٨٨١) **مردخاى مناحم قابلان**، لتوانى الأصل، أمريكى الجنسية، من **دعاة التجديد** فى اليهودية، وصاحب هذا الاتجاه فى أمريكا، وفلسفته **صهيونية علمانية براجماتية**، **واليهودية** عنده حضارة لأن لها تاريخاً وشعباً ولغة وديناً وتنظيما اجتماعياً، ومُثُلاً عليا روحية واجتماعية ومستويات فى السلوك. وفلسفته **علمانية** لأنه لا يؤمن بإله مفارق يسمو على المادة والتاريخ. وينكر قابلان فكرة **الوحى**، **والدين** عنده نتاج اجتماعى يرتبط بتقدم المعرفة، والمعنى الذي يضفيه على الحضارة اليهودية لذلك معنى براجماتى أكثر منه ميتافيزيقى. وهو يقول مع **إميل دوركايم** الفيلسوف الفرنسى اليهودى أن كل ما يصبح موضع اهتمام جماعى يكتسب سمات الدين، وينزل من الجماعة منزلة المقدسات، ومهمة الدين تطبيع الأفراد بقيم الجماعة بحيث يتماثلون مع هذه الجماعة، **والحضارة اليهودية** لذلك دينية، أى مقدسة، لأن الدين أوضح ما فيها، وهو تعبير حضارى عن روح الشعب، **والشعب اليهودى** لذلك شعب مقدس، ومحور الحضارة اليهودية الدينية هو هذا الشعب، وحينما يتواجد هذا الشعب تتواجد حضارته، فالحضارة والشعب مرتبطان، ومن ثم فليس صحيحاً أن الحضارة اليهودية لا تستمر إلا فى دولة، فبالإضافة إلى أن الدولة ضرورية لأنها ستكون بمثابة المركز لهذه الحضارة ولكل المجتمعات اليهودية فى العالم، إلا أن حضارة اليهود المرتبطة بالشعب هى **حضارة عالمية** لأن الشعب عالمى، ومن ثم فهى حضارة يمكن أن تروج وتستمر كذلك فى الشتات، ومعيار الإيمان فى الحالتين هو مدى التزام اليهودى ببقاء الشعب، ولأن اليهودية حضارة فعناصرها كلٌ عضوى مترابط فى عمله، فالكنيس والمؤسسات التربوية والمنظمات الصهيونية والهيئات الخيرية والدفاعية، تتواصل جميعها

فـى تـآزر ديمـقراطـى تحت قيـادة **نخبة منتخبة**، **والكنيس هـو** قـلـب **هذا** الـكـيـان الاجتماعى، وفيه ينبغى أن يجد الفرد التعبير عن أوجه نشاطه اليهودى المختلفة.



القبالة Kabbalah

فلسفة القبول، ومذهب القائلين أن الإيمان هـو **قبول التراث**، والتوفر على أداء الشعائر تعبير عن هذا القبول بأدائها، والتسليم لله والأمل أن يحظى أداؤها بالقبول لدى اللّه، ومن ثم فالقباليون أو القبوليون أو القبليون هـم **السلفيون**، وهـم نقيض الحرْفيين والعقليين، لأنهم يذهبون إلى أن للنصوص روحاً هـى التأويلات التى يستخرجها الواصلون، وتأويلاتهم تشكل مذهباً هو نقيض المذهب العقلى، وخاصة فى صورته عند الميمونى.

والقبالة بحكم نشأتها وتاريخها وفلسفتها **مذهب باطنى**، وهـى **غنوض يهودى** لا شك فيه، **وطريقة يهودية فى التصوف**، وذلك لأنها تقوم أولاً على المنهج الباطنى، وغايتها معرفة اللّه، والعلم بها والأخذ بتعاليمها يؤدى إلى خلاص الفرد والجماعة.

والقبالة أيضاً هى **المعرفة اللدنّية** التى تنتقل بالوحى بين العارفين، ولذلك حاول مؤرخوها أن يرجعوا نشأتها الحقيقية إلى أبعد من الظروف التى انتجت أياً من الباطنية أو الغنوص أو التصوف، وقالوا إن غايات القبالة تجاوزت هذه الفلسفات جميعها، وفلسفتها استغرقت كل نصوص المذاهب الباطنية اليهودية، بالإضافة إلى الكتابات التالمودية المدراشية والنظريات اللاهوتية.

وقالوا إن القبالة رغم أنها تبدو كمذهب باطنى مغلق على العارفين وحدهم، إلا أنها لم تقصر بحوثها على مسائل معينة، بل انضمت إلى الفلسفة وقدّمت مثلها تفسيراً **شمولياً** للكون والخلْق، ولكنه تفسير يصطبغ بالصبغة الدينية، وموضوعه دائماً التوراة والتراث الشفوى للهالاخاه halakhah (أى السنّة) والهاجاداه haggadah (أى

الأخبار أو المأثورات)، وكانت تأويلاتهم صياغات جديدة دائماً كما فى الكتابات الزهارية، ولهم فيها **لغة رمزية** شديدة التعقيد، وللحروف عندهم منطق باطنى، وحروف اللغة العبرية بالذات، والحروف الأربعة المكوّنة لاسم **يهوه**، ولكل حرف ونقطة وشرطة قيمة عددية، وقد تستخلص معانى العبارات بقراءتها عكساً لا طرداً، أو بتجميع الحروف الأولى لكلماتها. وللشعائر والممارسات والنواهى فى القبالة تفسيرات تقرّبها من العامة وتفلسفها، وتصل دائماً بين العامة والفلسفة، **وهى غاية لم يستطعها الفلاسفة**، وهذا هو سبب انتشار القبالة رغم صعوبة الموضوعات التى تعالجهاوقُربها من ميدان الفلسفة أكثر من مجال الدين، ولكن **القبالى** بشكل عام يعيش ويفكر فى التراث، ويستخدم طرق الأحبار الموروثة لاستكشاف وتعميق مفاهيم هذا **التراث**، بل ويفعل أكثر من ذلك يقيناً، لأنه يعيد النظر فى العقيدة ويطيل التأمل فيها ويحددهابطريقته، **ويفلسف** التعارض بين اختيار اللّه لشعبه وبين واقع النفى الذى يعيشه هذا الشعب، فإذا كان اللّه قد قضى على إسرائيل بالغربة كعقاب على العصيان، فإنه **حاضر** معهم أينما كانوا، ويتبعهم فى المنفى ويتألم معهم، فكأن **اللّه منفىٌ مع الشعب**، وبعودة إسرائيل إلى أرض الميعاد أو المعاد يعود اللّه إلى بيته، وبعودته يتجلى بغبطته على كل الوجود، ومن ثم فخلاص البشرية والوجود بأسره معلقٌ بمصير شعب اللّه.

وللقباليين على المستوى الأدنى **طقوس** تمتد بجذورها إلى الممارسات الأسطورية، وتتصل بالسحر واستخداماته، وبعلم التنجيم والسيمياء والفراسة وقراءة الطالع والكف وعمل الأحجبة والرُقَى وتحضير الأرواح، ولهم مخاطبات على المستوى الأرفع يحادثون بها العقول، ويشكل ذلك ما يسمى **بالقبالة العملية**، وعن طريقها يكون الاتصال بين النخبة الباطنية وعامة الشعب وخاصته على السواء.

أما **القبالة النظرية** فتقوم على التراث اليهودى، ولكنها تشكل غنوصاً تختلط فيه

الفلسفة الدينية اليهودية بالفلسفة الدينية العربية بسبب اتصال الفكر العربى فى العصور الوسطى التى قامت فيها القبالة ونشأت، وتكوّن بفعل هذا الاختلاط ما يسمى باللاهوت الصوفى اليهودى أو ما يطلق عليه اسم **القبالة الكلاسيكية**، وفيها يمتزج علم الكلام اليهودى بالفلسفة الأفلوطينية وفلسفة المشّائين العرب. ولعل أبرز العرب تأثيراً فيها **ابن سينا والفارابى**، ولعل أبرز الكتب تأثيراً هو **القرآن** نفسه، **ورسائل إخوان الصفا**. وتنهض فلسفتها على فكرة **الفيض الإلهى**، فالعالم كله من فيوض اللّه، ومراتب التجليات فيها عشر، أعلاها مرتبة **أعلى علّيين**، وأدناها **الحضور** أو «**الشخيناه**» أى حضور الرب مع الشعب المختار أينما كان، وبذلك يكون وجود اليهود أساسياً **لاتزان الكون**، بل إن رحمة اللّه لا تفيض إلا بسبب وجود اليهود مع الغير على الأرض. ويسرى هذا الاعتقاد القبالى فى معظم قيادات اليهود المسيحانية، أى التى تؤمن بظهور **المهدى المنتظر** أو بزوغ عصره الميمون، وخاصة فى أزمنة الاضطهاد، وتصدر عن روح التحدى والرغبة فى الهرب من الواقع بالعودة إلى أرض الميعاد أو المعاد. وكان ذيوع القبالة لهذا السبب بين **يهود أوروبا** بوجه خاص فى القرن السادس عشر، ثم بين **يهود أوروبا الشرقية** فى القرن الثامن عشر.

ومن كتبهم «**سفر ياتسيرا**» بمعنى كتاب الخلق، و«**الباهر**» و«**الزاهر**»، وكلها وضعت بين القرنين السابع والثالث عشر على **أقصى تقدير**، ولو أن بعض مؤرخيهم يحاول أن ينسب هذه الكتب إلى الفترة قبل الإسلام ليدلل على أصالتها، وأن واضعيها لم يتأثروا فى قليل أو كثير بالفلسفة أو الغنوص الإسلاميين، غير أن الشواهد تدل على عكس ذلك، فهناك **تراكيب عربية** ثابتة وتشابه واضح فى الطريقة.

ويعتمد **كتاب الخلق** على تصوير خلق العالم بتأثير تركيبات من **حروف** اللغة العبرية وعددها ٢٢ حرفاً، بالإضافة إلى الأعداد العشرة الأولى التى توصف بأنها العناصر الأساسية لكل حساب. وقد جاء فى الأثر أن **أريستوبولس** اليهودى (النصف

الأول من القرن الثانى قبل الميلاد) قد اعتبر ما جاء فى التوراة من تكرار للأعداد كالعدد **سبعة** (السموات سبع، وأيام الخلق سبعة، وقوى الإنسان سبع هى الحواس الخمس والنطق والعقل) هو أصل **نظرية الأعداد** عند **الفيثاغوريين**، فلما كان عصر المبعث **نحا حُيّي بن أخطب** من يهود يثرب إلى تأويل فواتح سور القرآن تأويلاً حسابياً، واستنباط مدة بقاء الأمة الإسلامية بمقدار السنين التى يعطيها الحساب الأبجدى لحروف مثل «ألم» (سورة البقرة) و«المص» (الأعراف)، ومن ذلك التأويل اليهودى المبكر دخل القول **بالحساب العددى للحروف** فى قصص التفسير مع غيره من الإسرائيليات، وقد أنكره أئمة المحققين، ومع ذلك فإن **فلسفة الحرف** التى يطرحها سفر ياتسيرا هذا أو كتاب الخلق قد أزكاها اشتمال **القرآن** على الفواتح الحرفية، لأن القرآن هو الكتاب المقدس الوحيد الذى نعثر فيه على مثل هذه الحروف التى يمكن أن تُأوّل مثل هذا التأويل طبقا لفلسفة الحروف السالفة، وبدونها لا تكون ثمة معان لهذه البدايات، وقد قيل فى تفسيرها أنها أسماء القرآن، وقيل هى أسماء اللّه العظمى، وقيل هى حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء اللّه تعالى ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه، وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه، أما تفسيرها العددى فقد أنكره ابن عباس وأثبت الزجر عنه. وقد ذكر **ابن إسحق** فى سيرته النبوية أن **ابن أخطب** قد حسب الألف بسنة، واللام بثلاثين، والميم بأربعين، والصاد بتسعين، والراء بمائتين، وهذا المنهج هو الذى أخذ به مؤلف **سفر ياتسيرا** نفسه، الأمر الذى يجعلنا نشك أن هذه الفلسفة أسبق من السفر، ويبدو أنها **سمة للتفكير اليهودى** أو **التفكير السامى** بالأحرى، وقيل إن يهود أهل الباطن لم يدوّنوها فى كتبهم إلا بعد أن قرأوها فى كتب التفسير الإسلامية منقولة عن اليهود، وأخصهم **سعدى الفيومى، وإسحق بن لطيف، وإبراهيم بن موسى بن ميمون، وباهى باقوده، وسليمان بن جبريل، وغيرهم كثيرون.**

ولقد برع **أبو هارون البغدادى** فى فلسفة الحرف والعدد هذه ونقلها من العراق إلى ايطاليا فى القرن التاسع. وعلى تعاليم البغدادى راجت فلسفة القبالة فى ألمانيا من خلال تلميذه **موسى كالونيموس** فى شكل **فرقة الأتقياء** أو **المتقين** المسماة عندهم **بالحصيدية**، وشيخ الحصيديين عندهم اسمه **الصدّيق**، والصدّيقية عند المسلمين مرتبة تأتى بعد مرتبة النبى وينسب إليها أبو بكر الصديق، ولا تعرفها كتب اليهود قبل ظهور الحصيدية فى أوروبا فى القرون التالية، وهى تُذكر فى كتب المتصوفة الإسلاميين، ومنهم انتقلت إلى أصحاب هذه الطريقة اليهودية من خلال متصوفة اليهود، وكانت اليهودية قبل أن تأخذ شكلها الأخير عند **مارتن بوبر** منهجاً أخلاقياً، تماماً كما كان التصوف الإسلامى طريقة أهل السلوك.

وعندما انتقلت الحصيدية إلى فرنسا تبنوها فى شكلها الذى صاغها به **إبراهيم بن حيا** فى كتابه «**مجلة المجلى**»، وهو كتاب إسلامى المضمون والشكل. وفى فرنسا أيضاً ظهر كتاب «**الزهار**» المؤلف الثالث لفرقة القبالة، وأما كتابهم الثانى بعد سفر ياتسيرا فهو «**الباهر**»، وهو أيضاً فى الفيض الإلهى، وفلسفته **فلسفة الباطنية** الأوائل من اليهود، وهى المسماة عندهم بفلسفة **المَرْكَبة**، وهى عند المسلمين **الرفرف الأعلى**، ولا ذكر للمركبة فى كتبهم قبل ذلك، وكما أن «**سفر الخلق**» نعرف منه أن اليهود من الآخذين به يدينون بعقيدة **الكثرة** أو **تثنية** مبدأ الخالق، وهو نوع من الغنوص، كذلك نعرف من «**الباهر**» أنهم من المؤمنين **بتناسخ الأرواح** وهو غنوص لا شك فيه.

ولقد حاولوا أن يروّجوا للقول بأن «**سفر الخلق**» هو **صحائف إبراهيم** التى ورد ذكرها فى القرآن، فيضفوا بذلك على الكتاب قداسة كقداسة التوراة، وكذلك حاولوا أن يدللوا على أن «**الزهار**» كتبه **سميون بن يوحاى** Simeon ben Yohai الذى عاش بعد ثورة بركوخبا، ولكن قيل بما لا يدع مجالاً للشك أن مكتشف الكتاب فى القرن الثالث عشر **موسى بن شمطوب** هو نفسه مؤلفه، وهو المعروف بموسى الليونى، نسبة إلى

ليون بفرنسا، والكتاب يوضح بكل جلاء تأثير القبالة الأندلسية التى نمت فى دائرة الثقافة الإسلامية، ومؤلفه كما يقول يحاول به أن يثبت للتوراة معان خاصة لا يتيسر استخلاصها إلا لأهل الحق، وهو يصف الحق وإخباراته عن نفسه، وأسرار الأسماء الإلهية، والخير والشر، والإنسان وماهية الروح، والخلاص بالماسيح والتوراة، ومعرفة السلوك بطريق التجلّى والتنزيلات الحِكَمية، وعلوم الأوامر والنواهى.

ولا شك أن التأثير الإسلامى لم يكن الوحيد فى تشكيل القبالة، فقد كانت هناك دائماً تأثيرات إيرانية وهندية ومسيحية، وفعلت هذه الفلسفات فعلها فى التصوف الإسلامى وعلوم الباطن اليهودية على السواء، ولكن غالبية التأثير جاء من الإسلاميين، **فالله** فى «الزهار» هو **الأزل** المطلق، **وأبده** عين أزله، وأزله عين أبده، وهى مصطلحات إسلامية خالصة. وكذلك قسم الإسلاميون الزمان أدوارا، **والدور الكبير** عندهم هو من نزول آدم إلى رجوع إلياس القائم، **والدور الصغير** هو الذى بين النبى والنبى، والأنبياء هم **النطقاء**، وأول النطقاء هو آدم. وقالت الشيعة إن نوحاً أول من بنىَ الشرائع لأنه كما تقول التوراة غرس الخمر التى منها مخامرة العقول ومدهشة الأذهان، وإبراهيم هو الذى وضع مراتب الحدود بعده فأضاف إلى إسحق الذى قلّده **الإمامة**، وليس للإمام إلا حفظ الظاهر واقامة اللواحق، وأضاف إلى إسماعيل الذى قلده **الأساسية** لأمة عظيمة وقد أخذت فرقة **الحصيدية** نظرية الإمامة من الشيعة الإمامية، والإمام عند هذه الفرقة هو **الصدّيق**، وهو أيضاً **الولىّ**.

ويجمع مؤرخو الفلسفة اليهودية على أن **نظرية الأدوار** لم تدخل اليهودية إلا فى القرن الثالث عشر من خلال القباليين، وقد ذكر هؤلاء أن **موسى بن عمران** هو صاحب الدور الرابع والناطق للدعوة، وشريعته تنسخ كل الشرائع.

ومن المؤرخين من ينسب نظرية **المهدى المنتظر** عند المسلمين إلى نظرية المسيح عند اليهود، ومنهم من يقول بل **نظرية الشيعة** هى الأصل، وقد وجد اليهود لها سنداً فى

توراتهم عند **دانيال وإشعيا وصموئيل** فى شكل عبارات تنبؤية، لكنها لا ترقى أن تكون نظرية، ولما أقاموها نظرية فإن بناءها يتضاءل إلى جانب بناء نظرية **المهدى المنتظر** عند المسلمين، وهى عند الشيعة أكمل وأتم، والشيعة يقولون إن **القائم** هو المهدى المنتظر، وإن **الأمة** التى تخرج من صلب إسماعيل هى أمة العرب، **والأساسية** معناها الكشف عن الحقائق، وإذا كان **بيت إسحق** قد أوكل به الشريعة الظاهرة، فإن بيت إسماعيل موكول به بسط الحقائق والكشف عنها، وأبوهما **إبراهيم** أبو الأنبياء هو **صاحب الأركان**، لأنه أول من أقام بيتاً لله وجعله **أربعة أركان**، مثلاً ودليلاً على من يأتى بعده من النطقاء، فركنان منهما دليل على **موسى وعيسى**، وهما ناطقان من بيت إسحق، وركنان دليل على **محمد والقائم المنتظر**، وهما من ولد إسماعيل.

وقد حدث أن نظرية القائم المنتظر عند المسلمين أوجدت جماعة من المدلّسين ادّعوا أنهم المقصودون بهذه التسمية، كما عند الدروز والبهائيين وأصحاب الباب، والحركة المهدية فى السودان، وحدث كذلك أن ادّعى كثير من اليهود أنهم المسيح الموعود كما عند **شبتاى تسفى وداود فرينك وإسحق لوريا**، بل إن دعوة عيسى بن مريم عليه السلام هى من هذا القبيل، واسمه عند أتباعه المسيح وهو يهودى كما نعلم.

والجدير بالذكر أن نبوءات العهد القديم يبنى عليها القباليون **نظرية المسيح** كنظرية لشعب **منفى**، فى حين أن المهدى عند المسلمين من **شروط** الساعة الكبرى، وهو ليس **بطلاً قومياً** كما عند اليهود ولكنه **صاحب المقام المحمدى** ذو الاعتدال فى أوج الكمال، ودولته عند المسلمين **أربعون** عاماً هى عدد مراتب الوجود، ولكنها عند اليهود **ألف** عام، ولا سبب عندهم لهذا العدد بالذات.

ولنلاحظ أن القبالة لم تتجه إلى التنبؤ وانتظار المسيح وتطوير نظريته إلا بعد طرد اليهود من أسبانيا سنة ١٤٩٢، وقبل ذلك كانت هناك عشرات من الكتب الإسلامية تسهب فى أخبار المهدى المنتظر وأشراط الساعة.

وقد اتجهت القبالة بعد الأندلس إلى فلسطين، تحسُّباً لنزول المسيح، واتخذت الحركة مكاناً لها في أرض الميعاد **صفد** ابتداء من سنة ١٥٣٠، وفي صفد لمع من القباليين **موسى بن يعقوب القرطبي ولوريا الأشكنازي**، ولا يضارع تأثير الأخير في القبالة إلا تأثير كتاب «**الزهار**» نفسه ويُعتَبر لوريا عودة إلى **الغنوص**، ولكنه قال بنظرية تختلف لأول مرة عن نظرية الفيض، مؤداها أن الخلق كان نتيجة تمدد وانكماش للقوى الإلهية يسميه **الزمزمة**. وجمعت قبالة لوريا بين **النظرية والتطبيق**، فكانت فلسفة وطريقة في السلوك، بالتركيز على الصلاة والشعائر كمنهج باطني للوصول إلى الله، وكعودة إلى ممارسة السحر بتأثير الكلمة.

ويبرر «**الزهار**» الشر في الكون بنظرية يقبسها من القرآن حيث يطلق على الأشرار اسم **أصحاب الشمال** (سورة الواقعة)، ومبدأ الشر في هذا الكتاب هو هذا **الشمال**، وله فيوض كفيوض مبدأ الخير الذي هو **اليمين**، واليمين والشمال هما ذراعا الله، ويطلق الفلاسفة على هذه النظرية عند القباليين اسم **نظرية أهل الشمال**، وأما الخلق فله نظرية يقبسونها كذلك من القرآن هي **نظرية الثِقَلَيْن** (سورة الرحمن) أو مبدأ الخلق من ذكر وأنثى. وهكذا ذهب القباليون إلى تقديم إجابات عن الأسئلة الكثيرة التي كانت تثار حول مسائل الشر والتوحيد وماهية الله والعدم والخلق، والتي بسبب خلو اليهودية منها كان يظن دائماً أن اليهودية دين ناقص، وأن العقائد اللاحقة جاءت لتكمله أو لتصححه، ومن ثم تنسخه، وعالجت القبالة هذه المسائل كلها بطريقة لا تخفى أصولها المركّبة على التحليل النقدي.



القراءون Karaites

من **المقرا** وهى التوراة، سميت كذلك لأنها كتاب الله المقروء، فى مقابل الكون كتابه المنظور. والقرّاءون مفردها قرّاء، وهو الداعية الدينى، لأنهم حملة الدعوة أن التوراة دون **التلمود** هى المصدر الوحيد للشريعة. وهم إحدى أكبر الفرق التى تفرّق إليها اليهود، وتقابلهم فرقة **الربّانية** وهم الأحبار.

وقيل إن ظهور القرّاءين واكب ظهور المسيح، وأنهم المنشقون الأوائل الذين تحدثت عنهم لفائف المخطوطات التى عثر عليها فى كهوف البحر الميت، والذين قيل إنهم آمنوا **بالمسيح** مخالفين سائر اليهود، باعتباره ولياً من أولياء الله المخلصين العارفين بأحكام التوراة، وليس باعتباره نبياً مرسلاً صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام، وأما **الإنجيل** فهو أحواله كما عايشها الحواريون. وينكر الربّانيون العلاقة بين هذه الجماعات المنشقة الأولى والقرّاءين، وإلا فأين كانوا طوال خمسمائة سنة من تاريخ نهاية هذه الجماعات إلى تاريخ ظهور القرّاءين المتمثل فى فرقهم الأولى **العيسوية والمقارية واليوذعانية والموشكانية**؟

ويقول الربانيون إن ظهور القراءين كان بتأثير تعاليم **القرآن والمتكلمين المسلمين**، وأن القراءين هم **معتزلة اليهود**، وجلّهم من الظاهريين، وأخذوا عن المسلمين القياس والإجماع، ويقولون بالاجتهاد، ورفضوا مِثلهم التشبيه، وموسيقاهم ومعظم مؤلفاتهم عربية، ويُنسَبون إلى اثنين هما **عنان بن داود** صاحب العنانية، **وبنيامين بن موسى النهاوندى** الذى قيل إنه أول من تسمّى القراءون باسمهم فى عهده، والأول يؤكد على الاجتهاد، والثانى فيلسوف الجماعة الذى استعان بفلسفة اليونان لينفى التشبيه عن اليهود، وفسّر قول الله تعالى فى سفر التكوين «لنصنع الإنسان على صورتنا ومثالنا» بأن **صيغة الجمع** لأن الله تعالى يتحدث باسمه وباسم الملاك المنوط به أمر الخلق وهو **اللوغوس** أو العقل الفعّال.

ومن شيوخهم البارزين **هارون بن اليسع** صاحب كتاب «**جنة عدن**»، ويسمونه **ميمون القرّاءين** على اسم موسى بن **ميمون** ، وكتابه صورة من **فلسفة الاعتزال** فى النصف الأول من القرن الرابع عشر.



القرظى Al - Kurzi

محمد بن كعب القُرَظىّ، من **بنى قريظة**، أسلم أبوه فى عهد الرسول، ويعد من الصحابة، ولكن لا تعرف له رواية، وأما **محمد** فقد عرف بروايته عن أحداث يهود مع النبى، وعن بعض أخبار بنى إسرائيل، وله روايات فى حديث الرسول عن بعض الصحابة، ويعد من **التابعين**، وقيل إنه ولد فى حياة الرسول وتوفى ما بين سنة ثمان ومئة وسنة عشرين ومئة، وعدّه علماء الحديث فى طبقة الثقاة الورعين.

ومن أحسن ما يستدل به من قصة **الذبيح** على أنه **إسماعيل** وليس إسحاق قول القرظى «فبشرناه بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب» قال فكيف تقع البشارة بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب، ثم يؤمر بذبح إسحاق وهو صغير قبل أن يولد له، هذا لا يكون لأنه يناقض البشارة المتقدمة.



القرقشانى Kirkisani

أبو يوسف يعقوب بن إسحق القرقشانى، عراقى، وكانت العراق موطن القرّاءين، والقرقشانى على مذهب **عنان والنهاوندى**، وكتابه «**الأنوار والمراقب**» فى معظمه تاريخ للفرق اليهودية والردّ على دعاواها.

والقرقشانى من دائرة الثقافة الإسلامية، وكان من حفاظ القرآن، وكتب «**فى التوحيد**» فأبان، ولكنه ينقل عن **المعتزلة**، واقتباساته كثيرة من القرآن، ومع ذلك فقد

كتب أيضاً «**كتاب فى إفساد نبوة محمد**»، أدلته فيه متهافتة.



قريشقش Crescas

(نحو ١٣٤٠ - ١٤١٠) **حسداى قريشقش**، أسبانى، يأتى فى المرتبة الثانية بعد **الميمونى**، وفلسفته يعارض بها فلسفة **أرسطو** كما طرحها **الميمونى** فى كتابه «**دلالة الحائرين**»، وكان الخارجون على الدين اليهودى يستخدمون هذه الفلسفة لتبرير إلحادهم أو إنكارهم للتراث.

وقد ألف قريشقش كتابه «**نور الله**» بروح التراث اليهودى، ينقض به كتاب الميمونى وكل ما يتصل أو من يتصل بفلسفة أرسطو، وتعرّض للفارابى وابن سينا والغزالى وابن باجة، وكان شديد النقد لابن رشد.

أما الميمونى فرغم نقده له إلا أنه لا يقلل من شأنه كيهودى، وإنما ينبه إلى أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وحيث يتنكب الميمونى التراث ويتبع أفكاراً من غير الملة فهو مرفوض، ويتوجه بنقضه للبناء الأرسطى لفكرة عدم إمكان اللانهائى التى يقوم عليها برهان أرسطو المسمى ببرهان **المحرك الأول**، وعند قريشقش أن الحقيقة الجسمية يمكن أن يكون لها حد نهائى خارج عنها وهو المسمى بالمكان الخالى، ومن ثم يعرّف المكان بأنه المتضمن اللانهائى للأشياء، وهو صورة وجود الكلى الإلهى، وكما تكون اللانهائية فى المكان فهى فى الزمان أيضاً والعدد. ويتميز **اللانهائى** بأنه غير مكتمل، ولا يمكن الوصول إليه عن طريق الزيادة المطلقة، ومن ثم فالتسلسلات اللانهائية ممكنة على غير ما يقول أرسطو، والسلسلة العلّية واحدة منها، وبذلك يبطل برهان المحرك الأول لأرسطو، ولكن يبقى **الدليل الوحيد على وجود الله** المأخوذ من إمكانية حدوث الأشياء، فطالما أن الأشياء ممكنة الحدوث فإن ذلك يقتضى وجود موجد لها بالضرورة تتحقق به هذه الإمكانية، والعالم حتى مع افتراض قِدَمِه، أى افتراض أنه بدون بداية زمنية، فإن ذلك لا يعنى أنه نشأ من العدم.

ويقر قريشقش على عكس الميمونى **بصفات موجبة لله**. فعبارة «الله عالِمٌ» تعنى عند الميمونى أن الله ليس بجاهل، ولكن الجهل عند قريشقش ضد العلم، ونفى الأول هو إثبات للآخر.

وكان ابن ميمون يقول إن **الذات الإلهية** فكر، وسعادتها أن تُعَرف، وعند قريشقش هى الفعلْ بمعنى الخلْق، والأشياء تصدر من الله بمقتضى كماله، ويحقق فيها أعظم الكمال الممكن لأنه ليس من حد عنده تعالى، وسعادته فى هذا الفعل، وبه يحفظ استمرار العالم، وهو الخير الذى يفيض من ذاته، وهو حب الله لمخلوقاته.

وعند أرسطو الفعل يستمد قيمته من نتائجه الاجتماعية، أى الخير العام، ولكن السعادة المتحصلة شىء لا يتحقق إلا باكتمال العقل للإنسان أى بالمعرفة، وما يتبقى من الانسان بعد الموت هو العقل المكتسب، أما **السعادة** عند قريشقش فهى تختص بالشعور وليس بالعقل. ومن ثم فلا يمكن أن يكون العقل هو غاية الإنسان، ولا يمكن أن يكون خير الإنسان فى المعرفة التى تتوقف عن النمو بالموت، ولقد سبق أن قال قريشقش إن الخير هو الحب، حب الله لمخلوقاته وحب المخلوقات لله، وهذا الحب فعل وليس نتاجاً للمعرفة، ومن ثم فالسعادة المتحصلة منه لا يختص بها الفلاسفة وحدهم، والوصول إليها ليس بواسطة تحصيل الحكمة، ولكن بلوغها يكون بالامتثال **لوصايا الله**، لأنها كلماته تعالى التى أراد بها خير الإنسان، وأسمى امتثال لوصاياه يكون فى النبوة، وهى أعلى درجات القرب من الله والاتحاد به، ومعنى أنها وصايا أن الله قد جعل فعلها **اختيارياً**، ومن ثم تكون **مسئولية** الإنسان عن اختياراته. والاختيار والمسئولية والجزاء مقدورات على الإنسان، **والجبر** عند قريشقش يختلف من ثم عنه عند الميمونى، فهو لا يسلب الإنسان ثمار عمله، ولا تفقد فيه تعاليم الدين مغزاها.



قصبى Caspi

(نحو ١٢٨٠ - ١٣٤٠م) **يوسف قصبى**، أرسطى على طريقة **ابن رشد**، كغالبية الفلاسفة من يهود جنوب فرنسا، حيث كانت **الرشدية** هى الفلسفة التى عُقِدت لها الرئاسة على سائر المذاهب والفرق اليهودية، وعنده إن فلسفة أرسطو وابن رشد تساوى فى مكانتها وتأثيرها الديانة اليهودية إن لم تكن تفوقها، وقد اعتبره الأحبار لذلك كافراً.



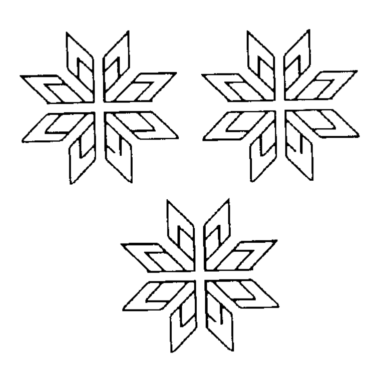
القنائيون Zealots

بالعبرية Qann'im مـن **قنا**Qanna الأرامية والعربية بمعنى اشتد غضبه، فهم **الغاضبون** أو القنائيون **أصحاب فلسفة العنف**، وهم أصل **الصهيونية**، قيل هم فريسيون أى متدينون، متطرفون، رفضوا الهيلينية وهى أولى محاولات التنوير اليهودية، ودعوا إلى **السلفية** بقصد تأكيد الذات اليهودية، وقد تزعمهم فكرياً المدعو **صادق**، كان من **مدرسة شماى** المتطرفة، وقالوا إن الله لا يعود إلى شعبه إلا إذا خلصت الأرض للشعب.

وغالت منهم جماعة أطلقوا عليهم اسم **السقارة** Sicarii، مـن **سقر** الأرامية والعربية بمعنى قاد على المحارم، وتقول كذلك سقرت الحرب إذا اشتد وطيسها، **والسقارة** هم الذين يحملون بشدة على المحارم، وكانوا يغيرون ويسلبون وينهبون، وقيل إنهم احتموا بمشادة Massada من شدّ الأرامية والعربية بمعنى عدا وغلب.

والمشادة فى الاصطلاح هى المكان يحتمون بتلّته، فقيل هى قلعة، وكان القنائية هؤلاء أو الغاضبون قد استولوا عليها عنوة وذبحوا حاميتها الرومانية، وقيل فى تفسير ذلك أن **عقدة المشادة** تسيطر على يهود إسرائيل، فهم لا يريدون أن يُحاصَروا فيقتلوا، ويُقسِم أفراد الجيش الإسرائيلى اليمين على أن لا تتكرر معهم المشادة، يريدون بذلك

ربط التاريخ القديم فيتصل الماضى بالحاضر، ويضخموا الذات اليهودية بقصد التأثير النفسى.





كروخمال Krochmal

(١٩٨٥ - ١٨٤٠) **نحمان كروخمال**، نمساوى شديد التمثّل بالميمونى، مؤلفه الوحيد **«دليل الحائرين لهذا الزمان»** على منوال كتاب «دليل الحائرين» للميمونى، قيل فيه إنه يبشّر بفلسفة فى التاريخ **قومية صهيونية**، تمتزج فيها الفلسفة المثالية عند **كنط وهيجل** بالتراث الفلسفى اليهودى ابتداء من **فيلون** حتى **مندلسون**، ويصف ما يكتبه بأنه محاولة لإقامة **علم** فى اليهودية **كعلم الكلام**، ويسمّى الله على طريقة هيجل **بالروح المطلق**، ويصفه بأنه الحقيقة اللامتناهية التى صدرت عنها الحقائق المتناهية، ويقابل هذا الصدور فعل الخلق فى الدين، والمقصود بالخلْق من العدم أن الله قد خلق العالم من نفسه، ولا تناقض بين **الدين والفلسفة**، فكلاهما معرفة تختلف فى الشكل أو الدرجة، والأولى معرفة بالروح بالصور، والثانية معرفة بها بالأفكار.

ويستخدم **كروخمال** فلسفة **فيكو وهيردر** فى التاريخ ليبرر قول اليهود بتفوق الروح اليهودية، وعندهما أن لكل أمة مبدأ روحيا هو أساس وجودها وموجّه تاريخها، وتاريخ كل أمة يمر بمراحل يفاعة وازدهار وذبول، وروح الأمة تموت باندثارها، فإذا كانت روحا قوية فإنها لا تموت، بل تنتقل إلى أمة أخرى بالتمثّل والاستيعاب، ولقد بادت الأمم القديمة إلا إسرائيل، والسبب فى بقائها أن روحها من **روح الله**، وترتبط بعلاقة **خاصة** بالروح المطلق، وليس معنى استمرارها أو خلودها أنها خارج التاريخ، ولكنها على العكس تعيش التاريخ، بتجديد حياتها، وباستمرارها فى البقاء، وبتجدد نبوّاتها.



الكسائيون Elkesaites

فرقة قيل كان قيامها فى أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثانى للميلاد فى وادى الأردن. وقيل كانت نسبتهم إلى مؤسسها ويقال له **الكسائى** Elkesai، وقيل بل الكسائى هو الكتاب المنسوب إليه، وقيل إنه كتاب قرأه عليه الوحى على فترات متباعدة، وقيل بل الرجل اسمه **القصى** أو **القاصى** مشتق من الأرامية بمعنى **المستتر**.

والكسائيون موحدون، وشريعتهم هى شريعة موسى، غير أنهم يؤمنون بالآخرة والبعث والحساب والعقاب، ونبيهم شاهد عليهم وشفيعهم يوم القيامة، ولأنهم قالوا بالاغتسال فى النهر بقصد التطهر سمّوا **بالمغتسلين**. وقيل إنهم ابتدعوا التقية، وقالوا مَثَل المسيح كَمَثَل آدم.



كعب الاحبار Ka'b al - Ahbar

أبو إسحق كعب بن ماتع بن هيسوع الحُمْيَرى، أحد المسئولين عن إدخال الإسرائيليات فى التفسير، أصله من يهود اليمن وأدرك زمن الرسول، لكنه لم يدخل فى الإسلام إلا فى أيام أبى بكر أو عمر، وعرف بين المسلمين **بكعب الأحبار وبكعب الحبر**، من باب التعظيم والتقدير لعلمه، وأتاه هذا اللقب من علمه بكتب الأنبياء وبأخبار الماضين، فقد ذكره **أبو الدرداء** فقال إن عند ابن الحُمْيَرى لعلماً كثيراً، وقال عنه **معاوية** إن كعباً أحد العلماء، وإن علمه كالبحار، ولكن آخرين طعنوا فيه ليهوديته ولم يثقوا فى إيمانه، وسلكوه ضمن جماعة **السبئيين** التى يرجعون إليها كل الفتن السياسية وأكاذيب الرواية فى الصدر الأول، واستشهد **السيد رشيد رضا** صاحب **تفسير المنار** على كذبه بما جاء عنه فى **صحيح البخارى** على لسان **معاوية** أيضا: كان كعب الأحبار من أصدق المحدّثين الذين يحدّثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلوا عليه الكذب.

ويروى **ابن جرير** بسند ضعيف أنه جاء إلى **عمر بن الخطاب** قبل مقتله بثلاثة أيام، قال له أعهد فإنك ميت فى ثلاثة أيام. قال عمر ما يدريك؟ قال أجده فى كتاب الله عز وجل فى التوراة. قال عمر إنك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة؟ قال اللّهم لا، ولكن أجد صفتك وحليتك وأنه قد فنى أجلك.

ويستدل **السيد رشيد رضا** من هذه القصة على وقوف كعب على مكيدة قتل عمر ثم وضعها هو فى هذه الصيغة الإسرائيلية، غير أن الكثيرين يرون فى القصة نموذجا للافتراءات على كعب، لأنه لو صحّ أنه كان من المتآمرين على عمر لما كشف نفسه، ولبالغ فى كتمان المؤامرة والتنصّل من تبعتها، ولكان عمر قد استشار فى أمر ما أعلمه به كعب **عبد الله بن سلام** وغيره من اليهود الذين أسلموا، لأنه لو كان فى التوراة حقا لما اختص بعلمه كعب وحده، الأمر الذى يجوز أن يكون بعض ما روى عن كعب مما ذكره **الطبرى والثعلبى والكسائى** قد حُمِلَ عليه، لأن فيه ما هو إسرائيلى صحيح وما هو محض افتعال وخلط.

ويستبعد **ابن الجوزى** أن يكون معاوية قد قصد تكذيب كعب عندما قال عنه كنا لنبلوا عليه الكذب، فالمعنى أن بعض الذى يُخبِر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبا، لا أنه يتعمد الكذب، وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحبار. وإنا لنجد **بشر بن سعيد** يحذر من تخليط الرواة عن كعب وغيره فيقول اتقوا الله وتحفّظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدّث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم، ويحدثنا عن كعب الأحبار، ثم يقوم فأسمعُ بعضَ من كان معنا يجعل حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلم عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فاتقوا الله وتحفّظوا فى الحديث.

وينسب **الثعلبى** فى كتابه قصص الأنبياء إلى كعب أن إبليس تغلغل إلى الحوت الذى على ظهره الأرض، فوسوس إليه وقال له أتدرى ما على ظهرك يا لوتيا من الأمم

والدواب والشجر والجبال وغيرها ، لو نفضتها أو ألقيتها عن ظهرك أجمع لكان ذلك أريح لك، قال فهَمّ لوتيا أن يفعل ذلك، فبعث الله تعالى إليه دابة، فدخلت فى منخره، فوصلت إلى دماغه. وروى **الحافظ بن كثير** عن كعب أن معاوية سأله عن صخرة بيت المقدس، فقال الصخرة على نخلة، والنخلة على نهر من أنهار الجنة، وتحت النخلة مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم ينظمان سموط أهل الجنة حتى تقوم الساعة.

وفى قصة أهل الكهف ينسب **الثعلبى** إلى كعب قوله عن كلبهم أنهم مروا بكلب فنبح فطردوه مراراً، فقام الكلب على رجليه رافعاً يديه إلى السماء كهيئة الداعى، فنطق فقال: لا تخافوا منى، أنا أحب أحباب الله فناموا حتى أحرسكم!

وفى قصة هاروت وماروت ذكر **ابن كثير** قول الثعلبى أن امرأة اسمها الزهرة احتكمت إلى الملَكين، فراودها عن نفسها فأبت إلا أن يفشيا لها سر الآية التى يصعدان بها إلى السماء، فأعلماها ذلك، فتكلمت بها وصعدت إلى السماء، فمسخها الله تعالي كوكباً، يدل عليه قول النبى عليه السلام كلما رأى سهيلاً: لعن الله سهيلاً، كان عشّاراً باليمن، ولعن الله الزهرة فإنها فتنت ملَكين. فقال إنه من افتراء الزنادقة على النبى، وأقرب ما يكون فى ذلك أنه من رواية **كعب الأحبار** وليس عن النبى صلّى الله عليه وسلم.والثقات من المحدّثين لم يرفعوا هذه الرواية إلى النبى وإنما وقفوها على كعب وأضرابه.

وفى تفسير قوله تعالى قالوا يا بشرى هذا غلام وأسرّوه بضاعة (يوسف ١٩)، روى **عن كعب أنه قال: كان يوسف حسن الوجه، جعد الشعر، ضخم العنق، مستوى الخلق،** أبيض اللون، غليظ الساعدين والعضدين، خميص البطن، صغير السُرّة، إذا ابتسم رأيت النور من ضواحكه، وإذا تكلم رأيت فى كلامه شعاع الشمس من ثناياه، لا يستطيع أحد وصفه، وكان حُسنه كضوء النهار عند الليل، وكان يشبع آدم يومن خلقه الله وصوّره ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية.

وعند قوله تعالى إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض (الكهف ٩٤) روى عن كعب أنه قال هم نادرة ولد آدم، وذلك أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب، فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج، فهم يتصلون بنا من جهة الأب دون الأم.

وعند قوله تعالى واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صدّيقا نبيا، ورفعناه مكاناً عليا(مريم ٥٦ ، ٥٧)، ذكر **ابن كثير** أن كعبا قال: أما إدريس فإن الله أوحى إليه أنى أرفع لك كل يوم مثل عمل جميع بنى آدم. فأحبّ أن يزداد عملا فأتاه خليل له من الملائكة، فقال له إن الله أوحى إلىّ كذا وكذا فكلّم لى ملَك الموت فليؤخرنى حتى ازداد عملا، فحمله بين جناحيه حتى صعد به إلى السماء، فلما كان فى السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدرا، فكلّم ملك الموت فى الذى كلّمه فيه إدريس، فقال وأين إدريس فقال هوذا على ظهرى، قال ملك الموت العجب بعثت وقيل لى أقبض روح إدريس فى السماء الرابعة، فجعلت أقول كيف أقبض روحه فى السماء الرابعة وهو فى الأرض. فقبض روحه هناك، فذلك قول الله ورفعناه مكانا عليا. ويعلّق على ذلك ابن كثير أنه من **الإسرائيليات** وفى بعضه نكارة.

وفى **السراج المنير للخطيب الشربينى** يروى عند قوله تعالى وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علّمنا منطق الطير (سورة النمل١٦) عن كعب أنه قال :إن ورشان (نوع من الطيور كالحمام) صاح عند سليمان، فقال أتدرون ما يقول، قالوا لا، قال إنه يقول لدُوا للموت وابنوا للخراب. وصاحت فاختة (طير يشبه الحمام)، فقال أتدرورن ما تقول، قالوا لا، قال فإنها تقول ليت ذا الخلْق لم يُخلقَوا. وصاح طاووس، فقال أتدرون ما يقول، قالوا لا، قال فإنه يقول كما تدين تدان.. إلى آخره.

ويذكر **الألوسى** فى تفسيره أن قيس بن خرشة اصطحب كعب الأحبار، حتى إذا بلغا صفين وقف كعب ثم نظر ساعة ثم قال: ليهراقن بهذه البقعة من دماء المسلمين شىء لا يهراق ببقعة من الأرض مثله، فقال قيس وما يدريك فإن هذا من الغيب الذى

استأثر الله تعالى به، فقال كعب ما من الأرض شبر إلا مكتوب فى التوراة الذى أنزل الله تعلى على موسى، ما يكون عليه وما يخرج منه إلى يوم القيامة. وعلّق عليه الآلوسى بقوله ولعل ذكر ذلك من باب الرمز كما ندّعيه فى القرآن. وقد أثار هذا **التأويل الصوفى** الذى ذكره الألوسى ثائرة **السيد رشيد رضا**، فقال فى تفسيره وأنا أظن أن هذا القول موضوع على كعب، وتأول الألوسى له هذا القول الظاهر بطلانه بالبداهة.



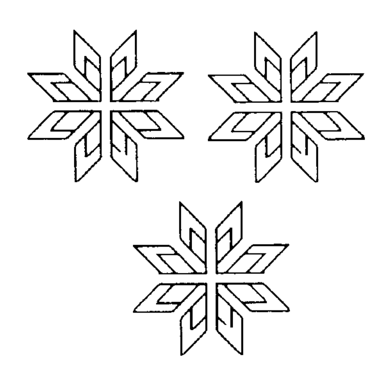
كوهين Cohen

(١٨٤٢ - ١٩١٨) **هيرمان كوهين**، ألمانى، اشتهر كمفسر **لكنط**، وقيل إن مذهبه يتجاوز فلسفة كنط، وإنه لذلك **كنطية محدثة**، وهو المذهب الذى ظل يدرّسه لطلبته المسيحيين طوال اشتغاله بجامعة ماربورج، فلما خرج منها والتحق بالتدريس **بالمعهد اليهودى للدراسات العليا** ظهرت له فلسفة أخرى هى **اليهودية** سافرة غير مقنعة.

وكان **ترايتشكه** المؤرخ قد كتب ينّبه إلى أن **فلاسفة اليهود الألمان** يبشرون بتعاليم تبدو حديثة، باصطلاحات معاصرة، ولكنها فى الواقع يهودية خالصة، وأنهم دأبوا على التعلق بالفلسفات الكبرى يبرزون من خلالها مفاهيمهم الدينية الخالصة، ويوجهونها بتفسيرات فيها الكثير من التهجّم على المسيحية، وتفصح عن ولاء لا شك فيه لليهودية كديانة وقومية، وهو ما يتعارض مع ديانات وقوميات الشعوب التى يعيشون بينها.

وكانت محاولة كوهين الردّ عليه بداية وضوح حقيقة اتجاهاته وانتماءاته الفكرية التى تعتبر قلبا للفلسفة التى كان يدرسها بماربورج، فكان يقول إن **الدين** ليس من أقسام الفلسفة، فأصبح يقول إنه الركن الركين للفلسفة. وكان يردد بأن **الله** فرضية منطقية يلزم عن القول بوجود مَثَل أعلى للعالم ينبغى تحقيقه، فصار يقول إن الله هو مصدر

الفكر والعقل والأخلاق جميعا. وكان يؤمن بالصيرورة، **فتحوّل** عنها **إلى الوجود**، وقال إن الوجود لله، والصيرورة للعالم، وبينهما تلازم يتبدّى فى محاولة الإنسان تقليد الله، بالأخذ بالأخلاق أو **الوصايا** الإلهية، كى تكون للإنسان قداسة كقداسة الله. وربط بين الإنسان والله برباط **روح القدس**، وهو عنده ليس وسيطا كما فى المسيحية وعند فيلون، ولكنه علاقة تقوم بين الله والإنسان ولا تنتسب لأى منهما وحده، لأن اليهودية تعتبر الإنسان **شريكا** لله فى عملية الخلق، ونصيب الإنسان فيها استحداث الوحدة الإنسانية، وهذه هى **رسالة اليهود** بحكم إيمانهم بإله واحد قد اختصهم برسالة التوحيد، وصارت إليهم منذ البداية **مهمة التوحيد** التاريخية بين الأجناس والشعوب، وهو الشىء الذى أسماه ترايتشكه ولاء مزدوجا. **والماركسية** عند كوهين هى جهد يهودى عصرى لتحقيق هذه الغاية، لأن الماركسية هدفها الوصول بالإنسانية إلى المرحلة المسيحانية من الوحدة بين المظلومين والمضطهدين فى العالم كله، فتتحقق العدالة للجميع ويسود العالم السلام الأبدى. وعلى هذا الأساس من الفهم لرسالة اليهود واليهودية لم يقبل كوهين **الصهيونية**، لأنها فى رأيه ضد هذه **الوحدة العالمية** التى يقول بها كرسالة لليهودية.





اللاوى Ha Levi

(القرن الثالث عشر) **موسى بن يوسف اللاوى**، من دائرة الثقافة الإسلامية، له كتاب «**الرسالة الإلهية**» باللغة العربية، يثبت به على طريقة **الغزالى** وجود علّة أولى، ويقول مع **الفارابى** إن العقل الأول هو المحّرك الأول. وفى مسألة الصفات أثبت لله صفات ذاتية وصفات فعلية. وقال مع المتكلمين المسلمين إن إثبات صفات قديمة لله لا ينتهى إلى تعدد وكثرة. والصفات إيجاب وسلوب، ومعنى قولنا إن الله عالم، هو إثبات لذاته ونفى الجهل عنه.



اللاوى Ha Levi

(نحو ١٠٧٥ - ١١٤١) **يهودا اللاوى** أو **أبو الحسن اللاوى**، أندلسى من دائرة الثقافة الإسلامية، اشتهر كشاعر وفيلسوف، وشعره تقليد للقصيدة العربية فى البحور والموضوعات، ومعظمه شعر مراثى، والقليل منه وطنى، ومؤلفه فى الفلسفة «**كتاب الحجة والدليل فى نصرة الدين الذليل**» كتبه بالعربية، وترجم إلى العبرية. قيل إنه انتهى منه فى عشرين سنة، وكتبه رداً على سؤال لأحد اليهود القرّاءين. والكتاب دفاع واضح عن اليهودية ضد **الفلسفة اليونانية** أولاً التى يعتبرها من أعدى أعداء الدين عموما، وضد الديانتين المسيحية والإسلام، اللتين يعتبر أن أقصى ما يمكن أن يوجه إليهما من نقد أنهما ديانتان لا تقومان على شهادة الشهود، بمعنى أنه لم يحدث فى أى منهما أن كلّم الله جهاراً نهاراً شعبه على مرأى ومسمع من ستين ألف من

الحضور. ولنذكر أن فيلسوفاً آخر هو **يوسف ألبو** قد نبّه إلى أن الحضور كانوا خمسين ألفاً، وأشار سفر الخروج (٢٤/١-٩) إلى أنهم كانوا ٧٣ بخلاف موسى، فأى تضارب!! و يتخيل اللاوى كإطار لكتابه أن أحد الملوك الوثنيين وقد امتلأ قلبه بالخير قد رأى رؤيا، فعلم أن أفعاله لاتتمشى مع نواياه، فاستقدم من يخبره من المختصين كيف يمكن أن يكون سلوكه صحيحا، وكان من هؤلاء فيلسوف على مذهب أرسطو وهو أفضل المذاهب المعروفة، وحبر يهودى، وراهب مسيحى، وفقيه مسلم. ولأن الملك من قبائل الخرز فقد اشتهر الكتاب فى ترجمته العبرية باسم «**الخرزى**».

وينقسم الكتاب إلى خمسة أجزاء. وفى الجزء الأول يتكلم الأربعة ويطرح كل منهم وجهة نظره ويبين سمو قصده وعلو كعبه، فينحاز الملك إلى الفيلسوف، ولكنه عندما يعلم أن اليهودية قد سبقت الفلسفة إلى كل ما توصلت إليه الأخيرة، وأن باعها فيه أرسخ وأقدم، وأن المسيحية والإسلام إنما قاما على اليهودية وتقليداً لها، ينصرف عن الجميع إلا الحبر اليهودى.

والأجزاء الأربعة حوار خالص بينه وبين الملك، يسأله فى الجزء الثانى عن صفات الله، ولكنه يحكى له عن التجربة الإسرائيلية العملية بالله، ويؤثر أن لا يكون حديثه إليه فى مسائل نظرية. والحديث عن التجربة الإسرائيلية معناه أن يخوض فى معنى النبوة، وسرّ اختيار الله لشعب إسرائيل، وأن تكون هذه الأرض بالذات لشعب إسرائيل، ومعنى أن يكون للشعب أرض، وأن تكون هذه الأرض فلسطين بالذات، ومعنى أن يكون حديث الله للشعب بالعبرية، والسبب فى قيام بيت الرب بعد هذا كله فى فلسطين.

وفى الجزء الثالث يشرح له واجبات الشعب حيال الله، المتمثلة فى العبادات، ومعنى أنها أوامر إلهية تنزّل بها الوحى، والحاجة إلى السُنّة لتشرحها، ومن ثم فإن انصراف القرّاءين من اليهود عن السُنّة أمر يتنافى مع مقتضيات الواجب، لأن السُنّة تشرح التنزيل، وبدون هذه الشروح لن تقام الشريعة على وجهها الصحيح.

وفى الجزء الرابع يتناول أسماء الله الحسنى، ويفرق مثلا بين اسمه تعالى **ألوهيم** أو الله، واسمه **أدوناى** أو الرب، والأخير هو اسمه تعالى كموجود يستخلص وجوده العقل، ومن ثم فاسم **الرب** هو اسمه الفلسفى، أو اسمه عند الفلاسفة، ولكن اسم **الله** هو اسمه الذى يكشفه الحق سبحانه لشعبه، ويطلب من شعبه أن يختصه به، ومعنى ذلك أن لهذا الشعب مكانة خاصة عنده. والنبوة هى خاصية الشعب الذى يمتلكها كملَكة يتفرد بها على سائر الشعوب، ومعرفته بالله تتأتى عن طريق هذه الملَكه كمعرفة فريدة، وهى لذلك أساس كل المعارف العِلمانية، وكل العلوم تستقى منها، واليهود أسبق من غيرهم إلى هذه المعارف، وسِفْر التكوين كتاب علمى، تنزّل به الوحى على إبراهيم من قبل موسى. وعند هذه النقطة يبدأ الجزء الخامس ويجد الحبر أنه لابد أن يتوجه بكلامه إلى الفيلسوف، فالموضوع يتعلق بالمعرفة، والفلسفة هى المَلِكه المتوجة على كل المعارف. وهو يستعرض تاريخها ويبين أوجه الضعف فيها وتهافتها، ولا يفوته أن يدحض المتكلمين ويسّخف علم الكلام عند المسلمين.

ولكن يهودا اللاوى برغم تطاوله على **الإسلام والمسلمين**، فإنه فى كل مايطرح من شروح للفلسفة ينقل عن المسلمين وخاصة **ابن سينا**. وفى كل دفوعه ضد الفلسفة يأخذ عن **الغزالى** وخاصة تحفته «**تهافت الفلاسفة**». وبيانه عن الشريعة والسُنّة المفسِّرة والعقل والنقل يقبسه من **علم الكلام** والثقافة الإسلامية. ومصادره عربية خالصة. واللغة الوحيدة التى يتقنها بالإضافة إلى العبرية هى **اللغة العربية** وعاء هذه الثقافة ووسيلتها.



لوريا Luria

(١٥٣٤ - ١٥٧٢) **إسحق بن سليمان لوريا**، وشهرته **إسحق لوريا** أو **إسحق الاشكنازى لوريا**، من أهل الباطن، وصاحب مذهب فى فلسفة القبول المعروفة

بالقبالة، وكان قد تعلم **بمصر** ولكنه انتقل فى أخريات أيامه إلى **صفد** بفلسطين وكانت مركزاً من أكبر مراكز هذه القبالة، وفيها صاحب **موسى القرطبى** من **أقطابها**، وتتلمذ عليه نحو الثلاثين من القباليين، منهم **حاييم فيتال** Vital الذى دوّن **أقواله** وتوفر على إذاعتها.

وفلسفة لوريا **مسيحانية**، أى تقول بالمهدى المنتظر الذى هو عندهم المسيح المخلص، وهى التى رسّخت المفهوم المسيحانى فى الفلسفة اليهودية، وكانت المدرسة التى تعلم فيها المسيحانى الأكبر **شبتاى** صاحب الفلسفة الشبتية.

ولوريا يقول إن كل **فعل إنسانى** محسوب على صاحبه، والأفعال تتجاوز تأثيراتها الظاهرة، ومعانيها الباطنة أبعد وأوغل فى نتائجها، وهى جزء من حركة الكون العامة، وغايتها غاية كونية، وهى أن تعمل فى انسجام مع الكل على حفظ دولاب الكون بغير خلل وفى تناسق واتزان. وليس تخليص الكون مما فيه من فساد والناس مما انغمسوا فيه من شر هو عمل المسيح وحده، ولكن **الخلاص رسالة شعب إسرائيل كله**، بأن يراعى الشعب الناموس فيعتدل ميزان الكون، وإذن يظهر المسيح ليحكم بالعدل ويفشى السلام.

وليس طغيان **الشر** إلا لأن الشريعة معطلة، والفساد الروحى لابد أن يقابله فساد كونى، وكلما زاد الفساد واستشرى الشر كانت الحاجة إلى مجىء المسيح أَمَسّ، وكان لوريا يؤمن أنه هو نفسه المسيح بن يوسف، وكانت له شطحات وتنبؤات، وهو القائل بأنه فى البدء لم يكن ثمة إلا الله، فكان الله هو كل الوجود، ولكنه جمع نفسه وتزمزم.

ومبدأ الزمزمة Zimzmum هذا من أركان مذهبه، ويعنى أن الله قد ردّ أطراف ما انتشر منه فسمح بفراغ ملأته موجودات فاضت منه وتخلّفت من نوره، ومايزال مبدأ الفيض يحكم الوجود، وأن النور الذى يشعّ من ذات الله أو من عين صفاته لهو هذه الصفات، فالصفات بعضه وهى فيضه، وصفاته عشر يسميها **سَفَرة** Sephirot هى

نفسها سفرة القرآن أو الملائكة، تسفر عن النور الإلهى أو تحمله، فهى حوامل النور أو مراكبه.

ولوريا كى يبرر الشر يقول إن بعض هذه المراكب لم يقو على حمل النور فتكسر وتشتّت النور وتبعثر واختلط بالظلام، فامتزج الروحانى بالمادى، ونفذ الشر والظلام إلى العالم.

والإنسان رسالته الإصلاح، وعمله تخليص الأنوار من الشوائب لأنه بذلك يُعجّل بمجيء المسيح، ويسمى لوريا هذا التخليص أو الخلاص **التقن** Tikkun، والتِقْن هو الرسابة أو الخثارة تخلص من شوائبها، والتقن هو **المبدأ الثالث** من مذهب لوريا، وهو يتحقق بمراعاة الناموس، وهو عملية طويلة من التأمل والدراسة.

✲ ✲ ✲

لوزاتو Luzzatto

(١٨٠٠ – ١٨٦٥) **شموئيل داود لوزاتو**، سلَفىّ، شديد المَقت **لإبراهيم بن عزرا والميمونى**، لصبغهما اليهودية بالفلسفة، وعنده أن الباحثين عن الحقيقة **قسمان**، جماعة راشى وشموئيل بن مائير، وأتباع الميمونى وابن عزرا.

وهو ضد **التأويل** ولو أنه يأخذ به أحيانا. وفلسفته بها الكثير من فلسفة يهودا اللاوى، والميمونى فى رأيه مفكر يهودى عظيم، ولكنه يعتقد أن النبى موسى لم يكن له اشتغال بالفلسفة، ولم تكن له أحلام أرسطو وخيالاته، ووجه لوزاتو أشد النقد لأصول الدين عند الميمونى، واعتبر محاولات النهج على منوال فلاسفة اليونان عند الآخذين بالاتجاهات العقلية هى المسئولة عن ازدهار الباطنية وشطحاتها القبالية كرد فعل لهذه الاتجاهات.

وهو يعارض الروح الهيلينية أو **الأتيكية** كما يسميها، بالروح اليهودية، وعنده أن الأولى عقلية عِلمانية، والثانية روحية لاهوتية أخلاقية، وتمثل الأولى فى العالم القديم

الأرسطية، وفى العالم الحديث الكنطية.

وعنده أن **عبادة التقدم والفلسفة النفعية**، وهما غاية دعوات التحرر التى يحفل بها الفكر اليهودى الحديث، هما نقيض التفكير وأسلوب الحياة اليهوديين، وهو لم ينفعل بشىء فى حياته بقدر انفعاله بالاحتقار لأسلوب **الحضارة الغربية** وتفكيرها.

وفى كتابيه «**اللاهوت الأخلاقى الإسرائيلى**» و «**أصول التوراة**» يقول لوزاتو إن الفلسفة اليهودية، أو اللاهوت اليهودى بمعنى أصح، يقوم على الاعتقاد الراسخ بالوحى والتراث والشعب المختار. ورسالة فلاسفة اليهود ينبغى أن تكون هى الذود عن هذه القيم ضد العقلانية الغربية التى يسميها **العقلانية المسيحية**، والنظرة النسبية التاريخية التطورية التى تمثلها.

وفلاسفة اليهود، بحكم أنهم يهود، هذه رسالتهم، لأنهم جزء من الشعب الذى اختاره الله لمهمة حفظ وصاياه وشريعته، وهو ضامن هذه الديانة المنزّلة، واللغة العبرية لغة مقدسة لأنها وعاء هذا الدين، وهى اللغة التى فضّلها الله على سائر اللغات.

ولاشك أن هذا التعصب الواضح، أو الوطنية الظاهرة عند لوزاتو كانت **بشائر التفكير الصهيونى**، بل إن لوزاتو ذهب إلى حدّ دعوة الشباب إلى الهجرة إلى فلسطين، لأنه بالعودة إلى الأرض المقدسة تعود النبوة إلى الشعب، ولأنه بالعودة يعود الاتصال الذى انقطع بالله.



ليفن Kurt Lewin

(١٨٩٠ - ١٩٤٧) **كورت صدّيق ليفن**، عالم نفس ألمانى هاجر إلى أمريكا عقب تولى النازى (١٩٣٢).وارتبط اسمه من أول الأمر بعلماء **مدرسة الجشطلت** اليهود، واشتهر بتطبيقاته للنظرية الدينامية على المجالات التى يمكن أن يفيد اليهود سيكولوجيا من دراساته لها، وله دراسة رائدة على **الجماعة المستبدة** (١٩٣٩)، تدين

النُظُم الفاشية.

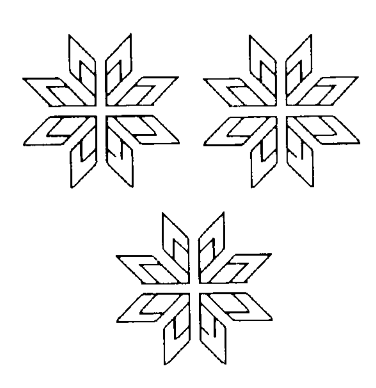
ومن الغريب أنه لم يعتبر **الصهيونية** أيديولوجية فاشية، وتغاضى عن فلسفتها التوسعية العدوانية، بل ووصفها بأنها ضرورة سوسيولوجية كحلّ للمسألة اليهودية، فلكى يكون لدى اليهود انتماء اجتماعى، ولكى يتطور هذا الإحساس لديهم بالانتماء تطوراً سويا، ولكى تتربى لديهم ارتباطات إنتاجية بالبيئة والطبيعة، يتوجب أن يكون لهم وطن، وأن يساعدهم العالم الحر على استيطان فلسطين أرضهم التاريخية.

ومن أجل ذلك زار ليفن **فلسطين** أكثر من مرة، وقبل كرسى علم النفس بالجامعة العبرية، ووافق على الإشراف على تأسيس معمل نفسى بها، ثم توفر على دراسة مشكلة **التوافق الاجتماعى** عند اليهود بوصفهم أقلية فى المجتمع الأمريكى، وخَلُصَ إلى أن تربية الطفل اليهودى على تقبّل واقعه كيهودى، وتعميق انتمائه باليهود، يقلل من إحساسه بسوء التوافق فى المستقبل.



ليون العبرى Leon Ebreo

(أنظر يهودا أبرابانيل).



باب الميم

ماركس Marx

(١٨١٨ - ١٨٨٣) **كارل ماركس**، مؤسس الشيوعية وفلسفة المادية الجدلية والتاريخية. وكان أبوه محاميا ألمانيا صدر قرار بمنعه من ممارسة المحاماة بسبب يهوديته، فاعتنق المسيحية تقاة، وعمّد أبناءه الثمانية وكارل فى السادسة، وهى طريقة اليهود كلما أعوزهم الأمان، يلجأون إليها أحيانا فُرادَى، وأحيانا بشكل جماعى، حتى إذا أمكنتهم الفرصة عادوا إلى إظهار دينهم.

ولكن كارل ماركس تنكر للمسيحية ولم يعد لليهودية. وفى كتاب «**المسألة اليهودية**» ذكر أن اليهودية استحالت بعد النفى إلى **عقيدة تاجر**، وأن المسيحية بانتقال أوروبا من الإقطاع إلى الرأسمالية أصبحت يهودية على نحو ما، واستحال المسيحى البورجوازى العملى يهوديا.

وتسبّب الكتاب فى هجوم اليهود والمسيحيين معاً على صاحبه، وعدّه اليهود عدواً للسامية. ولكن **موسى هيس رائد الصهيونية** نبّه إلى التراث اليهودى فى الماركسية، فالكتاب رغم ما فيه من عبارات عنيفة ضد اليهودية إلا أنه قد صيغ بطريقة الكتابات التنبؤية عند أنبياء إسرائيل، من أمثال دانيال وحزقيال وإرميا. حيث يقول ماركس إن اليهود قد صاروا دنيويين، وأنهم باتخاذهم الربا قد صار إلههم إلها عِلمانيا، فعبدوا المال ونصّبوه إلها يغارون عليه، واستحالت **المتاجرة** ديانتهم الحقيقية، وبجانب **المال** لم يعد يعيش إله آخر، ويكشف التلمود عن ازدراء للتفكير الفلسفى وللفن وللإنسان نفسه كغاية فى ذاته، هو فى حقيقته ازدراء **رجل المال** لهذه القيم، فحتى العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة صارت فى اليهودية موضوعا للتجارة، وباتت **المرأة سلعة** للمتاجرة.

وأضحت القوانين فى التلمود صورة هزيلة لقواعد الأخلاق، والدين قُصِد بها إضفاء الشرعية على علاقات الملكية والعمليات التجارية المترتبة عليها. وعندما ينجح المجتمع فى إلغاء هذا الجوهر العملى الذى جعله اليهود لدينهم. وإلغاء ظروف قيام المتاجرة بالربا، عندئذ يصبح وجود اليهودى كيهودى مستحيلا، فليس صحيحا أن اليهود عاشوا رغما عن التاريخ، ولكنهم فى الحقيقة والواقع عاشوا من خلال التاريخ، كعملاء لاقتصاد نقدى فى محيط يعيش فى ظل اقتصاد طبيعى، واستطاعوا البقاء بسبب هذا الدور المتميز الذى لعبوه، فإذا أريد تحرير أوروبا من اليهودية، وتحرير اليهود أنفسهم منها، فإن السبيل إلى ذلك لايكون إلا بالقضاء على المتاجرة وتغيير علاقات الإنتاج والملكية.

ومع ذلك فإن **الشيوعية** التى يعرضها ماركس كحلّ للمسألة اليهودية، أى كخلاص لليهود من اليهودية، وللعالم منهم كيهود، لم تكن هى نفسها إلا إحدى الطرق التى عرفها وعايشها اليهود الأوائل، وكانت طريقة الفرقة **الأسينية** التى تأثر بفكرها النبى **يحى** وعاصرت الحواريين المسيحيين.

ولم يكن قول ماركس بأن العالم مادى، ولاشىء فيه بجانب المادة وقوانينها فى الحركة والتغير، إلا نقلا عن التلمود الذى يقوم عرضه للطبيعة والمجتمع على المادة. وكذلك فإن مزاج ماركس العنيف الذى يجعل الصراع مقولة أساسية من مقولات الشيوعية هو نفسه المزاج العام الذى يسود التوراة، حتى أن **باكونين** الروسى صاحب الاتجاه الفوضوى، رأى فيه **صورة للنبى موسى فى العصر الحديث**، وأنه بالرغم مما يبدو أن ماركس ضد الأخلاق البورجوازية والدين إلاّ أن ما يدعو إليه ليس فى جوهره إلا **دعوة أخلاقية أو دينية** كدعوات أنبياء إسرائيل.

وباكونين يشير إلى خطورة الفكر الماركسى، لأنه برغم كل شىء **فكر يهودى**، وماركس عندما يكافح بعناد من أجل الأممية فإنه يريد أن يجعل منها مواطَنَة عالمية، أى

أن **يجعل من كل الناس يهوداً بلا انتماء** لأى من المجتمعات أو الدول التى يعيشون بين ظهرانيها، وقد تخلّى ماركس نفسه عن جنسيته الألمانية سنة ١٨٤٥. وكذلك فإن دكتاتورية البروليتاريا التى دعا إليها لم تكن إلا **دكتاتورية شعب الأسباط** التى تحدّث بشأنها سِفر العدد.

ويعكس **اهتمام ماركس بالنواحى الاقتصادية** الاهتمام اليهودى العام بالمال، ولم يكن غريباً لذلك أن يكون عنوان كتابه الرئيسى هو «**رأس المال**».

وقد قيل دائما أن الفكر اليهودى مشيحانى أو مسيحانى، بمعنى أنه طوباوى يبشّر بعهد «**الناس فيه تبتاع بغير فضة ولا ثمن خمرا ولبنا، وتنعتق ماديا وروحيا، ويحلّ السلام والعدل كل الربوع**»، وكذلك الشيوعية حيث يضمحل دور الدولة، ويزيد التقارب بين الأمم إلى حد إلغاء الفروق بينها، وتتدفق ينابيع الثروة التعاونية بشكل أكثر غزارة فى شكل مجتمع الوفرة، فيكون لكلٍ حسب حاجته، ويتم استغلال مقدرة كل شخص بأكبر فائدة من أجل الشعب.

ولكل هذه الأسباب مجتمعه أنزل **موسى هيس** الماركسية **منزلة النبوءات**، وقال فى تبرير ذلك أن ماركس قد صاغ من اليهودية **عِلْما ثوريا**.



ماركوزه Marcuse

(١٨٩٨ - ١٩٧٩) **هيربرت مرقس أو ماركوزه**، من أشد نقاد الفكر الحديث فى علاقته بالمجتمع الحديث، ومن خلال صفة النقد هذه كان له تأثيره السياسى الفعّال. ويرفعه حواريوه إلى مصاف **أنبياء بنى إسرائيل**، مع أنه هو شخصيا لم ينزل نفسه هذه المنزلة.

وهو يشبه فى نقده النبى **أشعيا**، وكتابه «**الإنسان ذو النظرة الواحدة**» (١٩٦٤) يشبه سفر أشعيا فى تشاؤمه، وفى بشارته الطوباوية أو المسيحانية بجمهورية القلة،

التى تمارس فضيلةً **هى** العقلانية، بواسطة **الصفوة.** وهى دعوة للمنبوذين والخوارج والمستغَلين والمضطهدين من الأجناس والعناصر والألوان الأخرى، فضلاً عن العاطلين عن العمل وغير القادرين عليه، للقيام بهذا العمل الجذرى الذى يتطلب التقاء أشد قوى الوعى الإنسانى بأشد العناصر تعرضاً للآستغلال.

وتقوم **فلسفة** ماركوزه فيه على دعامتين من **الماركسية والفرويدية**، وهما من أشد الفلسفات المعاصرة التصاقاً باليهودية.

والفرضية الأساسية فى كتابه أن تكنولوچيا المجتمعات الصناعية الراقية، قد جعلت فى وسع هذه المجتمعات أن تزيل التناقضات الموجودة فيها، من خلال استيعاب جميع أولئك الذين كانوا فى ظل الأنظمة الاجتماعية السابقة يشكلون أصواتاً رافضة أو قوى انشقاقية. وتفعل التكنولوچيا ذلك جزئياً من خلال خلق الكفاية والوفرة المادية، وهكذا يتحول التحرر من الحاجة المادية، وهو الشرط المسبق لكافة أشكال الحريات الأخرى، فيصبح هو نفسه مدخلاً لتوليد العبودية، فمن خلال تلبية احتياجات الناس تزول أسباب انشقاقاتهم واحتجاجاتهم، ويصبحون الأدوات السلبية للنظام السائد. وفارق بين الاحتياجات الحقيقية والزائفة، والأخيرة هى التى يتم بواسطتها إخضاع الفرد، وإشباعها يتم على حساب احتياجات الفرد والآخرين من الحرية والقيم المماثلة. ولأن الناس لم يعودوا ينشدون الحرية، لأن الدولة ومجتمع الوفرة قد ضمنا لهم السعادة، أو أنهم قد أصبحوا راضين إلى حد السعادة، عن السلع والخدمات التى تقدمها لهم الإدارة، أصبح من واجب الصفوة المنشقة أو الرافضة أن تتولى عنهم أمر تحديد احتياجاتهم، وأن تبين لهم أن هذه السعادة ليست حقيقية، فأوقات فراغهم لم تعد حرة برغم ازدهارها فى المجتمع الصناعى الراقى، فالسياسة تشغلها، والعمل يلاحقهم فيها. وإذا كان العامل ورئيسه يشاهدان نفس البرامج التليفزيونية، ويقرأن نفس الجريدة، ويرتادان نفس أماكن الترويح عن النفس، وكل منهما لديه سيارة، ويستطيع أن يتزين

على نفس المستوى، فإن ذلك لايعنى زوال الطبقات، بل يدل على المدى الذى يمكن أن يذهب إليه إشباع الحاجات الذى يخدم هدف الحفاظ على السلام الاجتماعى، بالإضافة إلى أن ظروف العمل فى المجتمع الصناعى الراقى تميل إلى جعل العامل سلبيا، وتقضى على أى شعور لديه بمعارضة النظام، ومن ثم فإن ما تستحدثه الدولة من مؤسسات تنشد بها الإصلاح الاجتماعى، يكون فى نفس الوقت وسيلتها للسيطرة على حياة الذين ينعمون بفوائد ومزايا هذه المؤسسات، بفضل هيمنتها على مستوى معيشتهم. وكلما زاد استهلاك الناس كلما كان ذلك أدعى إلى إضعاف حوافز تقرير المصير، ويستوى ذلك فى الدولة الصناعية الغربية والدولة الشيوعية.

ويتصور ماركوزه ذلك مدخلا إلى مستقبل ينتهى فيه النزاع بين الطبقات، وينتهى كل نزاع عقائدى، ذلك لأن المجتمع الصناعى المتقدم هو بحق نظام توازن القوى الذى تحكمه سيطرة النخبة من المتنافسين على الحُكْم، ولا يمكن أن يكون حكم النخبة من السياسيين إلا انعكاسا لمصالح هذا النظام الذى يتمتع فيه أفراد النخبة بما يقرب من السيطرة التامة عليه.

ويرى ماركوزه أن الوارث الطبيعى للنظام الليبرالى هو النظام **التوتاليتارى** (الجماعى أو الشمولى)، وهذا النظام الجماعى هو المسيطر حاليا على الأفكار الصناعية الراقية، ومعنى ذلك أن النظامين الشيوعى والغربى متشابهان، أو أنه يوجد فى النظام الغربى قوى متناهية يمكن أن تعتبر مماثلة للنظام الفاشى أو الشيوعى، ولكن **التوتاليتارية** (الشمولية) الغربية لا تعبر عن نفسها من خلال الحكم الديكتاتورى الصريح، بل من خلال القضاء على الثقافة القديمة والفن القديم، بالمؤسسات الحديثة التى من شأنها تصفية الإنسان ذى النظرتين ليحل محله الانسان ذو النظرة الواحدة، ومن هنا أخذ ماركوزه عنوان كتابه «**الإنسان ذو النظرة الواحدة**».

ولا تتمثل النظرة الواحدة لإنسان اليوم فى ميدان الفن والأدب فحسب، فاللغة

نفسها انحطت فى الإعلانات والصحف فغدت مجرد اختصارات ورموز، وبأسلوب تمثل ماديته انتقاداً للوقائع التى تشير إليها.

وكان المفروض أن المجتمع المعاصر لم يصل إلى ما وصل إليه طبقا لنظريات فرويد إلا من خلال كبت الرغبات الجنسية والتسامى بها، إلا أن هذا العصر قد أطلق الرغبة الجنسية دون أن يشبعها إلا بطريقة سطحية، كما فى الإعلانات التجارية التى تتوسل بالجنس ولكنها لاتقدم للناس متعته الحقيقية، وبذلك تنضم الرغبة الجنسية إلى اللغة والمؤسسات الاجتماعية لتصبح كلها أدوات فى خدمة التوتاليتارية (الشمولية).

والصفوة هى التى بوسعها تغيير ذلك كله، لأنها الأكثر وعيا بمتطلبات العصر والأكثرية، ولا سبيل أمامها لتأسيس مجتمع المستقبل القائم على العقلانية والتحرير والتسامح إلا بالثورة والاستيلاء على مقاليد الحكم وإعلان ديكتاتورية الأقلية، ووسيلتها إلى ذلك القوى الثورية الحقيقية، وتتألف عالميا من الحركات الطلاّبية وأنصار جبهات التحرير والثورة الثقافية.

ولا يخفى أن كل هذه الأهداف ووسائلها قد نّوهت بها **بروتوكولات حكماء صهيون**، الأمر الذى أثار دهشة كثير من النقاد لفلسفة ماركوزه، وخاصة الجزء الذى خصصه للثورة الطلاّبية، وتنويهه بطابعها الجمالى المزعوم، ولغتها التى أطلق عليها اسم **لغة الروح، ولغة الثقافة «الهيبية»** (من الهيبيز)، مع أن اليسار الذى ينسب ماركوزه نفسه إليه قد أشار بوضوح الى الاتجاه البوهيمى فى هذه الحركات وانفصالها عن الجماهير الواسعة، مما يجعلها أقرب إلى« شكل جديد من أشكال الصليبية الطفولية، منها إلى الحركات الثورية الأصيلة»

وبرغم هذه المثالب الواضحة فقد روّجت وسائل النشر اليهودية لكتاب ماركوزه السالف، وحّولته من أستاذ أكاديمى اشتهر بتفسير فلسفة هيجل، إلى شخصية دولية يُستَشهد به، ويتتلمذ عليه بعض اليساريين، ويعتبرونه قدّيسهم الفكرى.



متى Mathew

أحد تلاميذ المسيح الإثنى عشر، ويُنسَب إليه **الإنجيل** المعروف باسمه، وكان متّى قبل اتصاله بالمسيح من جُباة الضرائب، واسمهم فى ذلك العهد عشّارون، وكان متى جابيا فى كفر من أعمال الجليل بفلسطين.

وكانت الجباية مهنة زرية لأنها تحمل صاحبها على الظلم، ثم إنه معيَن من قبَل الدولة الرومانية المغتصبِة، ولكن المسيح اختاره تلميذا من تلاميذه، ولما صعد المسيح إلى ربّه جال متّى للتبشير بالمسيحية فى بلاد كثيرة، وقيل إنه مات سنة ٧٠ بالحبشة، على.أثر ضرب مبرح أنزله به أحد أعوان ملِكها، وفى رواية أخرى أنه طِعن برمح فى سنة ٦٢ بالحبشة بعد أن قضى بها نحو ثلاث وعشرين سنة داعيا للمسيحية.

ومن المرجّح أنه كتب إنجيله بالعبرية، لأنه كتبه لليهود يبشّرهم بالمسيحية، وليقرأه مؤمنوهم بها، ولذلك قيل إنه كتبه **بوجهة نظر يهودية**، وأنه انفرد باستعمال **اللسان العبرى** فى تحرير العهد الجديد، مُظهِرا المسيح بوصفه مِسّيا الموعود، ومِلك شعب إسرائيل الحقيقى، ورتّبه حسب الموضوعات وليس حسب الوقائع، فجمع أعمال المسيح وأقواله حسب مشابهاتها، فبدا النظام الجديد كأنه تتميم للنظام القديم وليس ناسخا له، وبذلك استحق إنجيله أن يوضع فى صدر العهد الجديد، لكونه حلقة الاتصال بين العهدين القديم والحديث، وبين الناموس والإنجيل.

ومن المظنون أن تدوينه كان فى عهد **قلوديوس** قيصر الرومان، وهذا الملك لم يكن هو الذى عاصر المسيح، ولا الذى يليه، بل الذى عاصر المسيح هو **طيباريوس**، وولى من بعده **غابيوس** ومَلَك أربع سنين وثلاثة شهور، ثم جاء من بعده **قلوديوس** ومَلَك أربع عشرة سنة ، ومن ثم يكون من المحتمل أن تدوين هذا الإنجيل كان فى آخر العشرة الرابعة من ميلاد المسيح، أو فى أول أو آخر العشرة الخامسة، أو فى أوائل السادسة ، ثم ما عتم أن ترجم إلى اليونانية، وغلب استعمال الترجمة على الأصل الذى لعبت به

أيدى النسّاخ، بحيث أضحى ذلك الأصل خاملا بل فقيدا، وذلك منذ القرن الحادى عشر.

ومن المحتمل أن **يوحنا** هو الذى ترجمه. ويذهب الكثيرون الى أن المترجم مجهول. ولا شك أن الجهل بتاريخ التدوين، وبالنسخة الأصلية العبرية، وبالمترجم وحاله من الصلاح، وعلمه بالدين وباللغتين، المترجم منها والمترجَم إليها، كل هذا يؤدى إلى زعزعة الثقة فى هذا الإنجيل المعتبر الأول فى العهد الجديد.

وبالإضافة إلى ذلك فإنه بمقابلته بالأناجيل الثلاثة وكتُب العهد القديم، تتبين لنا اختلافات وأغلاط جعلت البعض يجزم بعدم إلهامية هذا الإنجيل على غير ما يذهب إليه الآخرون. فمثلا يذكر متّى فى **نَسَب المسيح** أن **يوسف** هو **ابن يعقوب** ، بينما يؤكد **لوقا** فى إنجيله أنه ابن **عالى**. ويذكر متّى أن **عيسى** هو من **أولاد سليمان بن داود،** بينما يقول **لوقا** أنه من **أولاد ناتان بن داود**، وكذلك فإن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل ملوك مشهورون عند متى، ولكنهم عند لوقا ليسوا كذلك فيما عدا **داود وناتان**.

ويذكر متّى أن **شلتائيل** هو **ابن يكفيا**، بينما هو عند لوقا **ابن نيرى**. واسم ابن زوربابل عند متّى هو **أبيهود**، بينما هو **ويصا** عند لوقا، ومع ذلك فإن أولاد زوربابل فى **الباب الثالث** من **السفر الأول** من **أخبار الأيام** ليس فيهم أبيهود ولا ويصا على غير ما ذكر متّى ولوقا.

أما **الفترة من داود إلى المسيح** فهى عند متّى **ستة وعشرون** جيلا، بينما هى **واحد وأربعون** جيلا عند **لوقا**، ولما كان بين داود والمسيح مدة ألف سنة، فعلَى الأول يكون فى مقابل كل جيل **أربعون سنة**، وعلَى الثانى **خمس وعشرون**، ولابد أن يكون واحد من الاثنين مخطئا، أو أنهما كليهما مخطئان.

ولقد قيل إن **متّى** لم يكن مشهورا ولا معتبرا فى وقته، وإلا فكيف يُتصَور أن يكتب

لوقا نسب المسيح ويخالف تقرير **متّى** هذه المخالفة المحيرة؟

بل إن الحيرة لتزداد عندما نعلم من **متّى في الباب الثاني** أن **أبويّ المسيح** بعد ولادته أيضا كانا يقيمان فى بيت لحم، ويُفهم من بعض كلامه أن هذه الإقامة فيها كانت نحو سنتين، وجاء المجوس هناك، ثم رحلا إلى مصر وأقاما فيها حياةَ **هيرود**، فلما مات عادا وأقاما فى الناصرة. ويُعلَم من كلام **لوقا** أن أبويّ المسيح بعدما تمت مدة نفاس مريم، ذهبا إلى أورشليم وقدما الذبيحة وعادا إلى الناصرة وأقاما فيها، وكانا يذهبان منها إلى أورشليم أيام العيد من كل عام. وأقام المسيح فى السنة الثانية عشرة ثلاثة أيام فى أورشليم دون أن يعلم أبواه، وكما يقول لوقا لاسبيل لمجيء المجوس إلى بيت لحم، بل لو فُرِض مجيئهم لكان إلى الناصرة، لأن الطريق إلى بيت لحم بعيد، وكذا لا سبيل لذهاب أبويه إلى مصر وإقامتهما فيها، لأن يوسف فى رأيه لم يترك اليهودية، لا إلى مصر ولا إلى غيرها.

ويُعلَم من كلام **متّى** أن **أهل أورشليم وهيرود**، كانوا عالمين بولادة المسيح قبل أن يُخبِر المجوس بها، وكانوا معاندين له، بينما نعلم من كلام **لوقا** أن **سمعان** الذى **أُوحى** إليه أنه لن يرى الموت قبل أن يرى المسيح، أخذ عيسى الطفل من أبويه عندما ذهبا به إلى أورشليم لتقديم الذبيحة، وحمله فى الهيكل وبيّن أوصافه، وكذلك النبيّة **حنة** وقفت تسبّح الرب فى تلك الساعة وأخبرت كل المنتظرين فى أورشليم. فلو كان **هيرود** وأهل أورشليم معاندين للمسيح، لَمَا أخبر به **سمعان** الممتلىء بروح القدس فى الهيكل الذى كان مجمع الناس فى كل حين، ولما أخبرت به النبيّة فى أورشليم التى كانت تحت حكم هيرود.

ونعلم من **الباب الرابع** من إنجيل **مرقس** أن المسيح صرف الجماعة التى كان يخاطبها بالأمثال، وركب السفينة ونام، ثم هبّت الرياح وتقاذفت الأمواج السفينة. أما **متّى** فجعل ركوب السفينة واضطراب البحر فى **الباب الثامن**، فهناك اختلاف بين

متّى ومرقس فى ذلك.

وفى الباب **الحادى عشر** جعل **مرقس** الحوار بين المسيح ورؤساء الكهنة فى **اليوم الثالث** من وصوله إلى أورشليم، بينما أورد **متّى** هذا الحوار فى الباب **الحادى والعشرين** فى **اليوم الثانى**.

وجاء فى الباب **الثامن** من إنجيل **متّى** أن المسيح شفى الأبرص، ثم عَبْد قائد المائة، ثم حماة بطرس، بينما جعل **لوقا** فى **الباب الرابع** شفاء حماة بطرس فى **الأول**، ثم فى الباب **الخامس** شفاء الأبرص، ثم فى الباب **السابع** شفاء عبْد قائد المائة.

وفى الباب **الأول** من إنجيل **يوحنا** سألوا **يوحنا** المعمدان هل هو **إيليا**، فأجاب لست إياه، ولكن **المسيح** فى إنجيل **متّى** يقول عنه فى الباب **الحادى عشر** إنه **إيليا** المزمع أن يأتى، وفى الباب **السابع عشر** أن **إيليا** الذى ينبغى أن يأتى أولاً قد جاء، ولكنهم لم يعرفوه، «بل عملوا به كل ما أرادوا، وكذلك ابن الإنسان أيضا سوف يتألم منهم، وحينئذ فَهِمَ التلاميذ أنه قال لهم عن **يوحنا المعمدان**»، ومن ثم نرى أن **يوحنا والمسيح** قد تناقضا، فيوحنا ينكر أنه إيليا، والمسيح يؤكد أنه إيليا.

ويقول المفسرون إن الإشارة فى الآية **العاشرة** من الباب **الحادى العشر** من إنجيل **متّى** «لأن هذا هو الذى كُتِب عنه هاءنذا مرسل ملاكى أمام وجهك يهىء طريقك قدّامك» هى إلى ما ورد فى كتاب **ملاخيا** «هاءنذا مرسل ملاكى، ويسهّل الطريق أمام وجهى»، وبين المكتوب المنوه عنه، والمنقول على لسان المسيح، اختلاف من وجهين: الأول أنه لا يوجد «**أمام وجهك**» فى الأصل، والثانى أن كلام ملاخيا بضمير **المتكلم** ونَقَلَه المسيح بضمير **الخطاب**. وكذلك فإن الآية **السادسة** من الباب **الثانى** من إنجيل **متّى** تخالف الآية **الثانية** من الباب **الخامس** من كتاب **ميخا**.

وفى الباب **العشرين** كتب **متّى** أن عيسى لما خرج من أريحا وجد **أعميين** جالسين فى الطريق وشفاهما من العَمَى، وكتب **مرقس** فى الباب **العاشر** من إنجيله أنه وجد

أعمى واحدا اسمه **بارتيماوس** فشفاه.

وفى الباب **الثامن** كتب **متّى** أن عيسى لمّا جاء إلى العِبْر إلى كورة **الجرجسيين** استقبله مجنونان خارجان من القبور فشفاهما، وكتب **مرقس** فى الباب **الخامس**، **ولوقا** فى الباب **الثامن** أنه استقبله **مجنون واحد** خارجا من القبور فشفاه.

وفى الباب **الحادى والعشرين** كتب **متّى** أن عيسى أرسل تلميذين إلى القرية ليأتيا **بالأتان والجحش** وركب عليهما، وكتب **مرقس ولوقا ويوحنا** ليأتيا **بالجحش** فأتيا به وركب عليه.

وفى الباب **الحادى عشر** قال **متّى** أن يوحنا كان **لايأكل ولا يشرب**، بينما ذكر **مرقس** فى الباب **الأول** أنه كان **يأكل** الجراد والعسل البرى.

وفى مسألة إيمان الحواريين قال **متّى** إن عيسى لقى **بطرس وأندراوس ويعقوب ويوحنا** على بحر الجليل فدعاهم إلى الإيمان وتبعوه، ويكتب **يوحنا** فى إنجيله إنه لقى **غير يعقوب** عند عِبْر الأردن، وبينما يقول **متّى** إنه لقى أولا **بطرس وأندراوس** على بحر الجليل، ثم لقى بعد زمان قليل **يعقوب ويوحنا** على هذا البحر، يقول **يوحنا** إن **يوحنا وأندراوس** لقياه أولاً فى قرب عِبْر الأردن، ثم جاء **بطرس** بهداية أخيه **أندراوس**، ثم فى الغد لما أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل لقى **فيلبس**، ثم جاء **نتنائيل** بهداية فيلبس ولم يذكر **يعقوب**.

ويقول **متّى** إنه لمّا لقيهم كانوا مشتغلين بإلقاء **الشبكة** وإصلاحها، ولايذكر **يوحنا الشبكة** بل ذكر أن يوحنا وأندراوس سمعا وصف عيسى من يوحنا المعمدان فتبعاه، ثم بقية الحواريين بدعوته أو بهداية أحد.

وفى قصة **ابنة الرئيس** يقول **متّى** فى الباب التاسع إن الرئيس جاء إلى عيسى فقال إن ابنتى **ماتت**، وقال **مرقس** فى الباب **الخامس** إنه جاء وقال ابنتى **قاربت** الموت، فذهب عيسى معه، فلما كانوا فى الطريق جاءت جماعة الرئيس فأخبروه بموتها.

وفى الباب **العاشر** يقول **متّى** فى الآية **العاشرة** إن عيسى لمّا أرسل الحواريين كان قد **منعهم** من أخذ العصا، ولكن **مرقس** فى الآية **الثامنة** من الباب **السادس** يقول إنه كان قد **أجازهم** لأخذ العصا.

ويتناقض إنجيل **متّى** مع نفسه ومع إنجيل **يوحنا** فى رواية **تعميد يوحنا** للمسيح، فبينما يذكر **متّى** فى الباب **الثالث** أن عيسى قد جاء إلى يوحنا ليُعتَمد منه، فكان يوحنا يمانعه قائلا أنا المحتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلىّ، فأجابه يسوع قائلا دع الآن، فهكذا ينبغى لنا أن نتم كل برّ، وحينئذ تركه، فلما أعتمد يسوع صعد للوقت من الماء فانفتحت له السموات ورأى روح الله نازلا مثل حمامة وحالاً عليه، نراه يذكر فى الباب **الحادى عشر** أن يوحنا لما سمع وهو فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه إليه ليقولا له أأنت الآتى أم ننتظر آخر؟ فكأن يوحنا المعمدان فى رواية الباب **الثالث** كان **يعرف** المسيح، بينما هو فى رواية الباب **الحادى عشر لم يكن يعرفه،** وهذا تناقض. وفى الباب **الأول** من إنجيل **يوحنا** يقول المعمدان لم أكن أعرفه وعرفته بنزول الروح مثل حمامة واستقراره عليه، فعُلِمَ من إنجيل **متى** فى الباب **الثالث أن** المعمدان كان **يعرف** المسيح قبل نزول الروح، بينما علم من إنجيل **يوحنا** أن المعمدان **ما عرفه** إلا بعد نزول الروح.

ويقول **متّى** فى الباب **الخامس عشر** إن المرأة المستغيثة لأجل شفاء ابنها كانت **كنعانية**، بينما يقول **مرقس** فى إنجيله فى الباب **السابع** أنها كانت **يونانية**، جِنْسها من فينيقية سورية.

ويبالغ **متّى** فى **الباب الخامس عشر** فيقول إن جموعا كثيرة دنت من المسيح، معهم خُرْس وعميان وعُرْج ومعتوهون وآخرون **كثيرون**، فطرحوهم عند أقدامه فشفاهم، بينما يجعل **مرقس** فى الباب **السابع** من إنجيله هذا الكثير **واحدا فقط** أصمّ أخرسّ فشفاه.

وفى الباب السادس والعشرين يقول **متّى** إن عيسى قال مخاطبا الحواريين إن واحدا منكم يُسلمنى، فحزنوا جدا وابتدأ كل واحد منهم يقول هل هو أنا يارب، فقال الذى يغمس يده معى فى الصفحة يسلمنى، فأجاب يهوذا هل أنا هو ياسيدى، فقال له أنت قلت. وفى الباب **الثالث عشر** من إنجيل **يوحنا** رواية مخالفة، فإن عيسى عندما يقول إن واحداً منكم يسلمنى، ينظر التلاميذ إلى بعضهم متحيرين، ثم يشير **بطرس** إلى واحد منهم ويسأل، فيجيب المسيح هو ذاك الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه، فغمس اللقمة وأعطاها يهوذا. وفى نفس الباب كتب **متّى** أيضا إن يهوذا كان قد قال لليهود أمسكوا من أُقَبِّله، وجاء معهم إلى عيسى وقال السلام ياسيدى وقَبَّله فأمسكوه، بينما يذكر **يوحنا** رواية مخالفة فى إنجيله فى الباب **الثامن عشر**، فيقول إن يهوذا أخذ الجند إلى يسوع، فخرج يسوع وقال لهم من تطلبون، فأجابوه يسوع الناصرى، فقال لهم أنا هو، وكان يهوذا مُسلِمه أيضا واقفا معهم، فلما قال لهم إنى أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض، فسألهم مرة أخرى من تطلبون، فقالوا يسوع الناصرى، فأجاب قد قلت لكم إنى أنا هو، فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون، فقبضوه وأمسكوه.

واختلف **الإنجيليون** الثلاثة مع **متّى** فى بيان إنكار بطرس، فقال **متّى** إن من ادّعى على بطرس أنه من تلاميذ عيسى **جاريتان** والرجال قيام، وقال **لوقا** بل **جارية ورجلان**، وقال **متّى** إن **بطرس** كان فى **ساحة الدار** عندما سُئلت الجارية، وقال **لوقا** فى **وسط الدار**، وقال **مرقس** بل **أسفل الدار**، وقال **يوحنا داخل الدار**.

وقال **متّى** أن صياح الديك كان **ثلاث** مرات بعد إنكار بطرس، وقال **مرقس** كان مرة بعد الإنكار الأول، **ومرة** أخرى بعد الإنكارين الثانى والثالث.

ويروى **متّى** عن عيسى أنه قال إن بطرس ينكره **ثلاث مرات** قبل أن يصيح الديك، بينما يروى **مرقس** أنه قال إنه قبل أن يصيح الديك **مرتين** تنكرنى **ثلاث مرات**.

وعلى رواية **متّى** فإن جواب بطرس للجارية التى سألت عنه **لاأدرى ماتقولين**، بينما هو على رواية **يوحنا** **لافقط**، وعلى رواية **مرقس** لست أدرى ولا أعرف ما تقولين، وعلى رواية **لوقا** يا امرأة إنى لست أعرفه. وأما **جواب بطرس** على السؤال الثانى فكان على رواية **متّى** بعد الحلف والإنكار هكذا «ما أعرف هذا الرجل»، وعلى رواية **يوحنا** «لست أنا»، وعلى رواية **مرقس** الإنكار فقط، وعلى رواية **لوقا** يارجل أنا لست منهم.

وكتب **متّى** أن **اللصين** اللذين صلِبا مع المسيح كانا يعيرانه، وكتب **لوقا** إن **أحدهما** عيّره والآخر زجره.

ويُعلَم من البابين **العشرين والحادى والعشرين** من إنجيل **متّى** أن عيسى ارتحل من **أريحا** وجاء إلى أورشليم، ويُعلَم من الباب **الحادى عشر والثانى عشر** من إنجيل **يوحنا** أنه ارتحل من **أفرايم** وجاء **إلى** قرية بيت عنيا وبات فيها، ثم جاء إلى أورشليم.

ويعلم من **متّى** أن **مريم المجدلية ومريم الأخرى** لما وصلتا إلى قبر المسيح نزل ملاك الرب **ودحرج الحجر** عن القبر وجلس عليه، ويعلم من **مرقس** أنهما **وسالومة** لما وصلن إلى القبر رأين أن **الحجر مدحرج**. ولما دخلن القبر رأين شابا جالسا عن اليمين، ويعلم من **لوقا** أنهن لما وصلن وجدن **الحجر مدحرجا** فدخلن **ولم يجدن** جسد المسيح، فصرن محتارات، فإذا رجلان واقفان بثياب براقة.

ويتناقض **متّى** مع نفسه ففى حين يقول فى الباب **الخامس** على لسان المسيح طوبى لصانعى **السلام** لأنهم يُدعوَن أبناء الله، يذكر فى الباب **العاشر** قول المسيح ولاتظنوا أنى جئت لألقى **سلاماً** على الأرض، ماجئت لألقى سلاما بل سيفا.

واختلف **متّى ومرقس ولوقا** فى اسم **الحوارى الثانى عشر**، فذكر الأول أن اسمه **لباوس** الملقب **بتداوس**. وقال الثانى هو **تداوس**، وقال الثالث إنه **يهوذا** أخو

يعقوب.

وقال **متّى** على لسان عيسى فى حق بطرس «وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ماتربطه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات، وكل ماتُحلّه على الأرض يكون محلولا فى السموات»، (١٦/١٨) ومع ذلك وصف **متّى** بطرس ثانية على لسان المسيح أيضا بعد ذلك بثلاثة أسطر «إذهبْ خلفى ياشيطان فقد صرت لى شكّا لأنك لاتفطن لما لله لكن لما للناس»، فكيف يكون شيطانا وشكّاً للمسيح، ومع ذلك يكون الصخرة التى يبنى عليها كنيسته والتى لاتقوى عليها أبواب الجحيم؟

ويقول **متّى** عن الصوت الذى سمع من السموات وقت نزول روح القدس على عيسى إنه «هذا هو ابنى الحبيب الذى به سُرِرت»، بينما يقول عنه **مرقس** «أنت ابنى الحبيب الذى به سررت»، ويقول **لوقا** «أنت الحبيب بك سررت».

وفى الباب **الحادى والعشرين** يقول **متى** بعد بيان مَثَل غارس الكرم «فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرّامين، قالوا أولئك الأردياء يهلكهم إهلاكا ويُسلِم الكرم إلى كرّامين آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها». ويروى **لوقا** هذه الحكاية بطريقة مخالفة هكذا «فماذا يفعل بهم صاحب الكرم، يأتى ويهلك هؤلاء الكرامين ويعطى الكرم للآخرين، فلما سمعوا قالوا حاشى أن يكون ذلك»، **فمتّى** ينسب إليهم الإهلاك، بينما ينكره **لوقا**.

وفى رواية المرأة التى أفرغت قارورة الطيب على عيسى، جعل **متّى** الواقعة فى بيت **سمعان** الأبرص، بينما جعلها **يوحنا** فى بيت **مريم**، وقال **متّى** إن المرأة أفاضت **الطيب** على رأس يسوع، وذكر **يوحنا** أنه كان على **القدمين**.

وأفاد **متّى** أن المعترضين كانوا **تلاميذ** المسيح، وأكد **مرقس** أنهم كانوا **أناسا** من الحاضرين. وقال **يوحنا** إن المعترض كان **يهوذا**.

وفى العشاء الرّبانى يذكر **متّى** كأساً واحدة، ويجعلها **لوقا كأسين**، واحدة على العشاء، وأخرى بعده.

وتفيد رواية **لوقا** أن جسد المسيح مبذول عن التلاميذ، ورواية **مرقس** تفيد أن دمه يراق عن كثيرين،وتقتضى رواية **متّى** أن جسده غير مبذول عن أحد، ولا دمه يراق عن أحد، بل الذى يراق هو العهد الجديد، وإنْ كان العهد لا يريق ولايراق.

ويُعلَم من كلام **متّى** من الباب **الثامن** أن قائد المائة جاء إلى عيسى **بنفسه**، بينما يذكر **لوقا** فى الباب **السابع** من إنجيله أنه **ماأتى بنفسه** بل أرسل إليه شيوخ اليهود.

وفى الباب **الثامن** أيضا يورد **متّى** سؤال الكاتب بأن يتبعه باستئذان رجل لدفن أبيه، وقصصا أخرى، ثم قصة التجلّى فى الباب **السابع عشر**، بينما يذكر **لوقا** السؤال والاستئذان فى الباب **التاسع** من إنجيله بعد قصة التجلّى، فأحد البيانين غلط.

وفى الباب **التاسع** كتب **متّى** قصة المجنون الأخرس، ثم فى الباب **العاشر** قصة إعطاء الحواريين القدرة على الإشفاء وقصصاً أخرى، ثم ذكر قصة التجلّى فى الباب **السابع عشر**، بينما كتب **لوقا** قصة إعطاء القدرة على الإشفاء فى الباب **التاسع** ، ثم قصة التجلّى، ثم فى **هذا الباب والباب العاشر وأول الحادى عشر** قصصا أخرى، ثم قصة المجنون الأخرس.

وفى الباب **السابع والعشرين** قال **متّى** إن المسيح صرخ إلهى إلهى لماذا تركتنى، بينما قال **لوقا** فى الباب **الثالث والعشرين** ياأبتاه فى يديك استودع روحى.

ويُعلَم من كلام **متّى** أن الذين استهزءوا بعيسى وألبسوه اللباس كانوا جند بيلاطس لا هيرودس، ويُعلَم من كلام **لوقا** خلافه، وكذلك قال **متّى** إنهم سقوا المسيح الخلّ، بينما يذكر **مرقس** أنهم أعطوه خمرا ممزوجا بمُرّ فلم يذقه.

وبالإضافة إلى هذه **الاختلافات** الظاهرة بين الأناجيل الأربعة، الأمر الذى يزعزع الثقة فيها لامحالة، ومنها **إنجيل متّى** الذى نحن بصدده، توجد **أغلاط** كثيرة، ففى الآية

السابعة عشرة من الباب **الأول** «فكل الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا، ومن داود إلى جلاء بابل أربعة عشر جيلا، ومن جلاء بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا»، ويُعلَم منها أن بيان نَسَب المسيح يشتمل على ثلاثة أقسام، وكل قسم منها يشتمل على **أربعة عشر جيلا**، وهو غلط صريح، لأن القسم الأول يتم على داود، وإذا كان داود داخلا فى هذا القسم يكون خارجا من القسم الثانى لامحالة، ويبتدىء القسم الثانى لامحالة من سليمان ويتم على يَكُنْيا، وإذا دخل يكنيا فى هذا القسم كان خارجا من القسم الثالث، ويبتدىء القسم الثالث من شلتائيل لامحالة ويتم على المسيح، وفى هذا القسم لايوجد إلا **ثلاثة** عشر جيلا.

وفى العبارة **الحادية عشرة** من هذا الباب أيضا «ويوشيا ولَد يكنيا وإخوته فى جلاء بابل»، ويُعلَم منها أن ولادة يكنيا وإخوته من يوشيا فى جلاء بابل، فيكون يوشيا حياً فى هذا الجلاء، وهذا غلط بأربعة أوجه، **الأول** أن يوشيا مات قبل هذا الجلاء بإثنى عشر عاما، لأنه قد جلس على سرير الملك بعد موت ابنه ياهوحاز لمدة ثلاثة أشهر، ثم جلس يواقيم ابنه الآخر إحدى عشرة سنة، ثم جلس يكنيا بن يواقيم ثلاثة أشهر حتى أسَرَه بختنصر وأجلاه مع بنى إسرائيل الآخرين إلى بابل، **والثانى** أن يكنيا إبن إبن يوشيا لا ابنه كما عرفت، **والثالث** أن يكنيا كان فى الجلاء ابن ثمانى عشرة سنة فما معنى ولادته فى جلاء بابل؟ **والرابع** أن يكنيا ما كان له إخوة، ولكن كان لأبيه ثلاثة إخوة.

وفى الآية **الثامنة** من الباب **الأول** «يورام وَلَد عُزّيا، وهذا غلط بوجهين، الأول أنه يُعلَم منه أن عزيا بن يورام وليس هو كذلك لأنه ابن أحزيا بن يواش بن أمصيا بن يورام، **وثلاثة أجيال ساقطة هنا**، وهذه الثلاثة كانوا من الملوك المشهورين، وأحوالهم مذكورة فى الباب **الثامن والثانى عشر والرابع عشر** من سفر **الملوك الثانى**، والباب **الثانى والعشرين والرابع والعشرين والخامس والعشرين** من السفر

الثانى من **أخبار الأيام**.

وفى الآية **الثانية عشرة** من الباب **الأول** من إنجيل **متّى** أن زوربابل **ابن شلتائيل**، وهو غلط أيضا لأنه **ابن فدايا، وابن أخ شلتائيل** كما هو مصرح فى الباب **الثالث** من السفر **الأول** من **أخبار الأيام**.

وفى الآية **الثالثة عشرة** من الباب **الأول** من إنجيل **متّى** أن **أبيهود بن زوربابل** وهو غلط أيضا، لأن زوربابل كان له خمسة أبناء كما هو مصرح فى العبارة **التاسعة عشرة** من الباب **الثالث** من **السفر الأول** من **أخبار الأيام**، وليس فيهم أحد بهذا الاسم.

وفى الباب **الأول** أيضا يذكر **متّى** أن العذراء تحبل وتلد ابنا يدعون اسمه **عمانوئيل** الذى تفسيره الله معنا، وهو غلط لأنه لم يُعرَف أن أحد أسماء عيسى عمانوئيل.

وفى العبارة **السادسة عشرة** من الباب **الثانى** كتب **متّى** أن هيرودس لما سخر منه المجوس أرسل وقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها، من ابن سنتين فما دون ذلك، بحسب الزمان الذى تحققه من المجوس، وهو افتراء واضح لأنه لم يحدث أن كتب أحد من مؤرخى اليهود المعتبرين أن حادثة جسيمة كهذه قد وقعت، ولو كانت قد وقعت لأوردها **يوسيفوس** مؤرخهم على كثرة ماتصفّح من عيوب هيرودس وجرائمه.

وفى العبارة **الثالثة والعشرين** من الباب **الثانى** كتب **متّى** «وأتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة، لكى يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيُدعَى **ناصريا**، وهذا غلط لأنه لايوجد فى كتاب من كتب الأنبياء مثل هذه النبوءة، وينكرها اليهود أشد الإنكار.

وفى العبارة **الثالثة** من الباب **الرابع عشر** يقول **متّى** «فإن هيرودس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه وطرحه فى السجن من أجل هيروديا امرأة **فيلبس** أخيه»، وهو غلط لأن اسم زوج هيروديا كان **هيرودس** أيضا لا فيلبس كما صرح **يوسيفُس** فى الباب

الخامس من الكتاب الثامن عشر من تاريخه.

وفى العبارة **الثامنة والعشرين** من الباب **التاسع عشر** يقول **متّى** «فقال لهم يسوع الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيا» فشهد **عيسى** للحواريين الإثنى عشر بالفوز والنجاة والجلوس على اثنى عشر كرسيا، وهو غلط لأن **يهوذا الإسخريوطى واحد من الإثنى عشر**، وقد ارتدّ ومات مرتدًّا على مانكر **متّى**، فلا يمكن أن يجلس على الكرسى **الثانى عشر**، وتكذب نبوءة المسيح.



مرقس Marcus

صاحب الإنجيل المعروف باسمه، جاء فى أعمال الرسُل أن بطرس عندما خرج من سجنه «فكّر ثم توّجه إلى بيت مريم أم **يوحنا** الملقّب **مرقس**» (الفصل الثانى عشر). وفى رسالة بولس إلى أهل كولسى «**مرقس نسيب برنابا**» (الفصل الرابع)، ويرجّح أن مرقس اتّبع الربّ بواسطة بطرس، **لأنه** يدعوه ابنه «**ومرقس ابنى**» (الفصل الخامس من الرسالة الأولى)، ويُظَن أن مرقس هو الشاب الذى تبع المسيح ليلة تسليمه «حينئذ تركه تلاميذه كلهم وهربوا، وكان يتبعه **شاب** عليه إزار على عريه فأمسكوه، فترك الإزار وهرب منهم عريانا» (إنجيل مرقس، الفصل الرابع عشر).

ويرجح أنه ولد فى أورشليم، لأن أمه سكنت هناك وكانت ذات مكانة بين المسيحيين الأوائل، فإن بطرس لمّا أطلق من السجن ذهب إلى بيتها «ففكر وتوجه إلى بيت مريم أم يوحنا الملقّب مرقس حيث كان قوم كثيرون مجتمعين يصلون» (أعمال الرسل، الفصل الثانى عشر).

ولم يكن مرقس من **الحواريين** الإثنى عشر الذين تتلمذوا للمسيح واختّصهم بالزُلفى إليه. وهو من أوائل الذين أجابوا دعوته فاختاره من بين السبعين الذين نزل

عليهم روح القدس فى اعتقادهم من بعد رفعه، وألهموا بالتبشير بالمسيحية كما أُلهِموا مبادئها.

وتجمع التقاليد المسيحية على أن الرب يسوع كان يتردد على بيته، وأنه فى هذا البيت أكل الفصح مع تلاميذه، وفى إحدى غرفه حلّ الروح القدس على التلاميذ، وجاء فى **سفر الأعمال** أن الرسل بعد صعود المسيح كانوا يجتمعون فى بيته.

ولازم مرقس خاله **برنابا وبولس الرسول** فى رحلتهما إلى أنطاكية وتبشيرهما بالمسيحية فيها، ثم تركهما بعد ذلك وعاد إلى أورشليم. وقال صاحب **كتاب مروج الأخبار فى تراجم الأبرار** «**إن مرقس كان ينكر ألوهية المسيح**»، وبولس هو صاحب الدعوة «**أن يسوع هو ابن الله**» (أعمال الرسل، الفصل التاسع)، ومن المحتمل أن مرقس **لم تعجبه دعوة بولس،** فقد كان مرقس تلميذاً لبطرس ومترجما له، **وبطرس لم يقبل بألوهية المسيح**، فلما التقى مرقس ببرنابا وبولس بعد ذلك ارتأى برنابا أن يأخذا معهما مرقس، ولكن بولس كان يستحسن أن لا يؤخذ معهما مَن كان قد فارقهما من بمفيلية ولم يذهب معهما للعمل، فوقعت بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر، فأخذ برنابا مرقس وأقلع إلى قبرص (أعمال الرسل، الفصل السادس عشر).

وبرنابا هذا هو صاحب **إنجيل برنابا** الذى ينكر ألوهية المسيح تصريحا، ويبشر بمحمد ويسميه رسول الله، ومن المظنون أنه ما كان من الممكن أن يختلف برنابا وبولس حول مرقس لسبب بسيط كهذا، والمرجح أن المشاجرة كانت لأسباب أقوى هى التى ذكرها صاحب كتاب مروج الأخبار فى تراجم الأبرار «**كان مرقس ينكر ألوهية المسيح**»، ومع ذلك فقد تصالح مع بولس فرافقه إلى رومية.

وكان مرقس مع **بطرس** لماّ كتب رسالته الأولى، واتفق الآباء على أن مرقس هو مترجم بطرس، فربما كان يترجم له فى بعض المواضع، أو أنه كتب إنجيله تحت إرشاد

الرسول كما يستدل من بعض الآيات ، **فظن** بعضهم أن بطرس كتب بعض الحوادث التى شاهدها، وأن مرقس كتب إنجيله بعد مطالعة هذه الكتابات . وقال البعض إن **خطاب بطرس لكرنيليوس** هو ملخص إنجيل مرقس، ولكن مرقس لم يكتب إنجيله باللغة العبرية وإنما **باللغة اليونانية**، وهذا ماحدا بالبعض إلى أن يقول إنه قصد به المسيحيين الرومانيين، والمؤكد أنه قد كتب بشارته **للأمم**، وقيل كتبها بتدبير من بطرس سنة ٦١، لنفع الأمم الذين كان ينصرهم بخدمته.

واختلفوا فى تحديد تاريخه فقيل إنه ربما بين عام ٦٥ و ٦٨م، وقالوا إن جزءه الأخير وجد فى بعض المخطوطات القديمة ولم يوجد فى البعض الآخر ، مثل **المخطوطة السينيائية ، ومخطوطة الفاتيكان**، فكأنهم اختلفوا فى كاتبه هل هو **بطرس**، أم **مرقس** بإرشاد بطرس. واختلفوا فى **زمن كتابته**، هل كان خلال حياة بطرس، أو بعد وفاته ووفاة بولس. واختلفوا فى **حجمه، والحوادث** التى يضمها.

ويُعلَم من الباب **الرابع** منه أن المسيح أمر الجماعة بالذهاب ثم حدث اضطراب البحر بعد وعظ التمثيلات، ويخالفه إنجيل **متّى** فى الباب **الثامن** حيث يجعل الحالين المذكورين بعد موعظة الجبل، وكتب وعظ التمثيلات فى الباب **الثالث عشر، فهذا الوعظ** متأخر عن الحالين المذكورين تأخرا كثيرا، لأن بين الوعظين مدة طويلة، فأحدهما غلط لأن التقديم والتأخير فى تاريخ الوقائع وتوقيت الحوادث، من الذين يّدعون أنهم يكتبون بالإلهام، أو يُدّعَى لهم ذلك، بمنزلة المناقضة.

وكتب مرقس فى الباب **الحادى عشر** أن مباحثة اليهود والمسيح كانت فى اليوم **الثالث** من وصوله أورشليم، وكتب **متّى** فى الباب **الحادى والعشرين** أنها كانت فى اليوم **الثانى**، فأحدهما غلط.

وفى الفصل **الأول** كتب **مرقس** «كما هو مكتوب بأشعيا النبى هاءنذا مُرسِل ملاكى أمام وجهك،يهيء طريقك قدّامك (الآية الثانية)، ويقول المفسرون إنه نقلها من الآية

الأولى من الباب **الثالث** من كتاب **ملاخيا** «هاءنذا مرسل ملاكي فيهيىء الطريق أمامي»، وبين المنقول والمنقول عنه اختلاف بوجهين، **أولا** أن «أمام وجهك» غير موجودة في الأصل، **والثاني** أن كلام ملاخيا بضمير المتكلم ونقل عنه مرقس بضمير الخطاب. وينسب البعض هذه المخالفة إلى وقوع التحريف في النُسَخ القديمة.

وفي الباب **العاشر** كتب **مرقس** أن المسيح لمّا خرج من أريحا وجد أعمى **واحدا** اسمه بارتيماوس فشفاه، أما **متّى** فيقول في الباب **العشرين** أنه وجد **أعميين** جالسين في الطريق فشفاهما من العمى. وشبيه بذلك أن **مرقس** كتب في الباب **الخامس** أن المسيح لمّا جاء إلى العِبْر إلى كورة الجرجسيين استقبله مجنون **واحد** خارجاً من القبور فشفاه، بينما يقول **متّى** في الباب **الثامن** أن **مجنونين** استقبلاه فشفاهما.

وأيضا يذكر **متّى** في الباب **الحادي والعشرين** أن المسيح أرسل تلميذين إلى القرية ليأتيا **بالأتان والجحش** وركب عليهما، بينما قال **مرقس** ليأتيا **بالجحش** فأتيا به وركب عليه.

وفي الباب **الأول** يقول **مرقس** أن **يوحنا** كان يأكل جرادا وعسلا بريا، بينما يؤكد **متّى** في الباب **الحادي عشر** أنه كان لا يأكل ولا يشرب.

وبينما يقول **مرقس** إن المسيح لقي بطرس وأندراوس ويعقوب ويوحنا على بحر الجليل فهداهم إلى الإيمان وتبعوه، يؤكد **يوحنا** في إنجيله أنه لقي غير يعقوب، ويكتب **مرقس** أنه لقي أولا **بطرس وأندراوس** ثم **يعقوب ويوحنا**، بينما يقول **يوحنا** أن **يوحنا وأندراوس** لقياه أولاً في قرب عَبْر الأردن، ثم جاء **بطرس** بهداية أخيه أندراوس، ثم في الغد كما أراد يسوع أن خرج إلى الجليل لقي **فيلبس**، ثم جاء **نتنائيل** بهداية فيلبس، ولم يذكر **يعقوب**.

وقال **مرقس** إنه لمّا لقيهم كانوا مشتغلين بإلقاء **الشبكة** وإصلاحها، ولا يذكر **يوحنا** الشبكة.

وفى قصة **ابنة الرئيس** يختلف إنجيل **مرقس** عن إنجيل **متّى**، فعند **متى** يجىء الرئيس إلى عيسى ويقول إن ابنتى **ماتت**، وعند **مرقس** يجىء قائلا ابنتى **قاربت الموت**، فذهب عيسى معه، فلما كانوا فى الطريق جاءت جماعة الرئيس فأخبروه بموتها.

ويُعلَم من الآية **العاشرة** من الباب **العاشر** من إنجيل **متّى**، والآية **الثالثة** من الباب **التاسع** من إنجيل لوقا أن عيسى لما أرسل الحواريين كان منعهم من أخذ العصا، ويُعلَم من الآية **الثامنة** من الباب **السادس** من إنجيل **مرقس** أنه كان قد أجازهم لأخذها.

ويجعل **متّى** فى الباب **الخامس عشر** المرأة المستغيثة لأجل شفاء ابنتها **كنعانية**، ويجعلها **مرقس** فى الباب **السابع**، **يونانية** باعتبار قومها ، **وفينيقية**، باعتبار قبيلتها.

وفى الباب **السابع** كتب **مرقس** أن عيسى أبرأ **واحدا** كان أصم وأبكم، وبالغ **متّى** فى الباب **الخامس عشر** فجعل هذا الواحد **جمعاً** غفيرا. وقال **يوحنا** وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع، إنْ كُتِبت واحدة واحدة فلستُ أظن أن العالم نفسه يسع المكتوبة.

وفى رواية **إنكار بطرس** اختلف **مرقس** مع الإنجيليين الثلاثة، فعلى روايته أن جاريتين ادعتا أنه من تلاميذ عيسى، والرجال قيام، وعلى رواية **لوقا** جارية ورجلان.

وكان **بطرس** وقت سؤال الجارية **أسفل الدار** على رواية **مرقس**، وفى **ساحة الدار** على رواية **متّى**، **ووسط الدار** على رواية **لوقا**، **وداخل الدار** على رواية **يوحنا**.

وكان **صياح الديك مرة** بعد إنكار بطرس، **ومرة أخرى** بعد إنكاره مرتين على رواية **مرقس**، **وثلاث مرات** على رواية **متّى ولوقا ويوحنا**.

وروى **مرقس** أن المسيح قال قبل أن يصيح الديك **مرتين** تنكرنى ثلاث مرات، بينما بحسب رواية **متّى ولوقا** أنه قال قبل أن يصيح الديك تنكرنى **ثلاث** مرات.

وكان جواب **بطرس** على سؤال الجارية على رواية **مرقس** لست أدرى ولا أعرف

ماتقولين، وعلى رواية **متّى** ما أدرى ماتقولين، وعلى رواية **يوحنا** لافقط، وعلى رواية **لوقا** يا امرأة ما أعرفه.

وكان جواب بطرس على السؤال الثاني على رواية **مرقس** الإنكار فقط، وعلى رواية **لوقا** يارجل ما أنا هو، وعلى رواية **متّى** كان بعد الحلف والإنكار ما أعرف هذا الرجل.

وكان الرجال القيام وقت السؤال خارج الدار على ما فَهِم **مرقس**، وكانوا وسط الدار على ما فَهِم **لوقا**.

ويفهم من إنجيل **مرقس** أن عيسى كان على الصليب نحو الساعة السادسة، ومن إنجيل **يوحنا** أنه كان فى هذا الوقت فى حضور بيلاطس النبطى.

وكتب **مرقس** أن اللصين اللذين ُصلِبا معه كانا يعيّرانه، وكتب **لوقا** أن أحدهما عيّره والآخر زجره.

ويعلم من **متّى** أن مريم المجدلية ومريم الأخرى لمّا وصلتا إلى القبر ، نَزَل ملاك الرب ودحرج الحجر عن القبر وجلس عليه، وقال لاتخافا واذهبا سريعا، ويُعلم من **مرقس** أنهما وسالومة لما وصلن إلى القبر رأين أن الحجر مدحرج، ولما دخلن القبر رأين شابا جالسا عن اليمين.

ويذكر **مرقس** فى الباب **السادس عشر** أن النساء أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس، بينما فى الباب **العشرين** من إنجيل **يوحنا** أن الظلام كان باقيا وكانت هناك امرأة واحدة.

ومن العنوان الذى كتبه بيلاطس ووضعه على الصليب فى الأناجيل الأربعة أن **مرقس** قال ملك اليهود، **ومتّى** قال هذا هو يسوع ملك اليهود، **ولوقا** هذا هو ملك اليهود، **ويوحنا** يسوع الناصرى ملك اليهود. والعجب أن لا يبقى هذا الأمر البسيط محفوظا عند الانجيليين الأربعة ، فكيف يعتمد على حفظهم فى الأخبار الطويلة؟

ويُعلَم من الباب **السادس** من إنجيل **مرقس** أن هيرودس كان يعتقد فى حق يوحنا

المعمدان الصلاح، وكان راضياً عنه ويسمع وعظه ، وما ظلم عليه إلا لأجل رضا هيروديا ، ويعلم من الباب **الثالث** من أنجيل **لوقا** أنه ما ظلم على يوحنا لأجل رضا هيروديا ، بل لأجل رضا نفسه أيضا ، لأنه ما كان راضيا عن يوحنا لأجل الشرور التى كان يفعلها.

ولقد اتفق **مرقس** مع الإنجيليين الثلاثة فى أسماء **أحد عشر** من الحواريين ، ولكنه اختلف معهم فى اسم **الثانى عشر** ، فقال إنه **تداوس**، بينما ذكر **متّى** أنه **لباوس** الملقب بتداوس، **ولوقا** أنه **يهوذا** أخو يعقوب.

ونقل **مرقس** الصوت الذى سمع فى السموات وقت نزول روح القدس على عيسى فقال إنه. أنت ابنى الحبيب الذى به سُرِرت. وقال **متّى** : **هذا** هو ابنى الحبيب الذى به سُرِرت . وقال **لوقا** : أنت ابنى الحبيب بك سُرِرت.

وفى الباب **العاشر** نقل **مرقس** أن ابنىّ زَبَدَى طلبا أن يجلسا عن يمينه وعن يساره، بينما نقل **متّى** فى الباب العشرين أن أم ابنىّ زَبَدى هى التى طلبت هذا الأمر.

ولو قارنا قصة المرأة التى أفرغت قارورة الطيب على عيسى فى الباب **الرابع عشر** من إنجيل **مرقس** ، والباب **السادس والعشرين** من إنجيل **متّى**، والباب **الثانى عشر** من إنجيل **يوحنا** ، نجد فيها اختلافا من خمسة أوجه، **الأول** أن **مرقس** صرّح بأن هذا الأمر كان قبل الفصح بيومين، **ويوحنا** صرح بأنه قبل الفصح بستة أيام، **ومتّى** سكت عن بيان ذلك. **والثانى** أن **مرقس ومتّى** جعلا هذه الواقعة فى بيت سمعان الأبرص، **ويوحنا** جعلها فى بيت مريم. **والثالث** أن **متّى ومرقس** جعلا إفاضة الطيب على الرأس، **ويوحنا** جعلها على القدمين. **والرابع** أن **مرقس** يفيد أن المعترضين كانوا أناسا من الحاضرين، ومتّى يفيد أنهم كانوا التلاميذ، **ويوحنا** أن المعترض كان يهوذا. **والخامس** أن **يوحنا** بيّن ثمن الطيب فقال إنه ثلاثمئة دينار، **ومرقس** بالغ فقال أكثر من ثلاثمئة، بينما أبهم **متّى** الثمن فقال بثمن كثير.

وفى رواية **العشاء الربّانى** ذكر مرقس فى الباب **الرابع عشر** كأسا واحدة، بينما ذكر **لوقا** كأسين، واحدة على العشاء وأخرى بعده.

وفى رواية الصَّلْب ذكر مرقس فى الباب **الخامس عشر** أنه تّم فى الساعة الثالثة، وصرّح **يوحنا** فى الباب **التاسع عشر** أنه كان إلى الساعة السادسة عند بيلاطس.

ثم ذكر **مرقس** أن المسيح صرخ بصوت عظيم إلهى الهى لماذا تركتنى، بينما قال **لوقا** أنه نادى بصوت عظيم وقال يا أبت فى يديك استودع روحى.

ويُفهَم من كلام **مرقس** أن الذين استهزءوا بعيسى وألبسوه اللباس كانوا جند بيلاطس لا هيرودس، ويُعلَم من كلام **لوقا** خلافه.

ويُعلَم من كلام **مرقس** أنهم أعطوا عيسى خمرا ممزوجة بُمرّ فلم يذقه، ويُعلَم من كلام **الإنجيليين** الآخرين أنهم أعطوه خّلاً، ويُعلَم من **متّى ويوحنا** أنه سُقِى هذا الخل.

وفى الباب **السادس** قال **مرقس** «لأن هيرودس نفسه كان قد أرسل وأمسك يوحنا وأوثقه فى السجن من أجل هيروديا امرأة فيليبس أخيه»، وهذا غلط لأن اسم زوج هيروديا كان **هيرودس** أيضا لا فيليبس كما صرح **يوسيفوس** فى الباب **الخامس** من الكتاب الثامن عشر من تاريخه.

وفى الباب **الثانى** قال **مرقس** «فقال لهم أما قرأتم قط ما فعله داود حين احتاج وجاع هو والذين معه، كيف دخل بيت الله فى أيام أبياثار رئيس الكهنة وأكل خبز التقدمة الذى لايحلّ أكلُه إلا للكهنة وأعطى الذين كانوا معه أيضا»، وهذا غلط لأن **داود** كان منفردا ماكان معه أحد فى هذا الوقت، فقوله **والذين معه** غلط، وكذا قوله **وأعطى الذين كانوا معه**، ولأن رئيس الكهنة فى تلك الأيام كان **أخيمالك** لا أبياثار، وأما **أبياثار** فهو ابن أخيمالك، فقوله فى أيام **أبياثار رئيس الكهنة** غلط، فهذه ثلاثة أغلاط من مرقس فى آيتين.

ومن ذلك يتبين أن **مرقس** لم يكن **معصوما** عن الخطأ والنسيان، وكذلك لم يكن

معصوما فى التبيلغ والتحرير، وأن أنجيله من ثم لم يُكتَب بإلهام المسيح، لأن الغلط لايصح أن يكون إلهاميا ومن جانب الله، وهو يوجد فى هذا الإنجيل بلا ريب وكما عرفنا، أو أنه يوجد فى ثلاثة من الأناجيل، لأن الأربعة تتضارب أقوالهم وليسوا على اتفاق.



المشبهة Anthropomorphists

هم الكتبة الذين حرّفوا التوراة وأثبتوا لله عدداً كبيراً من الصفات الإنسانية، فقالوا إن له وجها ويدين وعينين وجسما يختلف عن الأجسام، فقد جاء فى **سفر التكوين** «بقى يعقوب وحده، فصارعه رجل إلى مطلع الفجر، ورأى أنه لايقدر عليه.... وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر، فقال لا أطلقك أو تباركنى... وسأله يعقوب وقال عرّفنى اسمك. فقال لِمَ سؤالك عن اسمى، وباركه هناك. وسمّى يعقوب الموضع فنوئيل قائلا: إنى رأيت الله وجها إلى وجه» (٣٢:٢٤ - ٣٠). وفى **سفر الخروج** «ثم صعد موسى وهارون... وسبعون من شيوخ إسرائيل، فرأوا إله إسرائيل.. وأكلوا وشربوا» (٢٤:٩ - ١١)، وهذا تجسيم لاشك فيه، وتشبيه لا خفاء به، يحفل بأمثالهما التوراة.

ومشبهة المسلمين نقلوا التشبيه عن اليهود، ونسجوا على منوالهم، وأخذوا مقاله من مقالهم، ويبدو أنه **سمة** من تفكير اليهود، وقد نهاهم موسى عنه وحذّرهم منه، فقد جاء فى **سفر التثنية** على لسانه «فانكروا جيدا أنكم لم تروا صورة ما يوم كلّمكم الرب فى حوريب من وسط النار، لئلا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالاً منحوتاً، صورة علّى شكل ما، شبه ذكر أو أنثى... (٤: ١٥ - ١٩)، ويقول أيضا «فكلّمكم الرب من وسط النار، فكنتم سامعين صوت الكلام وأنتم لا تدركون صورة بل صوتا فقط» (٤:١٢).

ولما عاب الإسلاميون على اليهود التشبيه، احتج متكلمو اليهود بما جاء مثله فى

القرآن، كقوله عز وجل «يد الله فوق أيديهم» (الفتح ١٠)، «ويبقى وجه ربك» (الرحمن ٢٧)، «وجاء ربك والملك صفا» (الفجر ٢٢)، و«إلى أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة» (البقرة ٢١٠)، وسائر ما فى القرآن من مثل هذا، ولكن هذا كله عند المسلمين على ظاهره بلا تكلّف تأويل، وهو ليس بمعنى الجارحة، لكن على ظاهره من اللغة، وعُمْدَتُهم أن كل ذلك خبر عن الله تعالى لايرجع بشىء من ذلك إلى سواه أصلا، والبيّن من أمر الشرع أن هذه الصفات فى القرآن مسكوت عنها فلا يصرح فيها بنفى ولا إثبات، ويجاب من يسأل فيها بقوله تعالى «ليس كمثله شىء وهو السميع البصير» (الشورى ١١). ولو أن المسلمين التزموا عدم الخوض فى تفسير الآيات التى تكاد تنسب إلى الله بعض الصفات التى تتنافى مع فكرة تنزيههم له، وفوّضوا المراد منها إلى الله بعد تنزيهه عن كل شَبَهٍ بالإنسان أو المخلوق، لمانشأت **بدعة الصفات** التى ابتلوا بها زمنا وانتقلت إليهم من اليهود.

ويقول الفيلسوف اليهودى الأندلسى **موسى بن ميمون** أن ظهور التشبيه بين اليهود كان بين فئة القرّائين حينما تمسكوا بحرفية نصوص التوراة التى توهم بتصورات جسمانية للّه تعالى، فوقعوا فى التجسيم والتشبيه، وهذا أمر يخالف الواقع فعلا، حيث أن التوراة تحفل بالنصوص التى تجزم به. وأما **ابن ميمون** ومن ذهب مذهبه من الفلاسفة فقد حاولوا نفى التشبيه عن اليهودية الذى صرح به المفسرون دون الفلاسفة. ومن المفسرين اليهود انتقل التشبيه إلى الشيعة المسلمين من خلال السبئية وزعيمهم اليهودى **عبد الله بن سبأ**.

والظاهر أن التشبيه، **كفكرة وفرقة**، قد كان ظهوره فى الإسلام أبعد من السبئية، لأن الرسول عليه السلام حذّر من الروافض وقال «**الروافض يهود هذه الأمة**»، لأنهم أخذوا التشبيه من اليهود، أو أنهم أشبهوا اليهود فى القول بأن الله قد تجسّد، وأنه ظهر بصورة البشر.

ويكاد ينعقد الإجماع بين مؤرخى الفلسفة اليهودية على أن التشبيه **قد عرفه الإسلام** فى عهد الرسول من خلال **يهود المدينة** ومناقشاتهم مع المسلمين.

وحتى فى **المسيحية** كان دخول التشبيه بواسطة **شاول اليهودى** الذى دعا نفسه **بولس الرسول**، وقام بنفس دور **عبد الله بن سبأ** فى الإسلام، وقال بألوهية المسيح، مع فارق أن السبئية وحدهم أقرّوا ابن سبأ على تأليهه لعلىّ بن أبى طالب، بينما أقرّت المجامع الكنسية كلها شاول على تأويله بألوهية المسيح، وفى ذلك يقول **برتراند رسل** فى تاريخه للفلسفة الغربية: إن التشبيه من أهم العناصر اليهودية فى المسيحية، ولو كانت اليهودية قد زالت فى ظل **أنطيوكوس الرابع** لأعوزت المسيحية التربة التى نمت فيها بذورها، ولما استطاع **شاول** أن يزعم أن المسيح هو الله أو ابن الله.



المغتسلة Baptists

إحدى طوائف فرقة **الكسائيين**، وقيل هم الكسائيون، وقيل هم ليسوا يهودا وهم بالأحرى **الصابئة**، وقيل إن الماندائية Mandaiia أخذوا عنهم. وقيل إنهم يهود على الحقيقة، يقولون بإله واحد، ويطبقون شريعة موسى، غير أن كتابهم هو **كتاب الكسائيين**.



المقاربة Maquaribat

فرقة، على ما جاء عند **الشهر ستانى**، زعمت أن الله تعالى خاطب الأنبياء عليهم السلام بواسطة مَلَك اختاره وقدّمه على جميع الخلائق، واستخلفه عليهم. وقالوا كل ما فى التوراة وسائر الكتب من وصف الله تعالى، فهو خبر عن ذلك المَلَك، وإلا فلا يجوز أن يوصف الله تعالى بوصف، وقالوا إن الذى كلّم موسى عليه السلام تكليما هو ذلك

الملك، والشجرة المذكورة فى التوراة هى ذلك الملك، وأن اللّه يتعالى عن أن يكلم بشراً تكليما. وحملوا جميع ما ورد فى التوراة من طلب الرؤية من أمثال: وشافهت الله، وجاء الله، وطلع الله فى السحاب، وكتب التوراة بيده، واستوى على العرش استقرارا، وله صورة آدم، إلى غير ذلك، على ذلك المَلَك.

وقالوا ويجوز فى العادة أن يبعث الله ملَكا روحانيا من جملة خواصه، ويلقى عليه اسمه، ويقول هذا هو رسولى، ومكانه فيكم مكانى، وقوله قولى، وأمره أمرى، وظهوره عليكم ظهورى، كذلك يكون حال ذلك المَلَك.



المقمص Al Mukammas

(نحو سنة ٩٠٠م) **داود بن مروان المقمص**، من أوائل الناهلين من الثقافة الإسلامية، وكان عراقيا من الرقة، تعلم علم الكلام من **المعتزلة**. وقرأ **أرسطو** على العرب، وذهب مثلهم مذاهب الأفلوطينيين.

وكان فى بداية حياته قد تحوّل إلى المسيحية، ربما ليتعلم على رهبانها فى نصيبين. وقيل إنه تنصّر حقيقة، لكن قراءاته فى التوحيد الإسلامى أعادته إلى اليهودية، منكرا على النصارى تثليثهم وتضارب أناجيلهم.

وكتابه «**عشرون مقالة**» من أهم مصنفاته، كتبه بالعربية، وبه صار المقمص **أول فيلسوف يهودى يستخدم السلوب عن المسلمين**، وهو بهذا يعد **واضع اللاهوت السلبى فى اليهودية**. وهو يبدأ بصيغ عن المدرسة الكلامية، وينتهى إلى تصور أفلاطونى محدث، فيقرر أن الله موجود، وهو واحد، ولكن وحدته ليست هى وحدة الجنس ولا النوع ولا العدد ولا المركّب، فليست هناك ذات مشابهة لذاته، وقولنا إن الله حّى لايعنى أن حياته تختلف عن ذاته، وإلا انتهينا إلى شىء مثل التثليث المسيحى. وإنما نعنى به أنه حىّ بحياة هى هى ذاته، وهذه العبارة هى نفسها **عبارة المعتزلة**

التى تقول إن الله حىّ لا بحياة، فصفات الله لا تحدد تنوعا فى ذاته، ولكننا نقصد بها أن ننفى عن الله نقائص معينة، ولذلك ينسب المقمص إلى **أرسطو** قوله إننا عندما نتحدث عن الله فإن الصفات السالبة تكون أصحّ من الصفات الموجبة.



المنافقون Waverers

من **النافقاء** العبرية والعربية، إحدى جحرة اليربوع، يكتمها ويُظهر غيرها، وهو أصل النفاق، **والمنافق** من يظهر الإيمان ويخفى الكُفر، واسمهم أيضا بالعبرية Minim أى المتماينون مفردها min، من المَيْن العبرية والعربية، وهو **الكذب**، فهم **الكذّابون**. وهم فرقة رفضهم اليهود والنصارى، قالوا فيهم أنهم يعبدون إلهَين فهم من المشركين، ونسبوهم إلى أهل الباطن أو الغنوصية، ويبدو أنهم كانوا **صدوقيين** التزموا الناموس ولم ينكروا المسيح، ولكنهم لم يعلنوا عن اعتقادهم وسايروا هؤلاء وأولئك تقاة، يريدون بذلك أن يصدقوهم فيما يفعلون ويقولون، حتى اغتّروا بهم واعتقدوا أنهم على دينهم، وربما اقتدوا بهم، فحصل بهذا ضرر كبير كما يقول مؤرخوهم. ويبدو أن ظهورهم كان نحو سنة ٨٠ ميلادية، واستفحل ضررهم فى القرن الثانى فكانت فتنة بين الناس، وربما كانت فرقتهم هى التى قصد إليها **الشهرستانى** بتسميته الفرقة **الدوستانية** أو **الكاذبة**، أتباع **الألفان**، وكانوا يقولون إن الثواب والعقاب فى الدنيا.



المندائية Mandaeans

باطنية اليهود، وينكر مؤرخو اليهود يهوديتهم على أساس أنهم **ثنوية**، **إلا** أنهم موحدون، والخالق عندهم اسمه الله بصيغته العربية، وهو نور السموات والأرض فاضت منه المخلوقات.

وقيل إنهم فرقة من **نصارى اليهود**، والمندائية أنفسهم يقولون إنهم نصارى، والنصارى فى التاريخ **فرقة يهودية** أقرّت بألوهية المسيح، غير أن المندائية ينكرون أن يكون المسيح **ابن الله**، وكتابهم «**السفر الكبير**» أو **الجينزا** Ginza يطرح نظرية فى الخلق كنظرية سفر التكوين، ويذكر أسماء موسى ويوحنا وآدم وحواء وغيرهم بنطق يقرب من العربية. وفى كتب المندائية المتأخرة يذكرون **النبى محمد**، ولكنه ذِكر لا يدل على معرفة بتعاليم الإسلام. وهم ينوهون بيوحنا المعمدان ويسمونه **يحيى** لأنه من الزاهدين المغتسلين، وكان المندائية من **المغتسلين**، وتشبه شعائرهم فى الصلاة شعائر اليهود.



المسيحانية Messianism

(أنظر المهدى المنتظر)



مندلسون Mendelssohn

(١٧٢٩- ١٧٨٦) **موسى مندلسون**، ألمانى أطلقوا عليه **موسى الثالث**، حيث **الأول** هو: النبى موسى؛ **والثانى**: موسى بن ميمون أكبر فلاسفتهم فى دائرة الثقافة الإسلامية؛ وأما مندلسون فهو: مؤسس حركة الاستنارة «**الهاسكلاه** Haskalah » التى تدعو إلى تثقيف اليهود بالثقافة العلمانية، كسبيل للاندماج فى مجتمعاتهم والأخذ بأسباب الحضارة الجديدة، بالإضافة إلى الثقافة العبرية التى هى خاصتهم القديمة، وأهم عناصرها **اللغة العبرية** وعاء هذه الثقافة، وليس اللغة اليديشية التى كانت شائعة بين يهود أوروبا آنذاك.

وفلسفته التى يقوم عليها تعليمه: أن اليهود عزلوا أنفسهم فى **جيتو عقلى** يتوازى

مع **الجيتو السياسى** الذى فرضه عليهم الأغيار، وأنه لكى يتحرر اليهود من الجيتو السياسى لابد أن يحطموا الجيتو العقلى الموازى. ولأن مندلسون عقلانى فقد رفض الإقرار بما يتنافى من اليهودية مع العقل. وهو يؤسس **الإيمان على العقل**، ويجعل من **الدين اليهودى** دينا عقليا رسالته الأخلاق، ويقول إن الناموس مجموعة من القوانين الأخلاقية، ولذلك فقد **ترجم** أسفار موسى الخمسة والمزامير ونشيد الأنشاد إلى الألمانية، ليجعل مضمون هذا الدين فى متناول الجميع، وكتب تعليقا مستنيرا على العهد القديم، وكانت مصنفاته من أهم عوامل نشر تعاليم «**دلالة الحائرين**» لموسى بن ميمون، حيث اعتبره بمثابة **توراة عصرية** وخطوة بالغة نحو الدخول إلى ثقافة العصر والأخذ بأسباب الحضارة العلمية اليونانية الطابع.

وفى كتابه «**أورشليم**» (١٧٨٣) قال إن اليهودية التى يفهمها ويدعو إليها تقوم على مبادىء ثلاثة هى: الإيمان بالله، وبالعناية الإلهية، وبخلود الروح، وهى المبادىء التى تقوم عليها أية ديانة كتابية، ومن ثم فاليهودية **لاتختلف عن** غيرها، واليهودى لذلك كالمسيحى، وليس من ثمة مايبرر اضطهاده.

وجرّه قوله ذلك إلى نقاش لاهوتى مع كاتب مسيحى يدعى **يوحنا كاسيار لافاتر** Lavater، دعاه فيه الأخير إلى اعتناق المسيحية طالما أن المسألة بهذه البساطة، وإلا فليعلن أنه لايعتقد بصحة المسيحية، وانبرى مندلسون يقول إن **عصر التنوير** لايؤمن بالتثليث لأنه يتنافى مع العقل، ولكنه يؤمن بوجود إله ذاته واحدة غير منقسمة، وهو ما يتفق مع ما تقول به اليهودية دون المسيحية.

وفى كتابه «**محاضرات فى وجود الله**» (١٧٨٥) ذهب مندلسون إلى التدليل على وجود الله بالحجة الأنطولوجية وبدليل الصانع، مخالفا بذلك **كنط** الذى اعتبرهما دليلين غير كافيين، ولكنه وكنط يتفقان فى الناحية **الأخلاقية والاستاطيقية**، ويوافقه مندلسون على رهانه الأخلاقى، فوجود الأخلاق أو **الأمر الخلقى** يقودنا إلى الفرضية

بوجود علّة متناسبة أو بوجود الله كشرط ضرورى لإمكانية الخير الأعلى، ويجد مندلسون أن هذا البرهان خير دليل على صحة اليهودية، لأنها فى مضمونها أخلاقية، وهى خير برهان على وجود الله كمسلّمة للعقل العملى.

وفى كتابه «**فيدون Phädon**» (١٧٦٧) الذى ألّفه على منوال محاورة أفلاطون الشهيرة، ذهب إلى القول بأن الروح جوهر بسيط، ومن ثم فهى لاتقبل الفناء. وبسبب الطريقة التى اتّبعها فى طرح أفكاره فى هذا الكتاب أطلق عليه **ليسنج** اسم «**سقراط اليهودى**»، لدماثته أولا، ثم لما أظهره من حكمة تقارب بينه وبين سقراط الإغريقى، واتخذه لذلك مثالا لبطله **ناتان** فى روايته «**ناتان الحكيم**». وهو قول حق لأن مندلسون يقرب فى الواقع من الحكيم أكثر من الفيلسوف، وأفكاره الفلسفية خليط من لايبنتس، وكرستيان ولف، وألكسندر بومجارتن، وشافتسرى، وبيرك، وديبوس، وموبيرتيوس. وقيل إن كتاباته كانت إرهاصا للكنطية، ولعل هذا نفسه هو الذى يجعل دعاته يعقدون صلة بين فلسفته والكنطية، ولعله أيضا ما يشد الكثيرين من فلاسفة اليهود إلى **الكنطية المحدثة**، يحاولون بها مرة أخرى الدعوة بطريقة مباشرة إلى الفلسفة الربّانية التى بدأها **موسى بن ميمون** وواصلها **مندلسون**، ثم **أحاد هاعام**، وأخيرا **مارتن بوبر**.

ورغم وصف مندلسون بأنه من دعاة التحرير والعلمانية والتسامح، إلا أنه لم يكن يطلب حرية العقيدة لكل فرد حقيقة، بقدر ما كان يطالب بها لليهود كأقلية فى مجتمع مسيحى.

وقد فهم اليهود المعادون للاستنارة والاندماج، من وقت موسى بن ميمون حتى الآن، أن إقامة العقيدة على الضمير والتصور الأخلاقى من شأنه تأكيد فردية اليهودى، وتحرره من التبعية القومية بالتالى، وهو ما يعارضه مفكرو الصهيونية، على أساس أن هذه الدعوة تفصل الدين عن القومية، ويدللون على تهافت دعوة مندلسون بتنصّر أولاده

إلا واحدا، ومن نسلهم كان المؤلف الموسيقى **فيلكس مندلسون** (١٨٠٩ - ١٨٤٧) الذى نشأ تنشئة مسيحية خالصة، فلو كانت فلسفة الاستنارة التى دعا إليها سليمة لما حدث ذلك **مع أهل** بيته الذين هم خاصته، ولايمكن لأفكار الاستنارة إلا أن تؤدى إلى اختفاء اليهودية كقومية، وإلى ذوبان اليهود فى مجتمعاتهم، وهى مغالطة أساسها التعصب، لأن مندلسون حقيقة قد أنشأ **مدرسة** لتعليم أطفال اليهود فى برلين مختلف العلوم الحديثة، ولكنه عارض **التعليم المشترك** بين اليهود والأغيار على أساس أن ذلك من شأنه أن يصرف اليهود عن تفردهم الذى هو دينهم وخاصتهم.

✲ ✲ ✲

المهدى المنتظر Messiah

اسمه عندهم وفى الآرامية **المشيح**، وفى اللاتينية والعربية هو **المسيح**، ومعناه الممسوح بالزيت على عادة شعوب الشرق الأوسط القديمة فى تعميد ملوكهم، وتطور المعنى بعد السبْى ليعنى المُهدى (بضم الميم) المُنتَظر، والمهدية messianism أو المسيحانية هى فلسفته أو حركته، ومعنى المهدى أنه المُخلّص الذى يحرر اليهود من العبودية لمضطهديهم، ويعيدهم من المنفى، ويحكمهم بالشريعة فيعم العدل، ويسود السلم، وتخصُب الأرض.

ومن الطبيعى أن يكون **الشتات** هو وحده البيئة الملائمة التى ينبغى أن تنمو بها بذرة **الأمانى المهدية**، فإن النظرية منذ بدايتها احتجاج على **النفى**، واستنكار لمناهضة الأمم لحق اليهود الإلهى فى العودة إلى أرضهم، ولإبطالهم لهذا الحق بالقهر والاغتصاب اللذين أصبح اليهود من وجهة نظرهم ضحية لهما.

وكان ظهور هذه العقيدة بما تنطوى عليه من آمال وأمان كزفرة يصعدونها فى غمرات الحالات السياسية والاجتماعية التى لم تنقطع ثورتهم عليها، واعتمادهم فيها على أحاديث تسمى كما عند المسلمين **أحاديث آخر الزمان**، وتنتشر فى كتب الرؤى وخاصة فى **سفر دانيال**.

والمهدى المنتظر عندهم من نسل **داود النبى فى** رأى، وقيل بل هو **داود** نفسه يبعثه الله ليعمل سيفه البتّار فى أعداء الشعب المختار، وليقيم دولتهم، وأنه سيقْدُم راكباً

السحاب، أو ممتطياً حماراً كدأب الأنبياء فى تواضعهم، وهو قول يذكرنا بوصف عبد **الله بن سبأ اليهودى** مؤسس التشيّع عن **علىّ بن أبى طالب**.

وقيل إن المهدى هو **سليمان** الذى سيُبعث، وقيل بل اسمه **داود** من غير أن يكون نفسه النبى داود، وقيل إن ميلاده سيكون فى **بيت لحم**، وقيل إنه وُلِد فى **أورشليم** يوم خراب المعبد، ولايزال على قيد الحياة منذ ذلك الحين فى مكان خفى، حياً لايراه الناس، وسيظهر فى آخر الزمان. ونظريتهم **كنظرية الإمام الخفّى عند الشيعة، والرجعة** عند هؤلاء وأولئك إحدى عناصرها، وفكرتها عند الشيعة من الإسرائيليات وبتأثير قول اليهود برجعة **إيليا النبى** الذى رُفع إلى السماء، وهم يؤمنون بأنه لابد راجع إلى الأرض فى آخر الزمان ليقيم الحق والعدل، وكان إيليا نموذج أئمة الشيعة المختفين الغائبين الذين يحيون فلا يراهم أحد، وسيعودون يوما كمهديين منقذين للعالم، وإنْ كان أهل السنة كذلك يعتقدون بمجىء مُصلِح إلى العالم فى آخر الزمان يبعثه الله، ويسمونه أيضا **بالإمام المهدى**، ويعتمدون فى اعتقادهم على عدد من الأحاديث أوردها **أبو داود** فى سُننه، ولكن نظريته عندهم لم تصل إلى مرتبة العقيدة الدينية، ويرفضون العقيدة المهدية على صورتها الشيعية أو اليهودية.

ويرى **جولدتسهير** فى كتابه «**العقيدة والشريعة فى الإسلام**» أن نظرية المهدى المنتظر **أكمل** عند الشيعة منها عند اليهود، وظهورها عند الشيعة فى بيئات التُقَى والورع بعكس ظهورها عند اليهود فى بيئات الاضطرابات السياسية.

ويهزأ أهل السُنّة بفكرة الإمام المختفى وحياته الطويلة. والأحاديث التى يعتمد عليها اليهود كانت دائما مثار بحث من قِبَل فقهائهم ومتصوفيهم، ودبّروا لها الحسابات التأويلية لتحديد **وقت** ظهور المهدى المنتظر. وقد سار **متصوفة المسلمين والشيعة على** منوال اليهود، وانتهجوا مثلهم تأويلات قبالية لآيات القرآن وسوره، وتجميعات للحروف والأعداد قصدوا بها تحديد اللحظة التى سيظهر فيها.

وقد ندّد المعتدلون من هنا وهناك بمن سمّوهم **بالوقّاتين**، ووصموهم بالخداع والتدجيل، وحظروا الاشتغال بهذه المسائل الدقيقة استنادا على أقوال وروايات إسنادها ضعيف. ويورد **مسلم والبخارى** أحاديث كثيرة عن **الدجّال** فى باب الفتن. وقد ظهر دجّالون كثيرون عبر التاريخ اليهودى، نذكر منهم فى البلاد الإسلامية **أبا عيسى الأصفهانى** الذى ظهر فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان، **وداود**

الرائى الذى ظهر فى كردستان (١١٣٥)، ومنهم، مِنْ وجهة نظر اليهود، **المسيح عيسى بن مريم**، وقد صلبوه كقولهم عقاباً له.

ويعد كتاب «**زربابل**» من أفضل المؤلفات اليهودية فى هذا الباب، وهو من مصنفات كاتب مجهول فى أواخر القرن السادس أو أوائل السابع الميلادى. **وزربابل** هذا الذى سُمّى الكتاب باسمه كان **النبى حَجّى** قد ظنه المهدى المنتظر، فقد عاد باليهود من بابل وبنى المذبح ووضع أساس الهيكل وَوَلِىَ أمر أورشليم.

وقيل إن دولة المهدى أو فردوسه الأرضى ستعمر **ألف** سنة، ومن هؤلاء **الألفيين** من يرى أن مجىء المهدى يكون متمماً للألفية وفى ختامها، وأما افتتاح **الألفية** فيكون على يد سابق للمهدى من بيت **النبى يوسف** يقدّم له ويموت دفاعاً عن المِلّة.

وتعتقد طائفة من المسيحيين فى **الألفية**، ويقولون إن رجوع اليهود إلى فلسطين يعنى رجوعهم إلى الله، ومن ثم إمكان هدايتهم إلى المسيحية.

ويقوم إيمان اليهود **بدولة آخر الزمان** على دعوى أن **نهاية التاريخ** لن تنصلح إلا بما انصلحت به بدايته، وأن **بداية التاريخ** كانت **الخروج** من أرض **العبودية فى مصر**، والدخول فى **أرض الميعاد**، ولذا ستكون نهاية التاريخ هى **الخروج** من **أرض العبودية فى كل مصر**، والدخول أيضا فى **أرض الميعاد**، أى أن النهاية لابد أن تتسق مع البداية.

وفلاسفة اليهود متفقون على القول **إمّا بالعودة الشخصية للمهدى**، وإمّا **بقيام دولته أو فردوسه دون المهدى نفسه**، ويسمى **موسى هيس** هذا العصر الذهبى **سَبْت التاريخ**.

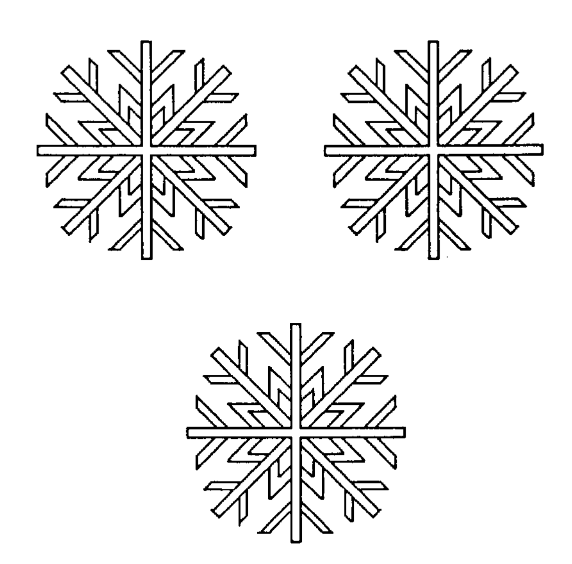
ومهدى الفلاسفة عند برجسون هو **الوثبة الحيوية**، وعند برنشفيك هو **الوعى المطلق**، وليست **الماركسية** إلاّ طوبيا مهدية لاتختلف فى مضمونها عن التصورات الدينية التقليدية إلا من استبعاد شخصية المهدى نفسه. **والصهيونية** كذلك أيديولوجية مهدية دون المهدى، فأصبح من الممكن أن تؤلف بين المؤمنين والملحدين، وأن تكون الصهيونية هى **النسخة اللاّدينية** من المهدية، وهى محاولة لاسترجاع **العصر الذهبى**

عن طريق العنف السياسى دون انتظار لمبعوث إلهى، ومن ثم تعمل باستمرار على إنكاء المشاعر والتوقعات المهدية لدى اليهود فى كل بلاد العالم، بتصعيد إحساسهم بالاضطهاد، وعدم الانتماء لبلادهم، حتى يفقدوا صلتهم بالزمان والمكان، فيسهل إدخالهم فى **ماضى التاريخ**، وتهجيرهم إلى فلسطين.



الميديجو Elijah del Medigo

(نحو ١٤٦٠- ١٤٩٧) **أليشع بن موسى الميديجو**، إيطالى من مواليد كريت، تخصّص فى الدراسات الإسلامية، وتوفر على ترجمة أغلب كتب **ابن رشد** إلى اللاتينية، وقيل إنه من خلاله غالباً عرف علماء عصر النهضة ابن رشد وكتاباته، ومصنفه «**تمحيص الديانة**» ينقل فيه عن ابن رشد وجهة نظره التى يطرحها فى مؤلفه «**فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال**» فى قضية الصلة بين الدين والفلسفة.





الناربونى Narboni

(توفى سنة ١٣٦٢) **موسى بن يشوع**، وشهرته **موسى الناربونى**، ولد بناربون من أعمال الجنوب الفرنسى، وعاش ابتداء من ١٣٤٤ متنقلا بمدن أسبانيا، وبها كتب شروحه على كثير من النصوص الإسلامية، أخصّها **مقاصد الفلاسفة للغزالى**، **وحىّ بن يقظان لابن طفيل**، وأغلب كتب **ابن رشد**، وكتاب **دلالة الحائرين للميمونى**. وهو يميل لابن رشد ميلاً ظاهرا ويعارض به اتجاهات الميمونى لصبغ اليهودية بالأفلاطينية التى ينقلها عن ابن سينا والفارابى. ورغم عقلانيته لم يستطع أن يتخلص من الحلول والتشبيه الإسرائيليين، وله شطحات باطنية تسرى إليه من القباليين اليهود، ومن **يوسف بن وقار** صاحب **المقالة الجامعة فى بيان الفلسفة والشريعة**.



النسخ Abrogation

هو إزالة الشريعة للشريعة ورفعها، وتُبطله فرقة **الربّانية** ولا تجعله ممكنا، ويجيزه **الفلاسفة العقليون** ولكنهم لايوقعونه.

وعُمدة المبطلين للنسخ أن الله يستحيل منه أن يأمر بالأمر ثم ينهى عنه، وإلاّ لعاد الحق باطلا والباطل حقا، ولاستحالت الطاعة معصية والمعصية طاعة، وعابوا على القرآن بعضه ينسخ بعضه بما يعود على الله بالتناقض والتكاذب.

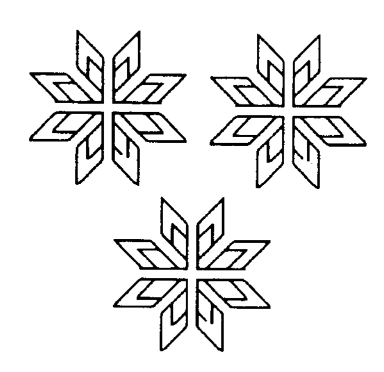
وقد فات هؤلاء أن النسخ فى **الحقيقة** هو بيان وتخصيص فى الأزمان، فالشرائع أوامر لوقت محدود بعمل محدود، فإذا خرج ذلك الوقت عاد ذلك الأمر منهياً عنه، كالعمل عندهم هو مباح يوم الجمعة محرمٌ فى السبت، ثم يعود مباحاً يوم الأحد. وكالصيام والقرابين. وهذا هو **نسخ الشرائع فى حقيقته**، إذ ليس معناه إلا أن يأمر الله بالعمل مدة ثم ينهى عنه بعد انقضائها، ولا فرق بين أن يعرف الله تعالى ويخبر عباده بما يعرف، ويريد أن يأمرهم به قبل أن يأمرهم به، ثم بأنه سينهى عنه بعد ذلك، وبين أن لا يعرّفهم به، إذ ليس عليه تعالى شرط أن يعرّف عباده بما يريد أن يأمرهم قبل أن يأتى الوقت الذى يريد إلزامهم فيه بالشريعة. ثم إن العلّة التى أوجبت بها الربانية إرسال موسى لا تزال باقية، وإلا لم تقم حجة موسى على أصحاب نوح، ولا على مَنْ أقرّ بإبراهيم وأنكر موسى، وهذه العلة هى جهل الناس بحقيقة الدين وإنكارهم لتوحيد البارى تعالى فى كل عصر وحين. ويقر **التلموديون** أن موسى قد استخلف، وتواترت الأنبياء بعده بنصوص التوراة، ومنهم يشوع وإرميا وحزقيال ودانيال وغيرهم، ولو أنكروا عيسى ومحمداً عليهما السلام لكان **للسامرية**، وهى إحدى فرق اليهود، نفس الحق الذى أنكروه عليهم، والسامرية تنكر الأنبياء اليهود جميعاً بعد موسى.



النصارى Nazarenes

فى الاصطلاح هم الفرقة التى أقرّت **رسولية بولس**، وقبلت **إلهية** المسيح بدعوى أنه مولود مريم العذراء، ويصفهم الربّانيون بأنهم **هراطقة اليهود**. وكانوا يقرأون النسخة العبرية لإنجيل متّى، ولكنهم حافظوا على ناموس موسى وشريعته، وإن لم يلزموا بها المسيحيين من غير اليهود.

وكانت فرقة **المندائية** يقولون إنهم **نصارى** كذلك، والمندائية لاتنكر المسيح ولا تؤلهه، وتعيب على المسيحيين تجديفهم على الله بقولهم إن المسيح ابن الله.



باب الهاء

هس Hess

(١٨١٢ - ١٨٧٥) **موسى هس**، اشتراكى ألمانى، كتابه الرئيسى «**روما والقدس**» (١٨٦٢)، وكان عنوانه الأصلى «**إحياء إسرائيل**»، قيل **اشتراكيته فلسفية** لأنها تحقيق لجوهر الإنسان يقوم على جعل العمل الحر أساس الاجتماع. وقيل **فلسفته أخلاقية** لأن المشكلة الإنسانية فيها لا يحلّها الصراع الطبقى، ولكنه التعليم وتنظيم العمل، ومن ثم فهى تطبيق للأخلاق، أو هى ممارسة أخلاقية أو أخلاق عملية، وقيل **اشتراكيته يهودية، وبشير بالصهيونية**، لأنه يعتبر اليهودية ديانة فوق الطبقات، فإذا كان التاريخ يصنعه الصراع بين الأجناس البشرية والطبقات الاجتماعية، فإن الصراع بين الأجناس كان الأصل، بينما الصراع بين الطبقات يأتى فى المرتبة الثانية، وكان الجنسان **الآرى والسامى** هما أكبر الأجناس التى أسهمت فى صنع التاريخ، وكان إسهام **الآريين** دائما هو تفسير الحياة وتجميلها، بينما أضفى **الساميون** عليها معانى الأخلاق والقداسة، **وغاية التاريخ** أو نقطة الوصول النهائية فيه، أو ما يسميه هس **سبت التاريخ**، هو وحدة كل الأجناس والطبقات وتعاونها وتآلفها، واليهود أقدر الناس على المزج بين كل القوى التى تساعد على بلوغ هذا الهدف، بحكم انتشارهم فى العالم، واشتراكهم فى كل الحضارات، وإذا وعى الشعب اليهودى **رسالته** الخاصة هذه فإنه سيشعر بقوميته، وسيحفزه ذلك على **العودة إلى فلسطين**، ليبنى على أرضها تجمعات استيطانية زراعية وصناعية وتجارية، مبادؤها **موسوية اشتراكية**، تكون مراكز للوعى العالمى، وتستنفر الأجناس المضطهدة إلى الثورة، وتجمعها فى وحدة نواتها القدس، تصنع مع روما العاصمة القديمة للعالم **محور روما القدس** الجديد،

للعالم الجديد.

☼ ☼ ☼

هيرش Samson Hirsch

(١٨٠٨ - ١٨٨٨) **شمشون روفائيل هيرش**، الداعية والمنظّر **للسُنّيين المحدثين**، وهى حركة ظهرت بفرانكفورت بألمانيا وانتشرت منها إلى كافة بلدان أوروبا، هدفها الدعوة إلى الأخذ بأسباب الحضارة مع التزام الشريعة كما تفسرها سُنّة السلف.

وقد طرح هيرش أفكاره فى كتابه «**تسعة عشر خطاباً عن اليهودية**» طالب فيه بالعمل بما جاء فى التوراة المكتوبة والشفاهية، وقال إنه لا تعارض بين أن يكون المرء يهوديا وأن يكون ولاؤه فى نفس الوقت للدولة التى يساكنها، وعلّل ذلك بأن اليهودية ليست قومية ولكنها دين يجمع إليه اليهود، ولن يكون اليهود شعبا إلا بنزول **المسيح** الموعود الذى سيصهرهم ويحولهم إلى شعب بالكامل.

وقال هيرش إن **العقلانية والعلم** لايتنافيان مع الشريعة، بل إنهما ليمهدان إلى فهم الشريعة وتطبيقها بالطريقة الصحيحة، وقال إن الفساد لم يتسرب إلى اليهودية إلا بفعل الدعوات الإصلاحية أو ما يسمى **اليهودية الإصلاحية** التى انساق إليها بعض اليهود ففسدوا، ومن ثم وُجِدت **اليهودية الفاسدة** بفسادهم، فأية دعوة إصلاحية تنطلق من خارج اليهودية هى مذاهب وفلسفات من إبداع الإنسان، وأية حكمة إنسانية لايمكن أن ترقى إلى حكمة الله، والتوراة هى **كلام الله**، كتبها حرفا حرفا، ومن ثم لاينبغى تعديلها ولاتبديلها ولا تطويرها، مهما كانت الحجج والدفوع والذرائع، لأن أية محاولة لذلك ستؤدى إلى انحلال اليهودية وإفراغها من مضمونها الدينى، واليهودية ديانة، ولاينبغى التعلل بالحاجة إلى تيسير الشريعة وتبسيطها ليفهمها الناس، ولتساير العصر، فالواجب أن **يرتفع** الناس والعصر إلى مستوى الشريعة، لا أن تهبط الشريعة إلى مستوى الناس والعصر، ولذلك دعا هيرش أتباعه إلى عدم مخالطة الإصلاحيين،

وإلى تنظيم أنفسهم فى جماعات مستقلة، ومن ثم كان إطلاق اليهود الآخرين عليهم اسم **الانفصاليين**.

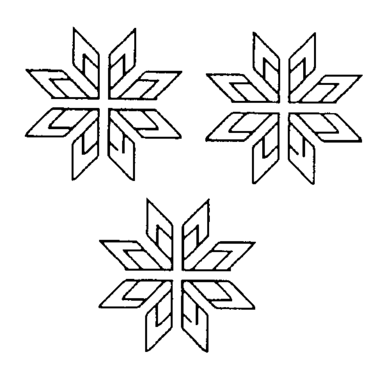


هيرش Samuel Hirsch

(١٨١٥- ١٨٨٩) **شموئيل هيرش**، ألمانى، من المفسرين للدين اليهودى فى ضوء الفلسفة الهيجلية، وهو إصلاحى، ترأس **مؤتمر الإصلاح اليهودى** الذى عُقد فى أمريكا سنة ١٨٦٩، وكتابه «**فلسفة دين اليهود**» يتمثل فيه بشكل ظاهر منهج **هيجل** وغايته من التفلسف، ويقول إن قوام **فلسفة الدين** تحويل الوعى الدينى إلى حقيقة فلسفية، وإنْ كان هيرش يختلف مع هيجل فى تقديمه **للحقيقة الدينية** حيث يجعلها صنواً للحقيقة الفلسفية.

ويرى هيرش أن الإنسان لا يعى نفسه كذات إلاّ عندما يعى حريته، وتظل هذه الحرية تصوراً لا يتحقق إلا عندما يؤمن بالله من خلال ديانه منزّلة، فإذا عقد السيادة لطبيعته وحواسه على تفكيره وقلبه فإنه يفقد حريته ويجعلها لاحقة وخاضعة لطبيعته، وهذا ما حدث فى الديانات الوثنية التى جعلت من الطبيعة المطلقة مبدأ، بعكس الديانات المنزّلة التى أضفت كرامة على الإنسان وجعلته مسئولاً، ومن ثم حراً، وليس الله فيها إلا واهب ومريد هذه الحرية، فهو يريد الإنسان أن يكون حراً لأنه يريده أن يكون مسئولاً، وكلما نزّهت الديانة الله كلما جعلت صورته كواهب لهذه الحرية ومريدها أكمل، ولذلك كانت المسيحية **ديانة متوسطة** بين اليهودية والوثنية، لأن المسيحية والوثنية لا تجعلان الله مبدأ للحرية، وإن كانت المسيحية تقول ذلك بدرجة أقل من الوثنية. وكانت المسيحية فى بداية ظهور المسيح نسخة من اليهودية، أو أنها كانت هى نفسها اليهودية، ولكن تعاليم شاول المدعو **بولس الرسول**، وما أدخله من أفكار غريبة على هذه الديانة هى التى باعدت بين الديانتين، ومن ثم لو استبعدنا ما أقحمه بولس

على هذه الديانة هى التى باعدت بين الديانتين، ومن ثم لو استبعدنا ما أقحمه بولس الرسول على المسيحية لعادت ديانة توحيدية ورافداً من روافد اليهودية. وليس أدلّ على صدق اليهودية من استمرار شعبها فى الوجود حتى الآن، فاستمرار هذا الشعب هو معجزة إلهية، وكان الله يظهر نفسه لشعبه من خلال أنبيائه ومعجزاته بهم ولهم، وهو الآن يظهر نفسه من خلال **معجزة واحدة** هى مشيئته التى تحققت بأن جعل الشعب اليهودى يستمر رغم كل شىء.





يافث Japheth

(نحو ٩٢٠ - بعد ١٠٠٥م) **أبو على يافث**، اشتهر بتفسيره لسفر الخروج على طريقة علماء الكلام المسلمين وانتقد **موسى بن ميمون** مذهبه، وقال فيه إن الذى نجده عنده وأمثاله من الربانيين والقرّاءين من يهود العراق من الكلام فى معانى التوحيد، إنما هو أمور أخذوها عن المتكلمين المسلمين، وخاصة المعتزلة والأشعرية، أما علماء يهود الأندلس فيستمسكون كلهم بأقاويل **الفلاسفة**، ولايسلكون مسالك المتكلمين.



اليهودية Judaism

كفلسفة أساسها **التوراة**، يقولون إنها الشريعة وكل التراث، **والشريعة** هى تعاليم موسى التى تلقاها فى سيناء، ولكن اليهودية أشمل من ذلك، لأنها **روح الشعب** الذى توجه إلى سيناء فتسلّم هنالك الشرائع، وروح الشعب أقدم من موسى، لأنها **روح الآباء** إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب، وقد جاء فى **التلمود** أن حديث من يعش فى أرض الميعاد توراة، فربطوا بين **التوراة والشعب** والأرض فى مثلث تنهض عليه اليهودية.

وقالوا إن **الشعب** اختار الله لعبادته، فاختار الله الشعب ليكون شعبه المقدس، وقد جاء فى **التوراة**: «لأنك شعب تقدّس الرب إلهك، قد اختارك الرب لتكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض» (تثنية ٢/١٩)، وجاء فى **التلمود**

«لماذا اختار الواحد القدّوس بنى إسرائيل، لأنهم اختاروا الواحد القدوس وتوراته»

وغالوا فقالوا إن **العهد** الذى قطعه الله للشعب مُلزِم له للأبد، **وأفضلية** اليهود لذلك أزلية لن تتغير، وهذا العهد ليس عقدا، **لأنه لايُلزِم إلا جانباً واحدا هو جانب الإله** المتعاقد، ولذلك فإن الشعب المختار حتى لو ضلّ **عن سبيل الله، فلن يتخلّى عنه الله** كلية، لأن حُبّ الله للشعب يغلب على عدالته، والشعب اليهودى هو **الشخيناه Shek-hinah أو الحضرة الإلهية**، وحضوره هو حضور إلهى، فحيثما يحلّ يكون الله. ولئن كان الشعب يعيش **الزمنى** أو **النسبى**، فإنه فى نفس الوقت يتغلغل فيه **المطلق**، وهو لذلك شعب مقدّس، وكل **فرد** فيه هو تجسيد للإرادة الإلهية، وهو نبى بالضرورة، **ونبوة شعب اليهود** لذلك نبوة مفتوحة، بل إن الشعب هو امتداد الله فى الأرض، والتوراة ليست الشريعة المكتوبة، ولكنها الشريعة الشفوية كذلك، أى **تنبؤات** الشعب.

و«**الأرض المقدسة**» هى «**أرض الميعاد**»، وعد الله بها إبراهيم ونسله، لأنه سبحانه صاحب ما يخلق، يوزعه على مشيئته، وقد ارتضت مشيئته أن تكون هذه الأرض لهذا الشعب، وهى مقدسة لأنها جزء من السماء والأرض اللذين فطرهما الله قبل بداية التاريخ، فهى **خارج التاريخ**، وهى «**أرض الرب**» «**التى يقطن عليها الله**» (يوشع ٩/٣)، ولا إقامة لشريعته إلاّ عليها، وقد جاء فى التلمود «**أن من يحيا خارجها لا إله له، والمؤمن فيها نبى**»، وجاء فى سفر أشعيا «**الشعب الساكن فيها مغفور الذنب**» (٢٤/٣٣)، وهى «**أرض المعاد**» التى سيعود إليها اليهود بإرشاد الماسيح أو **المهدى المنتظر** فى آخر الزمان.

وتخلط اليهودية تاريخ الأرض والشعب بالتاريخ المقدّس، حتى ليبدو التاريخ وكأن الله قد حلّ فيه، وكأنه حوار بين **المطلق والنسبى**، فصارت **بداية التاريخ** هى العهد الذى قطعه الله على نفسه لإبراهيم، **ونهايته** ظهور الماسيح أو المهدى المنتظر وإقامة حكومته على الأرض، وبذلك يكون التاريخ كله هو **تطور تحقيق المشيئة الإلهية**، تلك

المشيئة التى ترتبط بشعب إسرائيل. وهو تطور **فى خط مستقيم**، يتجه نحو هدف أعلى وغاية نهائية، **وفكرة التاريخ** فى اليهودية من ثمّ مطلقة، تلغى أى معنى إنسانى له، وتُفرغه من كل جدل، وتركّزه فى الشعب اليهودى.

وفكرة الماسيح أو الماشيح رؤية أحادية قد تنطوى على التقدم نحو هدف أعلى، إلا أنها تقوم على الحتمية، حيث يأتى تدخل الله المستمر فى التاريخ ضد الواقع ومن أجل نهاية سعيدة محسوبة هى دائما **خلاص إسرائيل**، خلّصهم فى أول الأيام **من النفى فى مصر**، وسيخلّصهم فى آخر الزمان **من النفى فى كل مصر**، وسيكون خلاصهم بإرشاد الماشيح، المسمّى المُخلِّص لذلك، وبين البداية والنهاية «**يد قوية وذراع ممدودة**» تدفع التاريخ من الخارج، وتحرّك البشر كالدُمَى، ولذا قيل إن **فلسفة التاريخ فى اليهودية معادية للتاريخ** أو **لاتاريخية**، ولعله بسبب هذه الفلسفة اللاعقلانية قيل إنه قد ضمرت لديهم **الحاسة التاريخية**، وذَوَى عندهم الإحساس **بالزمان**، وخلا تراثهم من **المؤرخين** من ذوى الأصالة، **وحفل بالنزعات الطوباوية** التى تنطلق من رُؤَى كونية تلغى الفوارق والحدود التاريخية بين الأشياء، **فانعزلوا** حضاريا ونفسيا، ووقفوا **خارج التاريخ**، ولم يكن أمامهم لذلك **إلا العنف** يتوسلون به لتجاوز الهوة بين المثال اللاتاريخى والواقع المتعين، حيث العنف هو الوسيلة اللامعقولة لفرض تصورات لا تاريخية على واقع تاريخى، وألغت لديهم **الرغبة فى العودة** - ألغت الإحساس بالمكان والانتماء الجغرافى، فعاشوا داخل **الجيتو** كتعبير حضارى ونفسى عن عقلية تقف خارج الزمان والمكان، واشتغلوا - من منطلق هامشية وضعهم - بالتجارة البدائية التى هى نقل فائض السلع من مجتمع لآخر، وبمبادلة النقد والإقراض بالربا، وهى **مهن هامشية** لا تلعب أى دور فى عملية الإنتاج التى هى فى صميمها إضفاء البُعد الإنسانى على الطبيعة فى شكل تنظيم الإنتاج اجتماعيا، وكان ولَعُهم **بالأرقام** واشتغالهم **بالحساب** لأنها قمة الممارسة التجريدية لدور التاجر والمرابى، وامتد

التجريد ليشمل تصورهم للإله، فكان عندهم مطلقا، ولكنه **المطلق الذاتى**، أى الخاص بهم، فإله اليهود ليس ربّاً للعالمين كإله المسلمين مثلا، ولكنه **إلههم هم وحدهم** وخاصتهم. **وقيل** إنه تعبير عن **العقلية اليهودية** غير القادرة على الرؤية المركّبة، حيث **النظرة الواحدية أو الأحادية** تكاد تطبع تفكيرهم كله، فالإله عندهم واحد، وكذلك **الشعب والديانة والتنزيل والتاريخ**.

غير أننا نجد أن الإله الواحد يعبرون عنه فى العبرية **بإلوهيم Elohim**، وهى صيغة جمع تعنى **الآلهة المتعددة**، مما يسقط دعواهم فى التوحيد والقول بأنهم أول الموحدين. وتحفل أسفارهم بعبارات تفيد أن اليهود **مشركون ومجّسمة ومشبّهة**، وكانوا أصل التجسيم فى الإسلام، وقيل إن تصورهم للإله قد صاغه وضعهم الهامشى، وجاء تلفيقاً لتصورات الأمم التى عرفوها والمجتمعات التى عانوها، فاليهودى **عبرى أو عبرانى**، وهى كلمة تعنى «بدوى»، وقد كان العبرانيون رُحّل ينتقلون من مصر إلى مصر، طلباً للكلأ والماء، وفكرة الإله الواحد دون الآلهة الكثيرة أخذوها من ديانة **أتون** خلال تواجدهم فى مصر، واسم **يهوه Yahweh** الذى أطلقوه على الإله ليعرفوه به دون غيره من آلهة الأمم، هو إحدى الصفات التى كان يطلقها المصريون على إلههم **آمون رع**، ومن بعده الإله **أتون**، ويعنى الاسم **الموجود**، فهو الإله الموجود أو الكائن. واسم **أدُونى Adonai** الذى أطلقوه كذلك على الإله هو نفسه اسم الإله المصرى **أتون**، والإله السورى **أدونيس**.

وفى كتابه «**موسى والتوحيد**» (من ترجمتنا) الذى عالج فيه عالم النفس اليهودى **سيجموند فرويد** مسألة التوحيد عند اليهود وأصوله التاريخية، يؤكد الصلة بين الديانتين المصرية واليهودية، ويقول إن اللفظ **أدونى** فى العبرية ربما يدل على أن اليهودية كانت فى الأصل ديانة **أتون** المصرى، اعتنقها اليهود خلال إقامتهم بمصر، وربما جاء خروجهم على النحو الدرامى الذى تصوره به التوراة نظراً لمقتل أخناتون

داعية أتون، وما تلا ذلك من فوضى أَمْنية، واضطهاد لكل من اعتنق هذه الديانة، وإزالةٍ لكل ما تمثله. وإن المرء ليلفت نظرة فوراً الشبه القوى بين الديانتين **المصرية واليهودية** حيث أنهما تقولان بإله واحد، وتحرّمان **لحم الخنزير وصناعة تماثيل للإله**، وتأمران **بالختان**، وقد كانت لهذه الأركان فى الديانة المصرية **أسبابها** التاريخية والاجتماعية، ولكنها فى الديانة اليهودية تُطرَح **كأوامر** إلهية ليس لها أسباب معقولة. ويقول فرويد إن الإله السورى **أدونيس** ربما قد حلّ محل **يهوه** اليهودى فى الفترة التى عرفت الامتزاج القوى بين الثقافة اليهودية وغيرها من ثقافات المنطقة. وإلى هذه الفترة كذلك يرجع استخدام لفظ **بعل** كاسم للإله، فكان **بعل بريث** أى **رب العهد** هو الاسم الذى عبدوه به **فى** شكيم زمن القضاة. **والبعل** هو إله الكنعانيين، ويعتقدون أنه ابن **الإله** إيل. **وإيل** استخدمه اليهود كإسم للإله كذلك مع أنه إله كنعان، وكانوا ينسبون إليه فيقولون **إيليا** أى إلهى، **وإيل بريث**، أى إله العهد.

ويبدو من الواضح أن دخول هذه الأسماء الأجنبية فى اللغة العبرية واكب المراحل التاريخية التى زاد فيها الاحتكاك الحضارى بين اليهود وغيرهم، وبعدت الشقة بينهم وبين التوحيد الذى دعا إليه إبراهيم وموسى، ولنلاحظ أنهم لم يبدأوا تدوين التوراة إلابعد نزولها بنحو سبعمائة سنة (**أنظر توراة**)، وقد تداول كتابتها الأحبار والربّانيون فأصابها منهم **التحريف** الثابت **بالزيادة والنقصان والغلط**. وكانت التوراة الجديدة أو المدونة انعكاسا **لظروفهم النفسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية**، وبسبب هذه الظروف تباينت تصوراتهم الميتافيزيقية، وبينما نجدهم قد احتفظوا بالخط التوحيدى الإبراهيمى الموسوى فى عبارات معدودة، فإنهم قد أضافوا بالتأكيد عبارات أخرى تتناقض والأولى. ولقد تصوروا الإله حقيقة مطلقة، ولكنها كانت حقيقة لاتعلو على المادة، كونية كانت أو تاريخية، فلم يكن هذا فى الواقع إلا امتداداً لما هو نسبى، أى امتداداً لوعى الأمة اليهودية بنفسها، فظل **إلها قوميا** مقصوراً عليهم، ولم يمنعهم ذلك

من إقرار آلهة الأمم فى فترات الاحتكاك الحضارى، فأقبلوا عليها وأقاموا لها الأنصاب، وذبحوا الذبائح، حتى قال فيهم إرميا «بعدد مدنك يا يهوذا صارت آلهتك» (١٠/١١)، وظل تصورهم للربوبية فى تعديل مستمر بفعل الثقافات الأجنبية.

ولعل أبرز هذه الثقافات كانت **الثقافة الإسلامية**، ولم ينشأ التوحيد اليهودى إلاّ فى دائرة هذه الثقافة، ولكن الروح العامة للتوراة طبعت الفلسفة اليهودية بطابعها، فكانت هذه الفلسفة فى أغلبها تقول **بوحدة الوجود**، وهى **فلسفة حلولية** تذهب إلى أن الله ليس إلاّ فعله، بمعنى أنه الطبيعة، والطبيعة باعتبارها طبيعة خلاّقة، هى جوهر إلهى.

وبهذه **الفلسفة الحلولية** التى شاعت فى الفكر اليهودى أمكنهم أن يفسروا **التجسيم والتشبيه** فى التوراة، من أمثال العبارات «لاتقدر أن ترى وجهى» (الخروج ١٨/٣٣). و«فعلتم الشر فى عينى الرب» (التثنية ٢٥/٤)، و«كأنهم يشتكون شرا فى أذنىّ الرب» (العدد ١/١١)، و «الرب يضحك» (المزمور ٢٢/٣٧)، إلى آخر ما فى التوراة من أوصاف بشرية للإله تفيد أنه يأكل ويشرب، ويتعب ويستريح، ويضحك ويبكى، ويقطب ويحب ويكره، وينسى ويتذكر.

ودافع فلاسفتهم عن **تهمة التجسيم** التى رماهم بها الإسلاميون، بأن التجسيم منه كثير بالقرآن. ولكن شتّان بين إيراد القرآن لعبارات مثل يد الله فوق أيديهم، أو فثمة وجه الله، حيث أنها هنا على **المجاز** وليس على الحقيقة، ثم إن القرآن يقول فى وصف الله حتى مع إيراد بعض الصفات مما يجتمع للبشر «**ليس كمثله شىء**». أى أنه ربما له وجه أو يد، ولكن ليس كيد أو كوجه البشر. وأين من ذلك قول اليهود فى التوراة أن يعقوب قد عاين الله وصارعه ورفض أن يطلقه حتى يباركه: «بقى يعقوب وحده فصارعه رجل إلى مطلع الفجر، ورأى أنه لايقدر عليه، وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر، فقال لا أطلقك أو تباركنى، وسأله يعقوب وقال عرّفنى اسمك، فقال له لِمَ سؤالك عن اسمى،

وباركه هناك، وسَمّى يعقوب الموضع فنوئيل قائلا: إنى رأيت الله وجهاً إلى وجه» (التكوين ٣٢/٢٤ - ٣٠).

وقد دافعت **فرقة الربّانيين** عندهم عن التجسيم حينما حاول بعض فلاسفتهم ممن نشأوا فى دائرة الثقافة الإسلامية تقليد المسلمين ونفى الجسمية عن الإله، فقال المجُسّمة الربّانيون إن الإله جسم، وأن نفى الجسمية عنه ينفى كذلك الجهة والحركة وهلما جرا، الأمر الذى يرتب الكثير من الشكوك فى الشريعة ويرجعها متشابهة، ذلك أن بعث النبى انبنى على الوحى النازل إليه من السماء، وانبنى نزول الوحى من السماء على أن الله فى السماء، وهكذا، وتأويل الشريعة على غير ظاهرها يمزقها ويبطل الحكمة المقصودة منها، ولو قلنا للجمهور إن الله موجود ليس بجسم، كالإسلاميين، لن يعقلوه، لأن الموجود عندهم هو المحسوس، والمعدوم عندهم غير المحسوس، ومن ثم يناسبهم جدا أن يقال إن الله جسم.

وذهب فريق إلى إثبات الجسمية، ولكنهم قالوا قولة الإسلاميين هو جسم ولكن ليس كمثلة شيء، وحاول هؤلاء التخلص من **صيغة الجمع فى العبارة ٢٦** الشهيرة من سفر التكوين الإصحاح الأول «**لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا**» بالفلسفة الأرسطية من خلال فهم الإسلاميين لها، فقالوا إن الله قد خلق آدم ليس على صورته المادية، ولكنه عندما يطيعه يكون سيداً على الأشياء فيمكن أن يأتى بالمعجزات، والفكر الإنسانى صورة إلهية، والإنسان يحاكى الله فى فعل الخلق وهو يبذر ويزرع ويبنى، مثلما أن الله هو الخالق والحافظ والقادر، وهذا هو **المقصود** بأنه صورة للإله. أما صيغة الجمع فالمقصود بها أن الله يوجه خطابه إلى **العقل الفعّال** المنوط به فعل الخلق، فيكون المعنى أن الإله والعقل الفعّال يصنعان الإنسان على مثاليهما. وإذن لايكون المقصود بالعبارة تعدد الآلهة.

وعلى أى الأحوال فإن القول بالتوحيد الصريح لم يقل به فلاسفتهم إلا بالتلقى عن

الإسلاميين، وقد دام بدوام هذا التلقى، وارتفع بارتفاعه، والفلسفة اليهودية المعاصرة **حلولية** وأبعد ما تكون عن التوحيد.

ومن الغريب أن **مجسّمة المسلمين** نقلوا التجسيم عن الربّانيين، وأوردوا أقوالهم فيه ومعارضة المعارضين، وتوسعوا فى ذلك واختلفوا أشد الاختلاف، فيما كان سببا لما عَرَض للإسلام من فِرَق أنبأ عنها النبى عليه الصلاة والسلام أنها ستفترق إليها أمته، ولولا هذه الأقوال نفسها لأعوزت المسيحية التربة، كما يقول **برتراند رسل**، التى نمت فيها بذور القول بألوهية المسيح أو بنوته الإلهية، ولما استطاع اليهودى **شاول المدعو بولس الرسول** أن يدعو هذه الدعوة ويجد لها المنصتين، ناهيك عن المؤمنين (**أنظر كذلك الصهيونية والقبالة والحسيدية**).



يوحنا الحوارى St. John

يوحنا بن زَبَدَى، دعاه يسوع مع أخيه ليكونا من تلاميذه، وأمه سالومة كانت على الأرجح **أخت مريم** أم يسوع، وعند الصلب أوصاه المسيح بالعناية بأمه. وقيل هو صاحب **الإنجيل** المسمى باسمه، وهو أخطر الأناجيل الأربعة باتفاق الآراء، **لأنه** الإنجيل الذى تضمن ذِكْرا صريحا **لألوهية المسيح، فهذه** الألوهية هو نص إثباتها ورُكْن الاستدلال فيها، وهو موضع مخالفتها لديانات التوحيد وأساس التباين بين هذه الديانة وتلك الديانات. واستدلوا على أن يوحنا الحوارى هو كاتبه بأن كاتب هذا الإنجيل لابد أن يكون **يهوديا فلسطينيا**، ويظهر هذا من معرفته التفصيلية لجغرافية فلسطين والأماكن المتعددة فى أورشليم وتاريخ وعادات اليهود.

وقيل كاتبه **يوحنا آخر** لايمت الى ابن زبدى بصلة، واستدلوا على ذلك بلغته اليونانية الرصينة، والفلسفة اليونانية التى تشيع فيه، والتى تختلط فيها **الرواقية والأفلوطينية بالهرمسية والغنوصية والمندائية**، مما رجح القول أن يكون هذا

الإنجيل من تصنيف تلميذ من **مدرسة الإسكندرية**، خاصة أن الكثير من الفرق المسيحية كانت تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أُسند إلى يوحنا.

وقالوا إنه لاشك مزوّر، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما **يوحنا ومتّى** الحواريان، وادّعى هذا الكاتب المزّور فى متن الكتاب أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح، واستخدم لذلك **ضمير المتكلم الجمع** ليوحى بأنه هو، وأخذت الكنيسة عبارته على علاّتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى، ووضعت اسمه على الكتاب نصا، مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا.

ولايخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه، ففى العبارة **الرابعة والعشرين** من الباب **الحادى والعشرين** منه «هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا ويعلم أن شهادته حق»، فتحدّث كاتبه فى حق يوحنا بضمير **الغائب**، فعلم أنه غير يوحنا.

وردّ العلماء **إحدى عشرة آية** من أول **الباب الثامن** لم توجد فى الترجمة السريانية، وعندما كتبوا شروحا على هذا الإنجيل لم يشرحوا هذه الآيات، ولم ينقلوها فى شروحهم وتحيّروا فى تفسير الاختلافات بين آيات هذا الإنجيل والأناجيل الثلاثة الأخرى، ففى **الباب الأول** منه أرسل اليهود الكهنة واللاويون يسألون يوحنا المعمدان: من أنت؟ وقالوا أأنت إيليا، فقال لست أنا بإيليا. وفى الآية **الرابعة عشرة** من الباب الحادى عشر من إنجيل **متّى** ورد قول المسيح فى حق يوحنا المعمدان «وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتى»، ثم فى الباب **السابع عشر** من إنجيل **متّى** سأله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة أن إيليا ينبغى أن يأتى أولاً، فأجاب يسوع أن إيليا يأتى أولاً ويردّ كل شيء، ولكنى أقول لكم أن إيليا قد جاء ولم يعرفوه، بل عملوا كل ماأرادوا، حينئذ فَهِم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان»، فعُلِم من إنجيل **يوحنا** أن يوحنا المعمدان قد أنكر أنه إيليا، بينما أكد المسيح فى رواية إنجيل **متّى** أنه إيليا،

فيلزم التناقض فى قول **يوحنا والمسيح** فى الإنجيلين.

وفى رواية إيمان الحواريين كتب **متّى ومرقص**: أن **عيسى لقى** بطرس وأندراوس ويعقوب ويوحنا على بحر الجليل ودعاهم إلى الإيمان فتبعوه، وكتب **يوحنا: أنه لقيهم** إلاّ يعقوب عند عبْر الأردن. وقال **متى ومرقس أنه لقى أولا** بطرس وأندراوس على بحر الجليل، ثم لقى بعد زمان قليل يعقوب ويوحنا على هذا البحر، وقال **يوحنا** أن يوحنا وأندراوس لقياه أولاً فى قرب عِبْر الأردن، ثم جاء بطرس بهداية أخيه أندراوس،ثم فى الغد لمّا أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل لقى فيلبس، ثم جاء نثنائيل بهداية فيلبس، ولم يذكر يعقوب. وقال **متّى ومرقس**: إنه لمّا لقيهم كانوا مشتغلين بإلقاء الشبكة وإصلاحها. ولم يذكر **يوحنا** الشبكة بل ذكر أن يوحنا وأندراوس سمعا وصْف عيسى من يوحنا المعمدان، وجاءا إلى عيسى، ثم جاء بطرس بهداية أخيه.

وفى رواية تعميد المسيح قال **متّى** إن يوحنا المعْمدان قال له إنى أحتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتى إلىّ، ثم اعتمد يسوع منه وصعد من الماء فنزل عليه الروح مثل حمامة. وفى الباب **الأول** من إنجيل **يوحنا** أن المعمدان لم يكن يعرفه، وعرفه بنزول الروح مثل حمامة، وفى الباب **الحادى عشر** من إنجيل **متّى** أنه لمّا سمع المعمدان بأعمال المسيح أرسل تلميذين إليه يسألانه أنت هو الآتى أم ننتظر آخر، فعُلِمَ من **الأول** أن المعمدان كان يعرف قبل نزول الروح، ومن **الثانى** لم يعرف إلاّ بعد نزول الروح، ومن **الثالث** أنه لم يعرف إلا بعد نزول الروح أيضا. وفى الباب **الخامس** من إنجيل **يوحنا** أن المسيح قال «إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقا»، وفى الباب **الثامن** منه «وإن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق»، فتناقض المسيح مع نفسه.

وكتب **يوحنا** فى نهاية إنجيله «وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كُتِبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع المكتوبة»، فى حين كتب **مرقس** فى إنجيله فى الباب **السابع** أنه أبرأ واحداً كان أصم أبكم، وبالغ **متّى** فى الباب **الخامس عشر**

القدمين، وأن المعترضين كانوا يهوذا فقط، وأن ثمن الطيب يقدر بثلاثمئة دينار، بينما قال **مرقس إنه** كان قبل الفصح بيومين في بيت سمعان، وكانت الإفاضة عل الرأس، والمعترضون كانوا أناسا من الحاضرين، وقال **متّى** عنهم إنهم كانوا التلاميذ، وقدّر **مرقس** زجاجة الطيب بأكثر من ثلاثمئة دينار.

وفى الآية **الثالثة عشرة** من الباب **الثالث** قال **يوحنا**« ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الله الذى هو فى السماء»، وهذا غلط لأن أخنوخ وإيليا رُفعا إلى السماء وصعدا إليها كما هو مصرح فى الباب **الخامس** من سفر **التكوين** والباب **الثانى** من سفر **الملوك الثانى**.

وذكر **يوحنا** على لسان المسيح قوله فى الباب **الأول** «ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان»، وهذا غلط لأنه لم يحدث أن قال أحد أنه رأى السماء مفتوحة والملائكة صاعدة نازلة.

وفى الباب **الرابع عشر** قال **يوحنا** «من يؤمن بى فالأعمال التى أعملها يعملها هو أيضا ويعمل أعظم منها» وما سمعنا أن أحداً من المسيحيين عمل عملا أعظم مما عمل المسيح.

ولكل هذه الأسباب قيل إن **يوحنا الحوارى** لا يمكن أن يكون كاتب هذا الإنجيل، لأن الأناجيل قيل إنها كُتبت بوحّى من اللهّ، ولا يمكن أن يكون الوحى من اللهّ ويخطئ كاتبه.

وقيل إن يوحنا هذا كتبه **لغرض** خاص، وهو أن بعض الناس كانت قد غلبت عندهم فكرة أن المسيح ليس بإله، وأن كثيراً من الفرق الشرقية كانت تقرر ذلك، فطُلِب إلى يوحنا أن يكتب إنجيلا يتضمن بيان هذه الألوهية فكتب هذا الإنجيل.

وقال بعضهم إن يوحنا صنّف إنجيله بطلب من أساقفة كنائس آسيا وغيرها، بسبب أن **شيربنطوس وأبيسون** وجماعتهما كانوا يعلّمون المسيحية بأن المسيح ليس إلا

إنسانا، فطلبوا منه إثبات ألوهية المسيح ونِكْر ما أهمله **متّى ومرقس ولوقا** فى أناجيلهم، وهذا أمر يعتبر من قائليه اعترافا بعدم وجود نصّ فى الأناجيل الثلاثة السابقة على يوحنا بألوهية المسيح، أو هى كانت فى زمن يوحنا على الأقل ليس فيها ما يستدل منه على ألوهية المسيح، ولما كان الأساقفة قد اعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود مايقوم على ذلك فى أناجيلهم، فإنهم اتجهوا إلى المدعو يوحنا يكتب لهم ما يحتّجون به على خصومهم، وإلاّ فما بالهم لم يقنعوا برسائل رُسُلهم التى كُتبت فى زعمهم قبل هذا الإنجيل، وفيها ما ينبئ عن ألوهية المسيح ويعلنها. فلا شك إذن أن هذا الإنجيل منحول على الحوارى يوحنا، وهذا ما حدا بعلمائهم الذين اشتركوا فى كتابة **دائرة المعارف البريطانية** أن يرجحوا أن مؤلفه لا بد أن يكون على الأرجح من **تلاميذ يوحنا**، وأنهم كتبوه فى إحدى البلاد الشرقية، وربما **إفسوس**، فى **نهاية القرن الأول** الميلادى.



يوحنا المعمدان John the Baptist

يوحنا، أو **يحيى**، الصيغة العربية للاسم يوحنا فى أسفار الأبوكريفا والعهد الجديد، وهو **يحيى بن زكريا**، أمه اليصابات، «صوت صارخ فى البرية» (**يوحنا، الفصل الأول**)، أى مصلح دينى واجتماعى، عمله تبكيت الناس، داعيا إياهم إلى التوبة، مبشراً بالخلاص على المسيح القادم، «تعطى شعبه عِلم (بكسر العين) الخلاص» (**لوقا، الفصل الثانى**)، يقول «توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات، وأعدوا طريق الرب، واجعلوا سبله قويمة» (**متّى، الفصل الثالث**). روى له أبوه رسالة الملاك التى تلقاها عند مولده «يكون عظيما أمام الرب، ولايشرب الخمر ولا مُسكِر، ويمتلىء من الروح القدس وهو فى بطن أمه، ويردّ كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم، وهو يتقدم أمامه بروح إيليا وقوته، ليردّ قلوب الآباء إلى الأبناء، والعصاة إلى حكمة

الأبرياء، ويعدّ للرب شعبا كاملا» (**إنجيل لوقا، الفصل الأول**)، فكانت حياته مصداقا للبشارة، وفلسفته هى نفس فلسفة **الفرقة الآسينية**، عاش مثلهم ناسكاً زاهدا، ساعيا لإخضاع نفسه والسيطرة عليها بالصوم والتذلل، حاذيا حذو **إيليا النبى فى** ارتداء عباءة من وبر، شاداً على حقويه منطقة من الجلد، طعامه الجراد والعسل البرّى، ورسالته التوبة والمعمودية، ولذا ردّوا إليه أصل **التصوف**، وكانت المعمودية اليهودية تقوم على الاغتسال والتطهر، فأضفى عليها بُعْداً اجتماعيا، وعمّق مفهومها الروحى:«أثمروا ثمرا يليق بالتوبة، ولا يخطر ببالكم أن تقولوا فى نفوسكم أن أبانا إبراهيم، لأنى أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم. الفأس قد وضعت على أصل الشجرة، فكل شجرة لا تثمر ثمرة جيدة تُقطع وتُلقى فى النار» (**متّى، الفصل الثالث**)، فقَرَن التوبة بالعمل، وأبطل أسطورة شعب الله المختار والشعب المقدس وتوارث القداسة، بأن أدخل المهتدين إلى الدين اليهودى، وعمّدهم بصرف النظر عن جنسهم وطبقتهم.

وهذا الخروج إلى **العالمية**، وأفكاره **الثورية** الدينية والاجتماعية، هى التى عجّلت بصدامه مع السلطة، فقضى بسبب ظاهرى هو دسيسة **هيروديا** وابنتها **سالومه فى** القصة المشهورة.

وإن المتأمل لقصة يوحنا فى الأناجيل التى كتبها يهود مسيحيون ليلحظ أن الاختلاف شديد فى روايتها، الأمر الذى ينقضها جميعا، ففى **الباب** الأول من **إنجيل يوحنا الحوارى** أن اليهود الكهنة اللاويين أرسلوا إلى يوحنا المعمدان يسألوه : من أنت، أأنت إيليا، فقال لست أنا إيليا. وفى العبارة **الرابعة عشرة** من الباب **الحادى** عشر من إنجيل **متّى** قول عيسى فى حق يوحنا« وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتى». وفى الباب **السابع عشر** من إنجيل **متّى** «سأله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة أن إيليا ينبغى أن يأتى أولاً، فأجاب يسوع أن إيليا يأتى أولاً ويردّ كل

شئ، ولكنى أقول لكم أن إيليا قد جاء ولم يعرفوه، بل عملوا به كل ما أرادوا. كذلك ابن الإنسان أيضا سوف يتألم منهم، وحينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان» فعُلم من العبارتين أن **يوحنا** هو **إيليا** الموعود، وبذلك يكون يوحنا قد قال عن نفسه أنه **ليس** إيليا، وقال المسيح إنه إيليا.

وفى الباب **الثالث** من إنجيل **متّى** جاء عيسى إلى يوحنا يعمّده، فمنعه يوحنا قائلا «أنا المحتاج أن اعتمد منك، وأنت تأتى إلىّ. فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء فانفتحت له السماوات، ورأى روح الله نازلاً مثل حمامة وحالاً عليه». وفى الباب **الأول** من إنجيل **يوحنا**« إنى رأيت الروح مثل حمامة قد نزل من السماء واستقر عليه، وأنا لم أكن أعرفه لكن الذى أرسلنى لأعمّد بالماء، هو قال لى أن الذى ترى الروح ينزل ويستقر عليه هو الذى يعمّد الروح القدس». وفى الباب **الحادى عشر** من إنجيل **متّى** أن يوحنا لمّا سمع بأعمال المسيح أرسل تلميذين إليه وقال له« أأنت الآتى أم ننتظر آخر»، فعُلِم من **الأول** أن يوحنا كان **يعرف** نزول الروح، ومن الثانى ما **عرَف** إلا بعد نزول الروح، ومن الثالث أنه **لم يعرف** بعد نزول الروح أيضا.

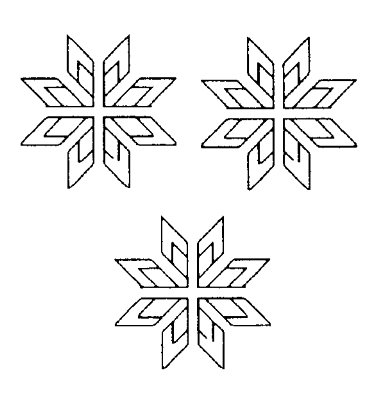
ويُعلَم من الباب **السادس** من إنجيل **مرقس** أن هيرودس كان قد أمسك يوحنا وأوثقة وطرحه فى سجن من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه»، وهذا غلط، لأن اسم زوج هيردوديا كان **هيرودس** أيضا لا **فيلبس** كما صرح **يوسيفس** فى الباب **الخامس** من الكتاب **الثامن عشر** من تاريخه. ونفس الغلطة نجدها فى الباب **الثالث** من إنجيل **لوقا**، وفى الباب **السادس** من إنجيل **مرقس**.

فإذا كان هذا التناقض والغلط فى بعض رواية الإنجيليين عن يوحنا، وهى المصدر اليهودى الوحيد لسيرته وفكره، فإنه يكون من الخطأ أن نعّول كثيرا على بقية روايتهم عنه.



اليوذعانية Yudghanites

فرقة يُنسبون إلى **يوذعان الهمدانى** وكان اسمه **يهوذا**، وهم من القرّاءين الأوائل، زعموا أن للتوارة **ظاهراً وباطنا**، **وتنزيلاً وتأويلاً**، وخالفوا بتأويلاتهم عامة اليهود، وخالفوهم فى **التشبيه**، ومالوا إلى **القدر**، وأثبتوا الفعل حقيقة للعبد، وقدّروا الثواب والعقاب عليه، وشدّدوا فى ذلك.



تمت بحمد الله وكرمه
موسوعة فلاسفة ومتصوفة
اليهودية

فهرس موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية

- مقدمة ودراسة فى الفلسفة والتصوف اليهوديين، وفى تأثير الثقافة الإسلامية فى الفكر اليهودى عند الفلاسفة الأوائل، وأصل تسمية اليهود، وأن الفكر اليهودى هو فكر منفَى، وحقيقة علم اليهودية إلخ

باب الألف ص

«تم الفهرس بحمد الله»

بعض مؤلفات الدكتور الحفنى فى الفلسفة وعلم النفس

- موسوعة الفلسفة.
- المعجم الفلسفى- عربى- إنجليزى- فرنسى- ألمانى- لاتينى.
- قوت القلوب لأبي طالب المكىّ. تحقيق.
- الموسوعة الصوفية: أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية.
- المعجم الصوفى: الشامل لمفاهيم ومصطلحات وألفاظ الصوفية.
- موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية: الموسوعة الجامعة للفكر الدينى اليهودى، والأصول التوراتية والتلمودية للمذاهب اليهودية الكبرى فى الفلسفة والدين والتصوف، ونقد هذه المذاهب والردّ عليها.
- رابعة العدوية إمامة المحزونين والعاشقين.
- الإمام الفيلسوف حجة الحق الشاعر عمر الخيام والرباعيات.
- موسوعة الفرق والمذاهب والجماعات الإسلامية منذ السبئية حتى جماعات الإخوان المسلمين وأنصار السنة والجهاد وغيرهم.
- فرق الشيعة للنوبختى والقمّى. تحقيق ودراسة.
- البراهين العقلية على وجود الله والردّ على المنكرين والملحدين والطبيعيين.
- موسوعة علم النفس والتحليل النفسى.
- موسوعة السيكولوچيات: علم النفس فى حياتنا اليومية.
- معجم التحليل النفسى: عربى- إنجليزى- فرنسى- ألمانى.
- موسوعة الطب النفسى(مجلدان).
- الموسوعة النفسية الجنسية.
- موسوعة أعلام علم النفس.
- موسوعة مدارس علم النفس.
- تفسير الأحلام لفرويد.
- التحليل النفسى للأحلام.
- ما فوق مبدأ اللذة لفرويد.
- الحب والحرب والموت والحضارة لفرويد.
- موسى والتوحيد لفرويد.
- التعريفات للجرجانى.
- تعبير الرؤيا لإرطميدودوس الإفسى وترجمة حنين بن إسحق- تحقيق ودراسة.
- تعبير المنام لعمر الخيام- تحقيق ودارسة.

Encyclopedia of Jewish PHILOSOPHERS & Mystics

Dr. Abdel Monem Alhefnee

Madbouli Bookshop

مكتبة مدبولي